العنوان:	الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء : العهد القديم والحوليات الآشورية
المؤلف الرئيسي:	خلايلي، إبراهيم خليل
مؤلفين آخرين:	فنطر، محمد حسين(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 104
رقم MD:	689820
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة تونس
الكلية:	كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الحضارة الفينيقية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/689820

الجــزء الأوّل

* * * * *

الحياة المدنية في المدينة
الكنعانية الفينيقية
في ضوء العهد القديم والحوليات الآشورية

الفصل الأول

* * * * *

الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية

في ضوء العهد القديم

الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء "العهد القديم"

مقدمة :

تتضافر أسفار العهد القديم في تقديم صنفين من المعلومات حول الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية ، منها ما هو مباشر وواضح من خلال سرد الأحداث التي وردت دون تعليق من الكاتب أو حكم منه عليها ، ومنها ما هو غير مباشر يستشف من وراء السطور ويعكس واقعًا معيشًا في العهد القديم جاء عبر مواقف حكّام بني إسرائيل ورسلهم تجاه بني كنعان والتي مثّلت - في غالب الأحيان - نظرة العدو إلى العدو ، الأمر الذي يدعو الباحثين إلى التعامل مع نصوص العهد القديم دون اعتبار طابعها الديني و"علاقتها بالسماء" في حقل الدراسات الكنعانية الفينيقية (1) . تهتمّ الحياة المدنية بإبراز تفاصيل الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والعسكرية في المدينة الكنعانية الفينيقية ، ومن ثم بحث جوانب الحياة الثقافية لتلك المدينة من خلال معلومات العهد القديم حول "أرض كنعان" التي أعطت بني إسرائيل لغتها والكثير من تقاليدها ، الأمر الذي يدعونا إلى استنتاج المعلومات استنتاجًا يستند إلى "موقع" المدينة الكنعانية الفينيقية ضمن تاريخ الشرق الأدنى القديم "وواقعها" فيه .

---

1 - حول هذا الموضوع راجع : فنطر محمد حسين : "الفنيقيون بناة المتوسط" تونس 1998ص 17 ، 18 الطبعة الفرنسية : Les Phéniciens en Méditerranée. Tunis 1997.

تعتبر المدن الكنعانية والفينيقية المذكورة في أسفار العهد القديم أساس البحث عن الحياة المدنية ، وقد ورد في العهد القديم ذكر عديد المدن الكنعانية والفينيقية ، توزعت على الساحل السوري اللبناني الفلسطيني وفي الداخل - خاصة في فلسطين والأردن - .

وتختلف هذه المدن من حيث أهميتها والدور الذي قامت به في نحت ملامح الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية ، وذلك حسب معلومات العهد القديم ، التي نجد من خلالها أهميّةً ودوراً كبيرين لبعض المدن أكثر من مدن أخرى ، ورغم ذلك ، فلم يكن دور بقية المدن ثانويًا - كما سنرى - ... وهنا يجدر بالذكر أن جل الدراسات المختصة والمؤلفات في هذا المجال يهمل الحديث عن تلك المدن أو الإشارة إليها ، وإذا تمّت الإشارة إليها ، فإنما باقتضاب شديد أو دون التعريف بها أو تحديد موقعها على الأقل ... ويكاد العديد من الدراسات الخاصة بالحضارة الكنعانية الفينيقية - وبالأخص الدراسات العربية - يقتصر على إعطاء الأهمية لبضع مدن فقط من المدن المذكورة في العهد القديم (1) ، في حين أننا وجدنا ما يقارب الخمسين مدينة كنعانية وفينيقية ضمن أسفار العهد القديم لها علاقة مباشرة بالحياة المدنية - وبالطبع الدينية - ومن هذه المدن ما هو مجهول تماماً في المؤلفات العربية ، وقد تمّ إقصاء بعضها من قائمة المدن الكنعانية - الفينيقية على أنها مدن "توراتية" أو "إسرائيلية" - استناداً - إلى مؤلفات المدرسة التوراتية ، أو بسبب القراءة الخاطئة لشواهد العهد القديم وما نتج عنها من خلق تاريخ "لإسرائيل" على حساب التاريخ الكنعاني .

---

1 - وأحياناً نلاحظ أن مدينة صور فقط تؤخذ كمثال وحيد على المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم.

وسنلاحظ من خلال دراسة المدن الخمسين القادمة أنها مدن كنعانية وفينيقية سواء في ضوء العهد القديم أو في ضوء المكتشفات الأثرية ، ومن هذه المدن ما ورد ذكره في وثائق أخرى كمراسلات العمارنة (1) والوثائق الفرعونية وحوليات الملوك الآشوريين والنقائش الفينيقية .

وتجدر الإشارة إلى أن مجرّد ذكر بعض المدن في العهد القديم على أنها كنعانية - دون ورود تفاصيل - يكفي لتوظيفها في الحياة المدنية بعد تقديم لمحة عن تاريخها وآثارها إن وجدت .

---

1 - مراسلات العمارنة رُقُمٌ من الطين المفخور ، سطرت بالخط المسماري وباللغة الأكّادية ، وهي مراسلات بين ملوك منطقة الشرق الأدنى ومصر خلال عهدي كلّ من أمنحوتب الثالث وابنه أمنحوتب الرابع (أخنتون) في القرن الرابع عشر ق.م . وتل العمارنة - الذي اكتشفت فيه تلك الرسائل - هو تل يقع على الضفّة الشرقية لنهر النيل - محافظة المنيا ... وقد تم الإكتشاف سنة 1887 ، وعرضت تلك الرسائل التي اكتشف منها حوالي 377 رقيمًا في متاحف القاهرة ولندن وباريس وبرلين . وتشف تلك الرسائل عن تنافس بين مدن الممالك الكنعانية ذات الكيانات السياسية المستقلة ...

حول هذا الموضوع أنظر : فنطر : المرجع السابق الذكر ص 47 ، 49 .

- عبد الحميد محمود : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية دمشق 1996ص 27، 257،198 وما يليها

- Mazar : OP.Cit P 580

وللعودة إلى رسائل العمارنة أنظر :

- Mercer.S.A.B : The Tell-El-Amarna Tablets Vol I, Toronto 1939.

- Moran.w.L : Les Lettres d'El-Amarna, Correspondance diplomatique du Pharaon. Littératures anciennes du Proche - Orient (13) Le Cerf. Paris 1987.

1 - "أحلب" :

أحلب مدينة كنعانية تقع في الجليل الأعلى بفلسطين على بعد حوالي 13 كم من مدينة صفد و إلى الشمال الغربي منها ، وهي تتوسط المسافة بين صور وطبريا ، ويعني إسمها "أحلب" ، المثمرأو الخصيب (1) ، وقد ورد ذكرها في شاهد واحد من العهد القديم هو شاهد سفر القضاة الذي جاء فيه أن "أحلب" ومعها "عكّا" و"صيدا" و "إكزيب" و "حلبة" و "أفيق" و "رحب" ، مدن كنعانية (2) ...

ويُطلعنا هذا الشاهد على العلاقة التي كانت تربط مدن الجليل بمدن الساحل الكنعاني الفينيقي .

وربما تكون "أحلب" هي محليبا (Mahalliba) المذكورة في حوليات الملك الآشوري سنحريب(705 - 681 ق.م) ، إذ ورد ذكرها مع صيدا وعكّا وسربتا وأوشو وإكزيب كمدن حصينة منيعة تابعة لصيدا تم إخضاعها من قبل "سنحريب" حسب نص حملته الثالثة (3) ...

وكما نلاحظ ، فالمدن المذكورة في شاهد سفر القضاة هي نفسها - تقريباً - المذكورة في شاهد سنحريب ... وأخيراً فأحلب - حاليًا - هي مدينة "الجش" المحتلّة أو "جسكالا" حسب تسميتها في العصر الهلنستي (4) .

---

1 - أنظر حولها : خلايلي، خليل : تاريخ جسكالا ، دمشق 2001 ، ص 9 ، 10 ، 60

2 - قضاة 1 : 31 ، 32 ...

3 - أنظر ما سيأتي لاحقًا حول هذه المدن ، أنظر أيضًا حوليات الملك سنحريب في فصل الحوليات الآشورية ...

4 - أنظر خلايلي : المرجع المذكور أعلاه ص 80.

2 – أروادة :

مدينة فينيقية لها أطلال في جزيرة سورية تحمل إسم أرواد (أرادُس) وتقع قبالة مدينة طرطوس (أنتارادُس) على بعد كيلومترين ونصف من الساحل ... وتعتبر طرطوس ومعها عمريت (ماراثوس) من المدن التابعة لأروادة التي اعتمدت عليها في الزراعة والحصول على المواد الخام ، وقد كشفت التنقيبات مؤخراً عن وجود المقبرة الرئيسية لأروادة في منطقة طرطوس المقابلة إذ كُشف عن مقبرة ملكية الأسلوب تعود إلى الفترة الفارسية ... وفي الطرف الجنوبي للجزيرة عُثر أيضًا على مقبرة ترميد صغيرة ...

وبسببٍ من ضآلة حجم التنقيبات في أروادة ، فإن تاريخها المدني لا يزال مجهولاً في غالبيته ، علمًا أنها عامرة منذ الألف الثالثة ق.م ومذكورة في ألواح مدينة "إبلا" السورية خلال الألف المذكورة (1).

وأول ذكر لها في العهد القديم ورد في سفر التكوين فجاء عن الأروادي (هأرودي) أنه من مواليد كنعان (2) ...

وقد عمل الأرواديون – حسب سفر حزقيال – ملاّحين في أسطول صور ومتطوّعين في جيشها (3) ...

---

1 – أنظر كلاً من :

فنطر محمد حسين : "الحرف والصورة في عالم قرطاج" تونس 1999 ص 345 .

- Markoe. Glenn.E : "Phoenicians". London 2000 PP.205, 206

2 – تكوين 10 : 18 وأيضًا أخبار الأيام الأول 1 : 16

3 – حزقيال 27 : 8 ، 11

ولشهرة أهل أروادة في الملاحة ما يؤكدها من خلال موقع الجزيرة وبقاياها الأثرية - التي يعود معظمها إلى الفترة الرومانية - ، والتي تؤكد الطابع التجاري ، فقد كان لجزيرة أروادة ميناءان توأمان مفتوحان نحو الشرق ، أما خليجاها الجنوبي والشمالي فقد كانا مفصولين بواسطة نَجَفة طبيعية طولها ستون متراً سُوّيت من الحجر المنحوت (1) ...

وحسبما تشير إليه التحصينات الرومانية الضخمة ، فقد كانت أروادة في عصر الحديد محمية بسور دفاعي حصين لفّ الجزيرة . وأروادة التي تمسح أربعين هكتاراً اشتهرت بكثافتها السكّانية ، فمركز المدينة - كما هو حال مدينة صور - اكتظّ بالبيوت السكنية والتجارية - في آن واحد - .

وتتواجد معابد أروادة الرئيسية في موقع محاذٍ "للأكروبوليس" ، وقد تشير إلى ذلك نقيشة إغريقية - فينيقية كُرِّست لهيرقليس - ملقرت ، بالإضافة إلى لوح بازلتي مسطور بالإغريقية يذكر زيوس كرونوس .

وأخيراً فإن كلاً من طرطوس وعمريت - المتّحدتين تحت لواء أروادة في العصر الهلنستي - قام بدور هام في الحركة التجارية عبر سهل عكّار الواقع إلى الجنوب الشرقي من أروادة (2) .

---

1 - Markoe : OP. Cit. P 206 أنظر أيضاً "المكتشفات الأروادية عام 1964" دراسة للباحثة "أونور فروست" في "الحوليات الآثرية السورية ، المجلد 16 ، الجزء 1 ، 1966 ، تعريب : شوقي شعث . ص 123 - 131 .

2 - Markoe : Loc. Cit وحول سهل "عكّار" ودوره كممر للتجارة أنظر Ibid : P22

وأيضاً :

- Bordreuil. Pierre, Chatonnet. Françoise Briquel : "Le Temps de la Bible".Fayard, 2000, P336

وختامًا ، يجدر بالذكر أنّ لأروادة دورًا هامًا في الأحداث الخاصة بالحملات الآشورية إلى الساحل الكنعاني الفينيقي ، وستقدّم الحوليات الآشورية معلومات هامة عن حياة أروادة ، لعل أهمها - كما سنرى - هي حوليات الملك آشور بانيبال (668 - 626 ق.م) .

3 - أريحـا : (يرحو)

أريحا مدينة كنعانيةٌ شهدت العصور الثلاثة : الحجري والبرونزي والحديدي (1) واستناداً إلى المكتشفات العمرانية العائدة إلى الفترة الواقعة ما بين 8350 - 7350 ق.م (2) في المدينة ، ووجود أكبر تجمّع بشري معروف فيها من تلك الفترة ، تعتبر مدينة أريحا أقدم مدينة في التاريخ (3).

ومن بين الأبنية الحجرية العائدة إلى الألف الثامن ق.م في المدينة السور الدفاعي الذي أحاط بها على مسافة 700 م (4).

إلاّ أن الباحثة "كاثلين كنيون" تتحدث عن أريحا كمدينة من العصر البرونزي القديم (الألف الثالثة ق.م) ، أما سورها فقد أُحرق - حسب "كاثلين كنيون" - في فترة "يهوشع" (5) على أساس أنها أول مدينة هاجمها الإسرائيليون بعد خروجهم المزعوم من مصر - حسب العهد القديم - (6) .

تبعد أريحا حوالي 10كم شمال البحر الميت وحوالي 30كم شمال شرقي القدس(7).

1- Foerster Gideon - Bacchi . Gabriella : "Jericho" ... in : (E.A.E.H.L) II, P 564. -

2- ويسمى هذا العصر في أريحا النيوليت ما قبل الفخار أ ، واختصاراً : P.P. N. A أي (PRE-Pottery Neolithic A)أنظر : محيسن سلطان : آثار الوطن العربي القديم. دمشق 1989 ص44

3 - نفس المرجع ص 46

4 - محيسن : المرجع المذكور سابقًا ص 45 ، 46

5 - أنظر كاثلين كنيون : الكتاب المقدّس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، ترجمة شوقي شعث - دمشق 1990 - ص 12 والأصل بالإنقليزية: K.M. Kenyon : The Bible and Recent Archaeology

6 - يشوع 2 : 1 - 24

7 - Foerster, Bacchi. OP.cit. P550 -

ومن الجدير ذكرهُ أن مدينة أريحا لا تقوم بدور كبير في معرفة جوانب الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية ، وذلك حسب معلومات العهد القديم التي تشير إلى أن المدينة هُدمت وأُحرقت وذُبح سكانها بأوامر من يشوع بعد أن تم نهب ثرواتها من ذهب وفضة ونحاس وحديد على أيدي بني إسرائيل ، وفيما يلي بعض الشواهد التي وردت في الإصحاح السادس من سفر يشوع والتي تؤكد العقلية الإسرائيلية التوراتية المبنية على القتل والسطو بالعنف المشفوع بترخيص من "يهوه" :

"وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بني إسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل (1) ... وقال يشوع للشعب اهتفوا لأن "يهوه" أعطاكم المدينة (2)، فتكون المدينة وكل ما فيها مُلكًا ليهوه ، راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت لأنها خبأت المرسلين (هملاكيم) (3) ... وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد (وكل كسف وزهب وكلي نحشت وبرزل) تكون قدسًا ليهوه (قدش ليهوه) (4) وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف(5) وأحرقوا المدينة بالنار مع كلّ ما بها (6) ... وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً : ملعونٌ قدام يهوه الرجل الذي يقوم ويبني مدينة أريحا (7) ...

1- يشوع 6 : 1

2 - يشوع 6 : 16

3 - وهما الغلامان الجاسوسان (هنعريم همرجليم) اللذان ذُكرا في الشاهد 23 من الإصحاح ...

4 - يشوع 6 : 19

5 - يشوع 6 : 21

6 - يشوع 6 : 24

7- يشوع 6 : 26

هذا وتُثبت شواهد سفر يشوع أن لمدينة أريحا شأنًا ، فكان لا بدّ من السطو عليها لأنها عقبة في وجه الغزاة إذ أشارت بعض الشواهد إلى وجود أبواب للمدينة وسور وبيوت بُنيت في سمكه لها نوافذ تطل على خارج السور ، كما كان للبيت علية (1).. وفي سفر التثنية تُدعى أريحا مدينة النخل (عير هتمريم) (2) وكذلك في سفر القضاة الذي يتحدث عن تحرير أريحا من قبل "عجلون" ملك موآب بعد أن ضرب بني إسرائيل بمساعدة بني عمون والعمالقة (3) - وهم من سكان أرض كنعان - الأمر الذي يشير إلى مكانة ملك موآب في أرض كنعان سيما وأن شاهدًا من سفر القضاة يذكر أن بني إسرائيل عبدوه ثماني عشرة سنة (4) .

وهكذا نجد أن ما ورد في سفر يشوع حول الغزو الإسرائيلي لأرض كنعان جدير بالإهتمام لأنه يعبّر عن سلوك ومواقف لا تشرّف أصحابها ، ولئن كان إثبات الغزو يشغل بال الباحثين التوراتيين من أجل إثبات الوجود الإسرائيلي - مهما كانت طبيعة ذلك الوجود- إلاّ أن ما يعنينا أكثر من أخبار الغزو هو كشف العقلية الإسرائيلية، سيما وأن العهد القديم هو المصدر الأهم حول اليهود واليهودية في ظل غياب الشواهد الأخرى .

---

1 - يشوع 2 : 15 ، 6 : 5 ، 20 ، 26 .

2 - تثنية 34 : 3

3 - قضاة 3 : 13

4 - قضاة 3 : 14

4 – أشدود :

مدينةٌ كنعانية فلستية يحمل إسمها معنى "القوة" أو "الحصن" ، تبعد حوالي 30 كم عن مدينة غزّة وإلى الشمال الشرقي منها ، وهي تقع في منتصف المسافة – تقريبًا – بين غزّة و "يافا" (1) .

ويعتبر العهد القديم مدينة أشدود إحدى مدن الفلستيين الخمس ، ويؤكّد أنها كنعانية حسب الشاهد التالي من سفر يشوع : (من هشيحور أشر عل فني مصريم وعد جبول عقرون صفونه ، لكنعني تحشب حمشة سرني فلشتيم : هعزّتي وهأشدودي ، هأشقلوني ، هجتّي وهعقروني ...) (2) أي : (من الشيحور – أمام مصر – إلى تخم عقرون شمالاً تُحسب للكنعانيين أقطاب الفلستيين الخمسة : الغزّي والأشدودي والعسقلاني والجتّي والعقروني ...) .

ويحمل هذا الشاهد أهمية كبيرة جدًا لصالح "المدينة الكنعانية" والوضع السياسي في أرض كنعان ، فهو يؤكد اندماج الفلستيين "أحد شعوب البحر – في أرض كنعان وإقامتهم في مدنها ، الأمر الذي لا يمكن معه الحديث عن "كيان فلستي" أو "مدينة فلستية" خارج إطار "أرض كنعان" و"المدينة الكنعانية" ، ونحن حين نستخدم اصطلاح مدينة "كنعانية فلستية" فإنما نستخدمه للتذكير بموقع جغرافي وفترة زمنية وحالة تاريخية ما على غرار استخدامنا لاصطلاح كنعاني فينيقي أو فينقي بوني للدلالة على المكان والزمان والحالة التاريخية – إن صحّ التعبير – ...

وحسب المكتشفات الأثرية في "أشدود" وغيرها من مدن الساحل الكنعاني الفلستي، فقد تبيّن أن "الفلستيين" القادمين مع شعوب البحر اندمجوا بسرعة مع السكّان

---

1 – عبد الملك ، طمسن : قاموس الكتاب المقدس ، ص 77.

2 – يشوع 13 : 3 ، أنظر أيضًا صموئيل الأول 6 : 17 .

الأصليين للساحل الكنعاني ، في حين أن بعض شعوب البحر مثل الدانونيين والتَيّاكيريين (Tjékers) – لم يستطيعوا البقاء في "فلسطين" فغادروها باتجاه الدلتا المصرية حيث واجهوا هناك مقاومةً من رمسيس الثالث (1182–1151 ق م) (1) ولعل أهم ما يؤكد تَكَنْعُنَ فلستيي أشدود هو عبادتهم للإله الكنعاني "دجن" ووجود معبد له في أشدود (2) ...

وتفيد شواهد العهد القديم – ولاسيما شواهد سفر صموئيل الأول ونحميا – أن أشدود قامت بدور كبير في الصراع بين الفلستيين الكنعانيين و بني إسرائيل ، فقد قاوم الأشدوديون إعادة بناء أسوار القدس بعد السبي (3) ...

ويحمل سفر نحميا أيضًا شاهدًا هامًا عن رغبة أنبياء بني إسرائيل في عدم الاندماج بالمجتمع الكنعاني ، فيتحدث نحميا – بغضب – عن يهود رجعوا من السبي (من بابل) وتزوجوا بنساء من أرض كنعان (أشد وديات وعمونيات وموآبيات) ... وقد جاء في الشاهد (جم بيميم ههم رأيتي إت هيهوديم هشيبو نشيم أشد وديوت ، عمونيوت ، موآبيوت ، وبنيهم حصي مدبر أشدوديت و إينم مكيريم لدبر يهوديت وكلشون عم وعم ، وأريب عمم وأقللم وإكه مهم أنشيم وإمرطم وأشبيعم بإلهيم إم

---

1 – حول هذا الموضوع أنظر :

- Thompson. Thomas. L : The Bible in History, How Writers Créate a Past. London 1999,P157.

وانظر أيضًا – حول شعوب البحر – : فنطر : الفينيقيون بناة المتوسط ، تونس 1998 ، ص 39 – 45 .

2 – أنظر ما سيأتي لاحقًا حول تفاصيل عبادة الإله دجن في جزء الحياة الدينية .

3 – أنظر صموئيل الأول 4 ، 5 . أنظر نحميا 4 : 7 .

تتنو بنتيكم لبنيهم وإم تساو مبنتيهم لبنيكم ولكم) (1) أي : (في تلك الأيام - أيضًا - رأيت اليهود الذين ساكنوا نساءً أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلّم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم و ضربت منهم أناسًا ووبّختهم واستحلفتهم "بألهيم" (2) لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم) .

وكما لاحظنا من الشاهد فإن نحميا ينهى اليهود عن الزواج بنساء من أرض كنعان ، وهو - أي نحميا - ليس الوحيد بين كتّاب العهد القديم الذي ينهى عن ذلك (3) ...

وقد ذُكر في الشاهد اللسان الأشدودي أو "الأشدودية" ولا شك أنها لهجة من لهجات أرض كنعان .

وأخيرًا ورد في سفر أخبار الأيام الثاني أن أشدود مدينة محصّنة بسور : (حومة أشدود) (4) أي سور أشدود.

وسنرى فيما بعد أن للمدينة دورًا هامًا في الأحداث المذكورة في الحوليات الآشورية ولاسيما حوليات الملكين سنحريب وأسرحدون .

---

1 - نحميا 13 : 23 .... 25 .

2 - حول إلُهيم أنظر المبحث الخاص بالإله "إل"

3 - كان كتّاب العهد القديم يخشون من زواج اليهود بكنعانيات لئلاّ تتضرر عبادة يهوه خاصةً ، ولعل أكثر ما أغضبهم هو زواج سليمان بكنعانيات وزواج أحاب - ملك السامرة - بأميرة فينيقية كادت تقضي على عبادة يهوه ... أنظر لاحقًا ما سيأتي حول هذا الموضوع وخاصة في جزء الحياة الدينية .

4 - أخبار الأيام الثاني 26 : 6

5 - أفـــق :

يرد إسم هذه المدينة الكنعانية في مواضع عدة من العهد القديم ، وذلك ابتداءً من سفر يشوع ، فيذكر أنها مملكة كنعانية تعرضت للغزو اليشوعي (1) ، أما في سفر صموئيل الأول فتُذكَر "أفق" على أنها مدينة كان الفلستيون يتجمعون فيها لمحاربة إسرائيل (2) وهي - حسب الباحثين في الكتاب المقدّس - بلدة رأس العين الحديثة الواقعة على الطريق بين القدس وقيصرية (3) ...

وفي أحد شواهد سفر يشوع نرى مدينة باسم "أفقه" لم يتمكن "يشوع" من احتلالها -حسب شواهد السفر- وهي "أفقة" الحالية عند نبع نهر ابراهيم شرقي جبيل (4).

وقد وردت في أحد شواهد سفر القضاة مدينة باسم "أفيق" ذُكرت مع مجموعة من المدن الكنعانية هي عكّا وصيدا وأحلب وإكزيب وحلبه ورحب (5) ...

و"أفيق" هذه تقع على بعد حوالي 13 كم جنوب شرق مدينة عكّا (6)

---

1 - يشوع 12 : 18

2 - صموئيل الأول 4 : 1 ، 29 : 1

3 - أنظر حولها : عبد الملك ، بطرس ، طمسن جون : قاموس الكتاب المقدس ، ص 96 ، 120 ، أنظر أيضاً : رولي . هـ : أطلس الكتاب المقدّس ، بيروت 1983 ، ص 11 .

4 - أنظر يشوع 13 : 4 ، وأيضاً عبد الملك ، طمسن : المرجع المذكور سابقًا ، ص 96 ، وللإشارة يورد سفر الملوك الأول شاهداً يذكر فيه أن "أفقه" مدينة جعل منها "بنهدد" ملك "أرام" قاعدةً عسكرية في حربه ضد أحاب ملك السامرة . أنظر ملوك أول 20 : 26 ، 30 .

ويرى الباحثون في الكتاب المقدس أن أفقه المذكورة في سفر الملوك هي مدينة تقع شرقي الأردن وتحمل إسم فيق حاليًا ، أنظر عبد الملك وطمسن المرجع السابق ص 97 .

5 - أنظر قضاة 1 : 31 .... أنظر أيضاً مدينة "أحلب" ثم "صيدا" .

6 - حسب عبد الملك وطمسن ، المرجع السابق ص 97 .

6 - اكزيب :

مدينة كنعانية ساحلية تبعد حوالي 13 كم إلى الشمال من مدينة عكّا ، ذُكرت في شاهد سفر القضاة مع عكا وصيدا وأحلب وأفيق وحلبه ورحب (1) ...

وتحمل مدينة اكزيب حاليًا إسم "الزيب" ولها ميناء كبير - نوعًا ما - خلف خليجها الطبيعي في الجهة الجنوبية منها ...

وقد شهد موقع اكزيب استيطانًا منذ عصر البرونز الوسيط ، واستمر هذا الاستيطان في عصرالبرونز الحديث (2) ، إلاّ أن آثاره في عصر الحديد الأول ضئيلة (3) ، في حين شهد الموقع في عصريْ الحديد الأول والثاني نموّا سريعًا فاتسع لتبلغ مساحته ثمانية هكتارات .

وقد كشفت التنقيبات في الجزء الشمالي من التل المجاورلحصون المدينة الشرقية عددًا من الأبنية العامة التي تعود إلى عصر الحديد الحديث ، والتي تمثّل مخازن ملكية .

وكشفت التنقيبات أيضًا أن الموقع - في عصر الحديد - ضمّ أربع مقابر منفصلة تضمّنت القديمة منها سلسلة من المدافن المنحوتة في الصخر أُرّخت في القرن الحادي عشر ق.م ، وقد دلّ موقعها المتميّز على أنها مدافن تخص علية القوم ... أما المقابر الثلاث الباقية ، فقد كُشف عنها خارج الموقع ، وذلك في شرق التل وشماله وجنوبه ...

---

1 - قضاة 1 : 31

2 - Markoe : OP. Cit. P 194

3 - Ibid : P 24

وضمّت المقبرة الأولى سلسلة من المدافن ذات الغرف أرّخت في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الحادي عشر ق.م والسادس منه ، أما الثانية - والواقعة جنوب الموقع عند نهاية خليج اكزيب - فقد احتوت على صخور منقورة لدفن الميت والإقبار ترميداً ، وأرّخت في عصر الحديد الثاني ، واحتوت المقبرة الثالثة على هيكل مفتوح على الهواء - في وسطه مذبح - احتوى على مرمدات من عصر الحديد الحديث ، كما احتوى على فضاء للدفن يعود إلى الفترة الفارسية (1) .

7 - أكشف :

مدينة كنعانية ومملكة ورد ذكرها في سفر يشوع مع كل من مدون وشمرون لتلبية طلب يبين ملك حاصور في الإنضمام إليه من أجل محاربة يشوع (2) بعد غزوه لمقدة ولبنة ولكيش وعجلون وحبرون (3) ، ويشير هذا الشاهد إلى زعامة ملك حاصور على المدن الكنعانية .

ويرى كل من بطرس عبد الملك وجون طمسن أن موقع أكشف الحالي هو تل كيسان بالقرب من مدينة جنين (4) .

---

1 - Markoe : OP. Cit, P 194 -

2 - يشوع 11 : 1

3 - يشوع 10 : 28 37

4 - قاموس الكتاب المقدس ، ص 97

8 - بئر سبع :

مدينة كنعانية تقع في جنوب أرض كنعان (فلسطين) ، تنبثق أهميتها بالنسبة إلى العهد القديم من روايات تقليدية تربطها بإبراهيم وإسحق ويعقوب ...

واستنادًا إلى سفر التكوين فقد اختلف عباد إبراهيم مع عباد "أبيملك" - الملك الكنعاني - حول بئر حفرها إبراهيم ، فقُطِع ميثاق أعطى إبراهيم بموجبه "لأبيملك" سبع نعاج شهادةً على حفره البئر، فسُمي الموقع "بئر سبع" (بئر شبع)(1).

وبعد إبراهيم جاء ولده إسحق إلى "بئر سبع" فأقام فيها مذبحًا وحفر فيها عباده بئرًا فوجدوا فيها ماءً ، فدعاها إسحق (شبعه) (2) ...

أما يعقوب ابن إسحق - واستنادًا إلى سفر التكوين - فقد انطلق من "بئر سبع" متجّهًا نحو حران (حرن) - الواقعة على نهر البليخ أحد روافد الفرات - وذلك لكي يتزوّج من آرامية بعد وصية أبيه بعدم الزواج من كنعانية (3) ...

وهكذا نلاحظ أن لمدينة بئر سبع مكانةً هامةً في أسطورة إبراهيم المذكورة في

---

1 - تكوين 21 : 25 - 33

2 - تكوين 26 : 23 ، 25 ، 33

3 - تكوين 28: 6 - 10 ، ونجد رغبة إبراهيم - أيضا - في عدم تزويج إبنه إسحق من كنعانية في تكوين 24 : 3 ... حول زواج يعقوب أنظر :

- Morrison. Martha. A : "T he Jacob and Laban Narrative in light of Near Eastern Sources", in : (B.A). Vol. 46, N3, 1983, PP 155 - 164.

- Van. Seters. J : Jacob's Marriage and Ancient Near East Customs : Areexamination Harvard. Theological Review 62, PP 377 - 395.

العهد القديم والتي تُذكر فيها أسماء مدن وبلدان كثيرة في الشرق الأدنى مثل أور وحران ودمشق ومصر وشكم وبيت إل وبئر سبع وحبرون (1) ...

ويشترك في أسطورة إبراهيم كل من ولده إسحق وحفيده يعقوب (إسرائيل) ...

وللإشارة فإبراهيم - حسب العهد القديم - آراميٌّ من بلاد الرافدين التحق بأرض كنعان مهاجرًا ، وأرض كنعان بالنسبة إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب هي "أرض غربتهم" - حسب سفر التكوين - (2) أما أبناء يعقوب - أي بنو إسرائيل الاثنا عشر (3) - فلم يولد منهم أحدٌ في أرض كنعان بل في "فدّان آرام" ببلاد النهرين - مسقط رأسهم جميعًا - حسب سفر التكوين أيضًا (4) .

---

1 - راجع سفر التكوين ، وحول "إبراهيم" أنظر الدراسات التالية :

- Thompson. Thomas. L : The History of the Patriarchal Narratives; the Quest for the Historical Abraham. Beihefte zur zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft, 133, ed. G. Fohrer, Berlin. 1974.
- Thompson. Thomas. L : A New Attempt to Date the Patriarchal Narratives. Journal of the American Oriental Society 98, 1978, PP 76 - 84.
- Van. Seters. J : Abraham in History and Tradition, New Haven. CT. 1975.

2 - تكوين 35 : 27 ، 37 : 1

3 - وهم رأوبن ، شمعون ، لوي ، يهوده ، يسّكر، زبولن ، يوسف ، بنيَمن ، دَن ، نفتلي ، جَد ، أشر .
أنظر حولهم تكوين 35 : 23 - 26

4 - أنظر تكوين 35 : 26 (إله بني يعقب أشر يلد - لو بفدن أرم) أي أولئك بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان آرام ... وهذا - كما نلاحظ - شاهد هام جدًا ، سنحاول استثماره فيما بعد للتعريف بأولئك القوم وعلاقتهم بأرض كنعان في ضوء العهد القديم .

9 - بيـت إل :

مدينة كنعانية تقع إلى شرقي خط يمتد من القدس إلى نابلس (شكم) على بعد واحد من كلتا المدينتين (1) ...

وكبئر سبع ، فللمدينة أهمية بالنسبة إلى العهد القديم لعلاقتها بإبراهيم ويعقوب ، فحين قَدِمَ إبراهيم إلى أرض كنعان نصب خيمته بالقرب من "بيت إل" (2) التي كان اسمها "لوز" ، إلاّ أن يعقوب - وفي طريقه من بئر سبع إلى حران - بات في "لوز" بعد غياب الشمس ورأى حلمًا ظهر له فيه "يهوه" ، فدعا إسم ذلك المكان - أي لوز - بيت إل حسبما جاء في سفر التكوين : (ويحلم وهنه سلم مصب أرصه وراشو مجيع هشميمه وهنه ملاكي إلُهيم عليم ويرديم بو ، وهنه يهوه نصب عليو ويامر أني يهوه إلهي أبرهم أبيك وإلهي يصحق . هأرص أشر أته شكب عليه لك أتننه ولزرعك ... ويشكم يعقب ببقر ويقح إت هابن أشرشم مراشتيو ويسم أتَه مصبه ويصق شمن عل راشه ، ويقرا إت شم همقوم ههوا بيت إل) (3) . أي ورأى (يعقوب) حلمًا ، وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها يلامس السماء ، وملائكة إلهيم صاعدة ونازلة عليها ، ويهوه واقف عليها ، فقال : أنا يهوه إله إبراهيم أبيك وإله إسحق ، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ... وبكّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه نصبًا وصبّ زيتًا عليه ودعا ذلك المكان "بيت إل" ...

---

1 - أنظر صالح توفيق : قاموس الكتاب المقدّس ، ص 200 ، 201

2 - تكوين 12 : 8 ، 13 : 3

3 - تكوين 28 : 12 ، 13 ، 18 ، 19

نلاحظ من خلال الشواهد السابقة أن "يهوه" حشر فيها بشكل مقصود ليتلو وعده على يعقوب بإعطائه -ونسله - الأرض الكنعانية التي اضطجع عليها ... "فإلهيم" و "إل" إسمان للتعبير عن الذات الإلهية (1) ، أما "يهوه" فإله يخص بني إسرائيل ولم يكن معروفًا بالنسبة إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب وذلك استنادًا إلى شاهد هام جدًا من سفر الخروج جاء فيه : (وارا إل ابرهم إل يصحق وإل يعقب بإل شدي وشمي يهوه لا نودعتي لهم) (2) أي : وأنا - أي يهوه - ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني "إل شدي" وأما باسمي "يهوه" فلم أعرف عندهم (3) ...

وهكذا نستطيع التأكيد أن "بيت إل" هو الإسم الكنعاني للمدينة تبعًا لاسم إل - الإله الكنعاني المعروف - ولا علاقة ليعقوب بإطلاق هذا الإسم على المدينة ، ونلاحظ أيضًا أن "حلم يعقوب" لا تفسير له في "بيت إل" إلاّ في مخيّلة كاتب سفر التكوين الذي اختلق المعلومات السابقة من أجل تلاوة "الوعد اليهواوي" وليس "الإلهي" كما هو شائع في جل المؤلفات - بما فيها المؤلفات العربية - .

---

1 - أنظر ما سيأتي حول هذا الموضوع في المبحث الخاص بالإله "إل" .

2 - خروج 6 : 3

3 - أنظر التفاصيل في مبحث الإله "إل" ... وحول "يهوه" أنظر "معبد القدس" ...

10 - بيت شان (بيسان) :

مدينة كنعانية تقع إلى الجنوب من بحيرة طبرية ، وتبعد عنها حوالي 25 كم ، وإلى الغرب من نهر الأردن على بعد حوالي 7 كم (1) .

وتوصف بيت شان في سفر يشوع بأن لها مركبات حديد حسب الشاهد التالي : (... وركب برزل بكل هكنعني هيشب بإرص هعمق لأشر ببيت شان وبنو تيه ...) (2) أي : (... لجميع الكنعانيين الساكنين في أرض الوادي مركبات حديد ، للذين في بيت شان وقراها ...) .

واستناداً إلى سفر صموئيل الأول ، فقد كان لبيت شان دورٌ في الصراع بين الفلستيين وبني إسرائيل ، إذ علّق الفلستيون جسد الملك "شاول" - أول ملك لبني إسرائيل - على سور مدينة بيت شان ، وذلك بعد مقتله - هو وأبناؤه الثلاثة - في معركة "جبل جلبُع" القريب من بيت شان - والتي جرت بين الفلستيين وبني إسرائيل (3) . وكانت بيت شان قد تعرّضت للغزو المصري في عهد تحوتمس الثالث عام 1479 ق.م (4) ، وعُثر في معبدها على لوحة سطر عليها الملك المصري ستي الأول (1307 - 1291 ق.م) أخبار حملته على "بلاد الشام" (5) .

---

1 - أنظر صالح توفيق ، قاموس الكتاب المقدس ، ص 202 ، 203 .

2 - يشوع 17 : 16 .

3 - صموئيل الأول 31 : 8 - 10 ، وحول مقتل شاول أنظر :

- Thompson : The Bible in History. OP. Cit. PP50 - 52 .

وحول "شاول" أنظر أيضاً :

- Herrmann. S : A History of Israel in old Testament Times. London 1975.

4 - Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible, OP. Cit : P47.

5 - عبد الحميد محمود : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ، دمشق 1996 ص 207 .

وأثرياً ، أثبتت الإكتشافات أن الحياة في موقع بيت شان استمرت بدون انقطاع من الألف الخامسة ق.م وحتى العصر البيزنطي (324 – 640م) ...

وقد ضم الموقع – خاصةً – معابد كنعانية وكمية كبيرة من أدوات العبادة قامت بالكشف عنها عديد البعثات الأثرية ...

وخلال مواسم التنقيب الخمسة الأولى تم الكشف عن معبد كنعاني يعود إلى القرن الخامس عشر ق.م ، وعن إقامة سكنية مصرية من القرن الثاني عشر ق.م ...

ويجري التنقيب حالياً في طبقات عصريْ البرونز والحديد (1)

---

1 – أنظر بعض اللمحات عن تقارير الحفريات في فلسطين المحتلّة في :

- Summer in the Sand, (BAR) Vol. 2000, N1, 1994, PP51 - 59.

واللمحة الخاصة بحفريات بيت شان P55

11 - بيت شمس (بيت شمش)

مدينة كنعانية تقع على بعد حوالي 25 كم إلى الغرب من مدينة القدس (1) ، ويذكر سفر صموئيل الأول أنها المدينة التي أعاد إليها الفلستيون أرن العهد (2) ...
شهدت المدينة حملة الملك الآشوري سنحريب عام 701 ق.م ، إلاّ أن هذا الحدث لم يُذكر في العهد القديم .

وأثريًا ، أظهرت التنقيبات أنظمة تحصينات ودفاع ضخمة في المدينة كما أظهرت أبنية شعبية وعامة تعود إلى عصر البرونز الحديث (1550 - 1200 ق.م) وعصر الحديد (1200 - 586 ق.م) ، وأهم ما عُثر عليه في موقع بيت شمس هو مراكز لإنتاج زيت الزيتون والحرف المعدنية ، بالإضافة إلى المجوهرات والأختام ورُقُم مسطورة بالأوجاريتية ...

وانطلقت عام 1994 تنقيبات جديدة في المدينة باشتراك كل من زفي ليدرمان (Zvi Lederman) من جامعة هارفَرد ، وشلومو بونيمو فتز (Shlomo Bunimovitz) من جامعة بارلان (3) .

---

1 - Summer in the Sand, OP. Cit. P 55

2 - صموئيل الأول 6 : 13 - 16 ... وحول أرن العهد أنظر "الإله دجن" في الحياة الدينية ، أنظر أيضًا : Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible OP. Cit. P60.

3 - وقبل انطلاق التنقيبات توقّعت مجلة الآثار التوراتية أنها سوف تكشف عن الدمار الأخير للمدينة الكنعانية بيت شمس ، وتُظهر أجزاء من نظام التحصينات فيها وبوابتها ، وذلك من الفترة "التوراتية" القديمة ... وستبيّن - أي التنقيبات - النظام المائي الضخم في الفترة الواقعة بين 727 و 689 ق.م .

أنظر : Summer in the Sanel : P 55

12 - بيت لحم :

مدينة كنعانية تقع على بعد 10 كم جنوب مدينة القدس ، وتقوم بيت لحم على هضبتين أعلاهما ترتفع 750 م عن سطح البحر ، وتمتد الأولى من الشرق إلى الغرب وتقع عليها البلدة القديمة ، أما الهضبة الثانية - التي تمتد من الشمال إلى الجنوب فقد أقيمت عليها بيت لحم الجديدة (1) ...

ولبيت لحم أهمية كبيرة في الشرق الأدنى لأنها مسقط رأس السيّد المسيح (2) ، وقد كان إسمها - حسب سفر التكوين - "إفْرَتَه" أي الخصبة أو المثمرة ... بينما يعني إسمها الحالي بيت الخبز ... وفيها - حسب رواية التكوين أيضًا - ماتت "رَحِل" - زوجة يعقوب - ودُفنت (وتمت رحل وتقبر بدرك إفرته هوا بيت لحم) (3) أي : (فماتت رحل ودُفنت في طريق إفرته التي هي بيت لحم) ، فأقام يعقوب نُصبًا على قبرها : (ويصب يعقب مصبه عل قبرَتَه) (4) ... ويفيدنا هذا الشاهد في التقاط عادة من العادات التي كانت سائدة في أرض كنعان وهي إقامة الأنصاب على قبور المتوفين - أو على أماكن دفنهم - وفي المقابل فإننا نلاحظ فرقًا بين "مراسم دفن "رحل" ومراسم دفن زوجها يعقوب ، فيعقوب - حسب سفر التكوين - دُفن في

---

1 - موسوعة المدن الفلسطينية (تاليف مجموعة من المختصين) . إشراف حسين العودات ، دمشق 1990 ، ص 85

2 - إنجيل متّى 2 : 1 ، وللإشارة تضم مدينة بيت لحم مقدّسات هامة مثل كنيسة المهد ومغارة المهد وكنيسة القديسة كاترينا ...

3 - تكوين 35 : 19

4 - تكوين 35 : 20

"حبرون" بعد أن حنّطه المصريون وأقاموا له مناحة (1) ... وتلك عادة لم يمارسها الكنعانيون ، الأمر الذي يدعونا إلى الإستنتاج بأن "بني إسرائيل" - حسب العهد القديم - كانوا يتّبعون عادات أهل البلاد المذكورة في الأحداث ، وذلك ما يعنينا التقاطه بغض النظر عن تاريخية الأحداث .

وقد شاع في المؤلفات أن "داود" ولد في بيت لحم ، ولكن لا توجد إشارة صريحة في العهد القديم تؤكد ذلك كالتي نراها في العهد الجديد (الإنجيل) حول ولادة السيد المسيح في تلك المدينة ... فالشاهد الموجود في العهد القديم يذكر أن داود هو ابن ذلك الرجل الأفرتي من بيت لحم ، يسي البيتلحمي : (دود بن إيش إفرتي هزه مبيت لحم ، يس بيت هلحمي ...) (2) ...

ويذكر أحد شواهد سفر صموئيل الثاني أن الفلستيين كانوا مسيطرين في وقت ما على بيت لحم إذ جاء في الشاهد : (... ومصب فلشتيم آز بيت لحم) (3) أي : (... وقادة الفلستيين - حينئذٍ - في بيت لحم) .

وأخيراً يذكر أحد الشواهد في سفر صموئيل الأول شيوخ مدينة بيت لحم (زقني هعّير) (4) وربما يكون ذلك إشارة إلى وجود مجلس شيوخ في المدينة ، ولكن لا توجد تفاصيل حول ذلك .

---

1 - أنظر التفاصيل في مدينة "حبرون" (الخليل) .

2 - صموئيل الأول 17 : 12 ، 58

3 - صموئيل الثاني 23 : 14

4 - صموئيل الأول 16 : 4

13 - تعنك :

مدينة كنعانية ومملكة (1) ، يذكر سفر القضاة أن بني إسرائيل لم يتمكنوا من استيطانها (2) ...

وتُذكر تعنك أيضًا في هذا السفر بأنها المدينة التي جرت فيها المعركة بين "سيسرا" القائد الكنعاني و "برق" أحد بني إسرائيل (3) ...

وقد جاء في سفر الملوك الأول أن سليمان كان له وكيل في مدينة تعنك لتموين بيته إسمه "بعنا بن أحيلود" (4) ، ولكن لا يفهم من هذا الشاهد أن تعنك كانت منطقة إدارية تابعة لسليمان (5) .

وورد ذكر تعنك منذ القرن الخامس عشر ق.م في وثائق الفرعون تحوتمس الثالث الخاصة بمعركة مجدّو ، كإحدى المدن التي تمر منها الطريق إلى مجدّو (6) ... وهي تبعد عن مجدّو حوالي 8 كم إلى الجنوب الشرقي منها واسمها حاليًا تل تعنك (7) .

---

1 - يشوع 12 : 21

2 - قضاة 1 : 27

3 - قضاة 5 : 19 ... أنظر ما سيأتي حول هذه المعركة في مدينة حاصور .

4 - ملوك أول 4 :12

5 - تُذكر في سفر الملوك الأول أسماء وكلاء في بعض المدن الكنعانية لتموين بيت سليمان ، وسنقوم بتفصيل هذا الموضوع في مدينة "دور" - إحدى المدن التي كان لسليمان فيها وكيل - وذلك بسبب محاولة ربط هذا الشاهد ببعض مكتشفات المدينة من قبل الباحثين الإسرائيليين ... أنظر دور ...

6 - Finkelstein. Israel, Ussishkin David : "Back to Megiddo" in (BAR) Vol 20 N°1, 1994, P32

7 - Albright William : The Archaeology of Palestine London, 1960, P117

وأيضًا عبد المسيح يس : قاموس الكتاب المقدّس ص 219 .

14 - تَــمَـــر :

مدينةٌ كنعانية تقع على بعد حوالي 65 كم إلى الجنوب من البحر الميت ويتميّز موقعها بأهمية كبيرة من حيث قيام المدينة بدور مراقبة الحدود الجنوبية لأرض كنعان وكونها محطة لعبور القوافل من الشرق إلى البحر المتوسط (1) .

أول ذكر لمدينة تَمَر في العهد القديم جاء في سفر التكوين الذي أشار إلى أن الأموريين كانوا ساكنين في حَصَصُن تمر : (هأمري هيشب بحَصَصُن تمر) (2) ، والأموريون حسب سفر التكوين كنعانيون (3) .

وقد اعتمد الباحثون الإسرائيليون على شاهد غامض من سفر الملوك الأول لنسب بعض مكتشفات المدينة إلى سليمان بل ونسب المدينة كلها إليه رغم شاهد سفر التكوين السابق ... ويرى أولئك الباحثون أن سليمان بنى تَمَر حسب شاهد سفر الملوك الأول (4) ، إلاّ أن هذا الشاهد لا يذكر تَمَر بوضوح ، فالمدينة المذكورة مكونة من أربعة حروف سقط الثاني منها في النسخة العبرية الأصلية وبقيت حروف التاء والميم والراء ... لذا لا يمكن اعتبارها تَمَر ... كما لا يمكن اعتبار الحرف

---

1 - Summer in the Sand. OP. Cit. P59 -

2 - تكوين 14 : 7 ، وقد ذكرت المدينة أيضًا في حزقيال 47 : 18 - 19 ، 48 : 28 ، وتتحدث هذه الشواهد عن موقع المدينة في الجنوب . ويرى الباحث أنيس صايغ أن حصَصُن تمر - التي يسميها "حصون تامار" قد تكون مدينة عين جدي على الشاطىء الغربي للبحر الميت استنادًا إلى تكوين 14 : 7 ... أنظر قاموس الكتاب المقدس ، ص652 .

3 - تكوين 10 : 15 ، 16 .

4 - ملوك أول 9 : 18 ... أنظر أيضًا : Summer in the Sand P59

الضائع هو "الدال" لتصبح المدينة "تدمر" كما فعل مترجمو العهد القديم إلى العربية والباحثون في الكتاب المقدّس (1) .

وقد تحدثت مجلة الآثار التوراتية عن بوابات تم اكتشافها في "تل تمر" وأسوار ضخمة وفخار يعود إلى القرن السابع ق.م ، وأفران، وحمامات من عهد الرومان (2) وهكذا تنبثق أهمية هذه المدينة من موقعها وبعض الغموض الذي اكتنف إسمها في شواهد العهد القديم الأمر الذي كان لا بد من إيضاحه .

---

1 - أنظر النسخة العربية من العهد القديم ، وأيضاً الباحث يس عبد المسيح ، قاموس الكتاب المقدس ، ص 213 : حيث اعتبر المدينة المذكورة في شاهد سفر الملوك الأول تدمر معتمداً على هامش ورد تحت شاهد سفر الملوك في النسخة العبرية يذكر أن المدينة هي تدمر ... أنظر أيضاً :

- Bordreuil, Chatonnet Le Temps de la Bible, OP. Cit. P399

وللإشارة يورد سفر أخبار الأيام الثاني شاهداً مفاده أن سليمان بنى تدمر : (ويبن إت تدمر ...) : أخبار الأيام الثاني 8 : 4 ... وينطوي هذا الشاهد على ادّعاء خاطىء ولا أساس له من الصحّة ، والهدف منه تضخيم سليمان ونسب هذه المدينة - الواقعة في عمق البادية السورية - إليه ، وقد استغل كاتب سفر الأخبار ازدهار المدينة وعظمتها زمن كتابة سفره لغرض نسبها إلى سليمان على غرار عديد المدن في الشرق الأدنى ... وتدمر مذكورة في وثائق الشرق القديم قبل كتابة أسفار العهد القديم بحوالي ثمانية عشر قرناً ، وأول ذكر لها منذ مطلع الألف الثاني ق.م كان في رقيم مسماري مكتشف في قبدوقية بالأناضول : بوزرعشتار التدمري (تدمريم) . كما ذكرت "تدمر" في رقيمين من مدينة ماري على الفرات يعودان إلى القرن الثامن عشر ق.م وفي رقيم من مدينة مسكنة (إيمار) على الفرات أيضاً يعود إلى القرن الرابع عشر ق.م ... حول هذا الموضوع أنظر : البنّي عدنان ، الأسعد خالد : "تدمر" ، دمشق 1979 ص 17 ، 18 .

2 - Summer in the Sand P 59 -

15 - تمنة :

مدينة كنعانية تبعد حوالي 5 كم عن مدينة بيت شمس وإلى الجنوب الغربي منها (1) . تنبثق أهمية هذه المدينة من كونها مدينة سكنها الفلستيون الكنعانيون وجرت فيها أحداث اجتماعية (2) ، - وبغض النظر عن أهمية هذه الأحداث وتاريخيتها- فإننا نلتقط منها معلومات هامة عن المدينة وبعض عاداتها وتقاليدها. هذه الأحداث تتعلق بشمشون - الشخصية التوراتية الخرافية التي تعكس الصراع بين الفلستيين وبني إسرائيل - إذ جاء في سفر القضاة أن شمشون رأى فتاة فلستية في تمنة فأحبّها ، وطلب من أبويه أن يأخذاها له ... وبعد تردّد أبويه نزل الجميع إلى تمنة لطلب يد الفتاة ، وحسب عادات أهل تمنة أقام شمشون حفلاً : (... ويعس شم شمشون مشتِه كي كن يعسو هبحوريم) (3) أي : (فأقام هناك شمشون حفلاً كما كان يفعل الشبّان) ... وحضر الحفل ثلاثون فلستيًا استدعاهم أهل الفتاة ، ويذكر السفر أن الحفل استمرّ سبعة أيام ... وفي أول يوم من الحفل حاجى شمشون الفلستيين المدعوّين أحجيةً ووعد من يحلّها في سبعة أيام بهدية ثمينة هي ثلاثون عباءة وثلاثون حلّة ثياب : (شلشيم سدينيم وشلشيم حلفُت بجديم) (4) ، وإن لم يستطع الفلستيون حلّها فإنهم يقدّمون لشمشون نفس الهدية ...

ولكن مرّت ثلاثة أيام دون أن يستطيع الفلستيون حل الأحجية ، وفي اليوم السابع

---

1 - عبد المسيح يس : قاموس الكتاب المقدس ، ص 223

2 — أنظر قضاة 14 : 1 - 20 ، 15 : 1 - 20

3 - قضاة 14 : 10

4 - قضاة 14 : 12

طلب الفلستيون من الفتاة أن تعرف الحل من شمشون ، فأخبرها بعد تردد ، وقامت هي بإظهار الأحجية للفلستيين بني بلدتها ...

فانزعج شمشون من معرفتهم للحل ونزل إلى عسقلان - إحدى المدن الكنعانية الفلستية- وقتل فيها ثلاثين رجلاً وسلبهم حللهم ليعطيها لمظهري الأحجية في تمنة، ثم التحق ببيت أبيه غاضباً ...

وبعد فترة أراد العودة إلى زوجته فرفض أبوها وأخبره بأنها تزوجت من شخص آخر ... فغضب شمشون وأحرق زروع الفلستيين وكروم زيتونهم ، ولمّا علم الفلستيون بذلك أحرقوا "الفتاة" - التي تزوجته - وأباها (1) ولاحقوا شمشون الذي لقي حتفه - فيما بعد - في مدينة غزّة بعد أن استمالته امرأة من هناك إسمها "دليلة" وخدعته فكشفت سرقوته الذي كان يكمن في شعره فحلقته وسلّمته للفلستيين (2) ...

وهكذا نلاحظ من هذه القصة التي بدأت بحفل وانتهت بمأساة - المأساة التي حلّت بتمنة - نلاحظ وجود بعض العادات المتعلّقة بالزواج في تلك المدينة الكنعانية كحفل السبعة أيام الذي حضره أقارب وأصدقاء الفتاة الفلستية ...

وتعطي القصة أيضاً فكرة عن الألبسة المستعملة آنذاك (العباءات وحلل الثياب) ، إلاّ أن الأهم من ذلك أنها - أي القصة - تعطي صورة من صور الصراع الفلستي الإسرائيلي في أرض كنعان ، وتعكس أخلاق بني إسرائيل وعقليتهم المبنية على أفكار القتل والنهب والتخريب ... ولئن لم تكن أحداث قصة شمشون حقيقية ،

---

1 - قضاة 14 : 13 - 20 ، 15 : 1 - 6

2 - أنظر بقية قصة شمشون في قضاة 16 : 1 - 31 ، وأيضاً :

- Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible, OP. Cit P176.

فإنها تشف عن حقيقة كاتب القصة وعقليته ، ويؤكّد هذا الكاتب — قبل الدخول في تفاصيل قصته – أن رغبة شمشون في الزواج من فلستية إنما بوحي من "يهوه" لأنه كان يطلب علّة على الفلستيين المسيطرين آنذاك (1) .

وأخيراً فهناك شاهد في سفر أخبار الأيام الثاني يتحدث عن اقتحام الفلستيين لمدينة تمنة واستقرارهم فيها (2) ...

---

1 – قضاة 14 : 4

2 – أخبار الأيام الثاني 28 : 18

16 – جبعون :

مدينة كنعانية تقع في الشمال الغربي من مدينة القدس وتبعد عنها 14 كم، واسمها حالياً الجيب (1).

وردت عن هذه المدينة إشارات هامة في العهد القديم برزت من خلالها جبعون مدينةً ذات مكانة سياسية ودينية كبيرة في أرض كنعان .

يذكر العهد القديم أن أهل جبعون هم من الحوّيين الكنعانيين (2) وكما ورد في سفر التكوين ، "فالحوي" إبنٌ لكنعان (3) ...

وفي سفر صموئيل الثاني نُسبوا إلى الأموريين : (... وهجبعُنيم لا مبني يسرال همه كي إم ميِّتر هأمُري..) (4) أي : (والجبعونيون ليسوا من بني إسرائيل إنما هم من بقايا الأموريين) ويروي سفر يشوع حدثًا سياسيًا نستطيع من خلاله التقاط بعض المعلومات التي تخص مدينة جبعون وعلاقتها بالممالك الكنعانية المجاورة ، ويتلخص هذا الحدث في أن ملوك أرض كنعان وساحلها اجتمعوا ووحّدوا كلمتهم لمحاربة يشوع وإسرائيل بعد غزوه لأريحا وعَيْ، إلاّ أن جبعون خرجت عن "الإجماع الكنعاني" ، وأرادت اتّقاء شر يشوع باستخدام الحيلة للتوصّل إلى صلح معه وعهد منه بعدم مهاجمة الجبعونيين ومدنهم، وهي: جبعون وكفيرة وبئروت وقرية يعريم. ولهذا خدع الجبعونيون يشوع ، فساروا إليه بعد أن أخذوا جوالق بالية لحميرهم

---

1 - Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible, OP. Cit. P38. -

وأيضا : رولي. ه. ه : أطلس الكتاب المقدس ، بيروت 1983 ، ص14 .

2 - يشوع 11 : 19

3 - تكوين 10 : 15 - 17

4 - صموئيل الثاني 21 : 2

(سقيم بليم لحموريهم) وزقاق خمر بالية مشققة ومصرورة (نُأدوت يَين بليم ومبقعيم ومصرريم) ونعالاً تالفة ومرقعة في أرجلهم (ونعلوت بلوت ومطلأوت برجليهم) وثياباً رثة عليهم (وشلموت بلوت عليهم) وخبزًا يابسًا (لِحِم يبش) ...

وأخبر الجبعونيون يشوع أنهم أتوا من أرض بعيدة وبمشورة من شيوخهم (زقنيهم) وسكان أرضهم ليقطع لهم عهداً – أي يشوع – وحين اكتشف بنو إسرائيل أن أرضهم قريبة غضبوا إلاّ أن العهد الذي قُطع احتُرِم (1) ...

وقد كان وقع الخبر سيئًا على ملك القدس أدني صدق الذي خاف من صلح جبعون مع إسرائيل لأن جبعون – حسب سفر يشوع – مدينة عظيمة كإحدى المدن الملكية وهي أعظم من عَيْ وكل رجالها جبابرة : (... عير جدوله جبعون كأحت عري هممله وكي هيا جدوله من هعَيْ و كل أنَشيـهَ جبُريم) (2) ... وكما نلاحظ ، يطلعنا هذا الشاهد على أن جبعون لم تكن مملكة ... ولا يُذكر إسم ملك لها في شواهد العهد القديم .

وأرسل أدني صدق إلى "هوهم" ملك حبرون و "فرآم" ملك يرموت و "يفيع" ملك لكيش و "دبير" ملك عجلون يستنهضهم لضرب جبعون بسبب صلحها مع إسرائيل فوافقوا ، واتجهت جيوش القدس وحبرون ويرموت ولكيش وعجلون إلى جبعون التي استنجدت بيشوع فجرت معركة بين الطرفين التجأ على إثرها الملوك الخمسة – أدني صدق وهوهم وفرآم ويفيع ودبير إلى مغارة في مدينة "مقده" ، ثم وقعوا في أسر يشوع الذي أعدمهم – حسب السفر – (3) .

نلاحظ من الشواهد السابقة أن مملكة القدس كانت تتزعّم الممالك المذكورة وتراقب

---

1 – يشوع 9 : 1 27

2 – يشوع 10 : 1 ، 2

3 – يشوع 10 : 3 .... 27 ، وانظر – لاحقًا – مدينة "مقده" ...

الموقف السياسي عن كثب ، ولم تكن تقرأ حساباً لجماعة بني إسرائيل إلاّ حين صالحها أهل جبعون ، ولأن جبعون مدينة مرهوبة الجانب و"عظيمة" خشي ملك القدس من اختلال موازين القوى في المنطقة، فالصلح قد ينقلب إلى تحالف ، وهذا ما حدث فعلاً – استناداً إلى رواية يشوع – فجرت المعركة بين الطرفين في جبعون وجوارها ، ودفع ملك القدس حياته – ومعه بقية الملوك – ثمناً لصلح جبعون مع إسرائيل – حسب سفر يشوع – ونحن إذ لا نملك ما يثبت تاريخية الأحداث المذكورة إلا أننا نستطيع تكوين فكرة عن العلاقات بين ممالك أرض كنعان ومدنها والواقع السياسي فيها وردود فعلها تجاه الأخطار المحدقة مهما كان نوعها ... وقد لاحظنا ذلك في الإصحاح التاسع من سفر يشوع حين وّحد ملوك كنعان كلمتهم لمجابهة خطر يشوع ، الأمر الذي يؤكد ما يشير إليه الباحثون – دائماً – من أن التهديد المشترك هو الذي كان يوحّد ممالك المدن الكنعانية . وأخيراً بالنسبة إلى صلح جبعون مع إسرائيل فإن هذا الصلح لم يكن دائماً ولم يضع حداً لعنصرية بني إسرائيل وعدائهم لسكّان أرض كنعان ، فقد أشار سفر صموئيل الثاني إلى أن "شاول" قتل الجبعونيين بسبب تعصّبه وغيرته على بني إسرائيل ويهوذا : (... هميت إت هجبعونيم بقناتو لبني يسرال ويهوده) (1) ، وهكذا فخيار الجبعونيين – إن صحّت معطيات العهد القديم – كان خياراً فاشلاً سيما وأن بنود صلحهم مع إسرائيل كانت مذلّة ومجحفة لهم كما جاء في سفر يشوع : (ويتنم يهوشع بيوم ههوا حُطْبي عصيم

---

1 – صموئيل الثاني 21 : 1 ، 2

وحول مصطلح التعصّب والغيرة (قنأه) :

קִנֵּא = حسد ، غار ، קִנְאָה = غيرة ، تعصب ، קַנָּאוּת = تعصّب أعمى ،

קַנַּאי = متعصب .

وشأبي ميم لعده ولمزبح يهوه عدهيوم هزه إل همقوم أشر يبحر) (1) أي : (وجعلهم يشوع - في ذلك اليوم - محتطبي حطب ومُستقي ماء للجماعة ولمذبح يهوه إلى هذا اليوم وفي المكان الذي يختاره) .

وفي أحد شواهده ، يذكر سفر صموئيل الثاني وجود صخرة كبيرة في جبعون (هإبن هجدوله أشر بجبعون) (2)... ولم يشر الشاهد إلى وظيفة هذه الصخرة ، ولكن شهرتها كمكان معروف - حسب الشاهد - يرجّح أنها مُقامة لغرض ديني ، فقد تكون نصبًا (مصبه) أو بيتلاً (3) (أي نصبًا تستقر فيه القوة الإلهية أو يحتوي على حضور إلهي) (4) ... الأمر الذي يشير إلى صرح عبادة كنعاني ...

ويؤكد سفر الملوك الأول على الأهمية الدينية لمدينة جبعون ، فنقرأ فيه شاهداً هاماً جداً حول هذا الموضوع جاء فيه أن جبعون مكان لممارسة طقوس دينية : (ويلك هملك جبعونه لزبح شم ، كي هيا هبمه هجدوله ...) (5) أي (وذهب الملك إلى جبعون ليذبح (يضحّي) هناك ، لأنها المرتفعة العظمى ...) وسنرى في جزء الحياة الدينية أن المرتفعات (بموت ومفردها بمه) والأماكن العالية كانت ذات شأن في ممارسة بعض طقوس وشعائر الديانة الكنعانية .

وفي سفر صموئيل الثاني إشارة إلى وجود بركة ماء في جبعون (بركت جبعون) (6)

1- يشوع 9 : 27

2 - صموئيل الثاني 20 : 8

3 - Bordreuil, Chatonnet. OP. Cit, P226.

4 - أنظر حوله : فنطر محمد حسين : "الحرف والصورة في عالم قرطاج) تونس 1999 ، ص 295

5 - ملوك أول 3 : 4 ... أنظر أيضًا : Bordreuil, Chatonnet, OP. Cit. P226.

6 - صموئيل الثاني 2 : 13

ويدعم هذه الإشارة شاهد من سفر إرميا تحدث عن المياه الكثيرة التي في جبعون : (ميم ربيم أشر بجبعون...) (1) ... وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى تنقيبات جرت بين أعوام 1956 - 1962 في موقع الجيب (جبعون القديمة) وقام بها الباحث جيمس برتشارد (J.B.Pritchard) من جامعة بنسلفانيا ، وقد كشفت هذه التنقيبات عن وجود بركة ماء (2) ومعصرة نبيذ (3) وعدد من النقائش ومقابض أرن فخارية من بينها واحد ثلاثون مقبضاً سُطر عليها إسم "جبعن" ... إلاّ أن الموقع لم يقدّم أية دلائل على علاقة المدينة بيشوع أو زمنه (4) ، الأمر الذي يؤكّد أن رواية يشوع للأحداث الخاصة بجبعون هي رواية مُختلقة لأغراض تهمّ كاتب السفر ، لكنها لا تخلو من الإشارات الهامة كما رأينا .

---

1 - إرميا 41 : 12

2 - أنظر حولها : - Pritchard. J.B : The Water System of Gibeon, Philadelphia, 1961

3 - لاحظ أن "زقاق الخمر" مذكورة في شاهد سفر يشوع ، حيث حملها الجبعونيون معهم لدى مجيئهم إلى يشوع ، وقد يشير هذا الشاهد إلى وجود صناعة نبيذ في جبعون . حول معصرة النبيذ المكتشفة في "الجيب" أنظر أيضاً :

- Pritchard.J. B : Winery, Defenses and Soundings at Gibeon. Philadelphia 1964.

4 - أنظر : أبو طالب محمود : دراسة بعنوان : هل جاءت التوراة من جزيرة العرب ؟ منشورة في مجلة : دراسات تاريخية ، العددان 27 ، 28 ، جامعة دمشق ، 1987 ، ص 140 - 141 .

17 - جبيل :

مدينة كنعانية فينقية ساحلية تقع عند سفوح جبال لبنان على بعد 37 كم إلى الشمال من بيروت ، وقد قامت جبيل على رأس بحري وضمّت ميناءين صغيرين ، ويتميّز موقعها بقربه من أراضي الأرز الذي يملأ سفوح جبال لبنان وعتباتها (1) . وتنحصر الإشارات إلى مدينة جبيل في العهد القديم في ثلاثة أسفار هي يشوع الذي يذكر أرض الجبيليين (2) ، (هجبليم) ، والملوك الأول الذي يذكر الجبيليين إلى جانب بنّائي سليمان وحيرم في المشاركة بأعمال الخشب والحجارة لبناء معبد القدس (3) ، وحزقيال الذي يذكر شيوخ جبيل وحكماءها - رجالها المهرة - : (زقني جبَل وحكميهَ) ويضيف أنهم كانوا يمتهنون إصلاح الأعطاب في مدينة صور : (هيوبك محزيقي بدقك) (4) وتشير الشواهد السابقة إلى علاقة متينة بين جبيل وصور التي كان يعمل فيها وبأسطولها فينيقيون من مختلف المدن .

أثريًا ، تقع مستوطنة جبيل الرئيسية على تلة دائرية مرتفعة لأرض مساحتها ثلاثة هكتارات تقريبًا ، وكانت المدينة في عصر البرونز المبكر - بسورها الحجري

---

1 - Markoe, Phoenicians, OP. Cit. P202

أنظر أيضًا حول المدينة :

- Montet. P; Byblos et l'Egypte, Paris 1929.
- Dunand. M : Fouilles de Byblos (5 Vols) Paris 1937 - 1958.
- Dunand. M : Byblos : Its History, Ruins, and Legends. Beirut 1968.

2 - يشوع 13 : 5

3 - ملوك أول 5 : 18

4 - حزقيال 27 : 9

الضخم وبوابتيها - مركزاً تجارياً هاماً ، وقد أظهرت الدراسات مؤخراً أن التطور العمراني تمركز حول نبع صخري اتّضع في وسط الموقع ، ومع بداية الألف الثالثة ق.م تم تحويل القسم الشمالي من التل إلى فضاء مقدّس ، وذلك بإقامة هيكلين هما معبد بعلة جبيل ومعبدٌ يحمل شكل ــا كُرّس لإله مجهول ...

وقد كشفت تنقيبات فرنسية - جرت بين الحربين العالميتين - في القسم الجنوبي من الموقع عن بقايا منطقة سكنية تعود إلى عصر البرونز الوسيط ، وتكوّنت هذه المنطقة من حوالي مائة بيت مكون من غرفتين أو أربع (1) ...

أما الإمتداد العمراني للمدينة في عصر الحديد فمجهول إلى الآن ، ولم يتم الكشف بعد عن مقبرة المدينة في العصر المذكور ، وكل ما هنالك أدلة مبعثرة عن التطور العمراني في السهول شرقيّ الأكروبوليس ، وهنا ، فبدءاً من القرن التاسع ق.م تمّ تدعيم التحصينات الشرقية للمدينة في منطقة البوابة الجنوبية للموقع ، وهي نقطة الإرتباط الرئيسية مع السهل الساحلي المحيط .

وفي الفترة الفارسية شهد نشاط البناء ذروته ، سيما وأن جبيل في الفترة المذكورة ازدهرت اقتصادياً وذلك لكونها مركزاً للإدارة الدينية والدفاع في عهد الأخمينيين ... وحينذاك سجلت الأبنية الحجرية المعمّدة - مثل قاعات الإستقبال الخاصة بالحكّام الفرس - حضوراً في القسم الشمالي الشرقي من أسوار المدينة .

وفيما يخصّ مرافق ميناء المدينة ، فإن كلا الخليجين الواقعين شمال الأكروبوليس كان صغيراً ولا يسمح بدخول السفن الكبيرة ، وكما تم الكشف مؤخراً ، فإن الحاجات الأساسية للمدينة قُضيت - ربما - بواسطة الخليج الأكبر ومصب النهر

---

1 - Markoe. Op Cit P 202

الواقع جنوب الأكروبوليس ، الأمر الذي قد يساعد على تفسير الإمتداد العمراني السريع للمدينة على طول السهل الساحلي الشرقي...

واستناداً إلى ما سبق ، فإن طبوغرافية مدينة جبيل تتطابق في الشكل مع "الميناء الفينيقي" - بشكل عام - ذلك الميناء الذي كان يتضّع على برّ محاط من الشمال والجنوب بمرافىء متباعدة (1) .

---

1 - Markoe, OP. Cit , P203 -

وحول المكتشفات الأخيرة في جبيل أنظر :

- Acquaro. E. et al : Biblo : una città e la sua cultura, Rome 1994.

- Frost. H : (Beruit) National Museum News 8, 1998.

18 - جـــت :

مدينة كنعانية فلستية تبعد حوالي 30 كم إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة (1)، وهي - حسب العهد القديم - إحدى المدن الفلستية الخمس (2) ، وكانت مسكنًا لبعض العناقيين (3) .

وهي مدينة مملكة إسم ملكها "أكيش" ، ويذكر سفر صموئيل الأول أن داود كان معاصرًا له (4) ...

وفي سفر أخبار الأيام الثاني تُذكر جت بأنها مدينة لها سور : (حومة جت) (5) ، وذلك على غرار معظم المدن الكنعانية والفلستية .

وتبدو مدينة جت مدينة محاربة من خلال حديث العهد القديم عنها ، وهو يعطي صورة تفصيلية عن المحارب الجتي بلباسه ومعدّاته القتالية ، فنقرأ في سفر صموئيل الأول وصفًا نادرًا لمحارب من جت إسمه "جَلْيَت" ، وقد يعطي هذا الوصف صورة عن المحارب الفلستي الكنعاني بشكل عام : يذكر السفر أن طول "جليت" بلغ ست أذرع وشبر (شش أموت وزرت) أي ما يعادل ثلاثة أمتار وشبر - باعتبار الذراع معادلاً لنصف متر (6) ... وقد يحمل طول هذا المحارب مبالغة إلاّ أنها لا تؤثّر

---

1 - أنظر أطلس الكتاب المقدس ، ص 14

2 - صموئيل الأول 6 :17

3 - يشوع 11 : 22 راجع حبرون وغزة .

4 - صموئيل الأول 21 :11

5 - أخبار الأيام الثاني 26 : 6

6 - حسب الباحث رايت ، أنظر :

- Wright. G.R.H : Ancient Building in South Syria and Palestine. Vol. I Leiden - Köln, 1985, P260

على بقية الوصف ... وقد كان يلبس على رأسه خوذة من نحاس : (وكوبع نحشت عل راشو) ، وقد ارتدى درعًا حرشفيًا وزنه خمسة آلاف ثقل نحاس : (وشريون قسقسيم هوا لبوش ومشقل هشريون حمشت ألفيم شقليم نحشت) ، وعلى رجليه جزموقان من النحاس : (ومصحت نحشت عل رجليو) ، وبين كتفيه مزراقٌ من نحاس : (وكيدون نحشت بين كتفيو) ، وقناة رمحه كنول النسّاجين : (وحص حنيتو كمنور أُرجيم) ، وسنان رمحه ست مائة ثقل حديد : (ولهبت حنيتو شش مأوت شقليم برزل) . وحامل الترس كان يمشي قدّامه : (ونُسا هصنه هُلك لفنيو) (1) ... ومن بين أسلحة هذا المحارب أيضًا السيف : (حرِب) (2) .

ويحيلنا وصف المحارب الفلستي "جليت" إلى حديث المؤرخين عن قوة سلاح الفلستيين وخاصةً السلاح الحديدي الذي أدخلوه إلى المنطقة مع مجيء شعوب البحر ، وقد دلّت آثار الفلستيين على ذلك ، فظهرت السيوف الحديدية والخوذ المزينة بالريش في منحوتات "حابو" بمصر (3) ، وقد احتكر الفلستيون صناعة الحديد في أرض كنعان الأمر الذي تردّدت أصداؤه في سفر صموئيل الأول الذي نجد فيه بعض الشواهد في هذا الصدد : (وحرش لا يمصا بكل إرص يسرال كي أمر فلشتيم فن يعسو هعبريم حرب أو حنيت) (4) أي : (ولم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل ، لأن الفلستيين قالوا : لكي لا يعمل العبرانيون سيفًا أو رمحًا) وجاء في شاهد آخر : (ويردو كل يسرال هفلشتيم لِلطوش إيش إت مَحَرَشْتو وإت أتو وإت قردمو وإت

---

1 – أنظر وصف هذا المحارب في صموئيل الأول 17 : 4 7

2 – صموئيل الأول 17 : 45

3 – Burney. Charles : "From village to Empire", London 1977 P117

4 –صموئيل الأول 13 : 19

مَحَرشَتو) (1) أي : وكان كل الإسرائيليين يتوجهون إلى الفلستيين لكي يحدّد كل منهم سكّته ومنجله وفأسه ومعوله ...) ...

وكان لاحتكار الفلستيين لهذه الصناعة نتائج هامة في حروبهم مع بني إسرائيل ، إذ يذكر أحد الشواهد ما يلي : (وهيه بيوم ملحمة ولا نمصا حِرب وحنيت بيد كل هعم أشر إت شاول ...) (2) أي : (وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيفٌ ولا رمحٌ بيد كل الشعب الذي مع شاول ...) (3) ...

كما نلاحظ فالمعلومات السابقة هامة للغاية ، وتعطي صورة عن التغيير الحضاري الذي حدث في أرض كنعان باندماج الشعب الفلستي فيها ، كما تلقي المعلومات السابقة الضوء على العلاقات داخل أرض كنعان - ولو بشكل غير مباشر - فأدوات الحديد التي لم يمكّن الفلستيون بني إسرائيل منها ، كانت متوفّرة بأيدي الكنعانيين ، وسنرى في مدينة حاصور القادمة أن جيشها كان يمتلك العربات الحديدية (ركب برزل) التي أدخلت الرعب إلى قلوب بني إسرائيل ، إذاً فما منعه الفلستيون عن بني إسرائيل مكّنوا الكنعانيين منه ، وهذا دليل على تكنعن الفلستيين ، ودليل أيضًا على أن العنصر الغريب والمعادي في أرض كنعان هو "بنو إسرائيل" .

---

1 - صموئيل الأول 13 : 20

2 - صموئيل الأول 13 : 22

3 - حول الحرب بين الفلستيين والملك شاول أنظر مدينة "بيت شان" وأيضًا الإله "دجن" في جزء الحياة الدينية .

19 - جـــرر :

مدينة كنعانية تقع في جنوب أرض كنعان (1) إلى الجنوب الشرقي من مدينة غزة وتبعد عنها حوالي 13 كم ، وهي حاليًا تل الجمّة (2) .

وهي مملكة إسم ملكها "أبيملك" حسب سفر التكوين الذي تكتسي معلوماته عن تلك المدينة المملكة بعض الأهمية من خلال حديثه عن العلاقة التي نشأت بين "أبيملك ملك جرر" وإبراهيم الذي زار جرر مع زوجته "سره" أثناء تنقّله في أرض كنعان ، وخوفًا على "سره" ادّعى إبراهيم أنها أخته فاستدعاها أبيملك ... وقبل أن يمسّها - حسب رواية التكوين - جاءه إلُهيم في حلم الليل : (ويبا إلهيم إل أبيملك بحلوم هليله) وهدده بالموت إن هو مسّ "سره" لأنها زوجة رجل : (بعلة بعل) ... فاستدعى أبيملك إبراهيم لاستيضاح الأمر فقال له إبراهيم : لقد خفت أن يقتلوني لأجلها فادّعيت أنها أختي ... وهي فعلاً أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي ، فصارت لي زوجة : (و تهي لي لإشه) ... فردّ أبيملك "سره" إلى إبراهيم وأعطاه أيضًا غنما وبقرًا وعبيدًا وإماءً : (صأن وبقر وعبديم وشفَحُت) (3) ...

ومن خلال هذه القصة نستطيع إبداء ملاحظتين ، الأولى تعكس عقلية راوي القصة - أي كاتب سفر التكوين - فإبراهيم - من خلال ، ادعائه بأن "سره" أخته - يسمح لرجال جرر بالإقتراب منها من أجل تحقيق مبتغاه وحماية نفسه - كما نفهم من القصة - ونلاحظ أنه لو لم يدّعِ ذلك لكان الوضع أفضل بدليل إفراج أبيملك عن"سره"وتكريمه لإبراهيم بعد أن عرف أنها زوجته ، أما حكاية "إلهيم" الذي جاء إلى

---

1 - تكوين 10 : 19

2 - أطلس الكتاب المقدس ، ص 15

3 - حول هذه القصة أنظر الإصحاح 20 من سفر التكوين .

أبيملك في حلم الليل ، فهي - على الأغلب - إضافة من قبل كاتب سفر التكوين لإضفاء "القدسية" على تواجد ابراهيم في جرر .

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بزواج إبراهيم من أخته ابنة أبيه ، فهل كان ذلك جائزاً في عادات وقوانين البلاد التي جاء منها - أو التي حل بها - إبراهيم (1) ؟

وفي سفر اللاويين من العهد القديم نجد قانوناً يخص حالة ابراهيم : (وإيش أشر يقح إت أحتو بت أبيو أو بت إمو ورأه إت عروته وهيا ترأه إت عروتو حسد هوا ونكرتو لعيني بني عمم ، عروت أحتو جله ، عونو يسا) (2) أي : (إذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار ، يقطَعَان أمام أعين بني شعبهما ، كَشَفَ عورة أخته يحمل ذنبه) (3) .

وأخيراً يبدو أن مخاوف ابراهيم من افتكاك زوجته في جرر كانت بلا داعٍ ، ففي الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين نرى أن إسحق ابن ابراهيم يتحول إلى جرر ليقيم فيها ويدّعي كما ادّعى أبوه أن زوجته "رفقة" هي أخته وذلك خوفاً من أن يُقتل بسببها لأنها كانت جميلة جداً، ولكن يكتشف أبيملك -ملك جرر-(4) أن

---

1 - يرى الباحث فيلسيان شالي (Felicien Chollay) أن القرابة من ناحية الأب لم تكن مانعة من الزواج ... أنظر كتابه : موجز تاريخ الأديان ، ترجمة حافظ الجمالي دمشق 1994 ، ص 163 ، هامش 28 ، والأصل بالفرنسية :

- Petite Histoire des Grandes Religions.

2 - لاويين 20 : 17

3 - فهل أخذ كتّاب العهد القديم حالة إبراهيم وقانون اللاويين بعين الإعتبار طالما أنهم يدّعون أن إبراهيم جدّهم ... علماً أن التسلسل الزمني في الأسفار مُهمَل ، وقد كتبت هذه الأسفار في وقت واحد .

4 - تكوين 26 ... ويُذكر أبيملك في هذا الأصحاح بأنه ملك الفلستيين ويبدو أنه ملك آخر لجرر بنفس الإسم .

رفقة هي زوجته حين رآه يداعبها في مكان ما ، فاستدعاه أبيملك ووبّخه لأنه أخفى أنها زوجته ، فذلك قد يدفع أحدهم لمضاجعتها ... وأوصى أبيملك الشعب عدم التعرّض لإسحق وزوجته (1) ...

نستنتج من ذلك أن المرأة المتزوجة في جرر لها احترام وتقدير من قبل رجال المدينة وليس كما ادّعى كاتب سفر التكوين في الإصحاحين العشرين والسادس والعشرين من أن إبراهيم وإسحق قد يقتلان بسبب زوجتيهما . ويدفعنا ذلك إلى الحديث عن أخلاق المجتمع الكنعاني التي لم تكن كما صوّرها كتّاب العهد القديم ، بل على العكس تمامًا ، فأخلاق بني إسرائيل هي التي كانت سيئة حسب ما يستنتج من روايات العهد القديم (2) .

---

1 - تكوين 26 : 1 11

2 - أنظر قصة شكم ودينة بنت يعقوب في مدينة شكم (نابلس) القادمة ، ولاحظ أن "رأوبن" بن يعقوب اضطجع مع زوجة أبيه ...

20 - جــزر :

مدينة كنعانية تقع حاليًا في موقـع تل الجزر على بعد حوالي 30كم غرب القدس(1) وهي حسب سفر يشوع مملكة إسم ملكها "هُرَم" ورد ذكره في شاهد يتحدث عن هبّته لنجدة مدينة لكيش التي تعرّضت للغزو اليشوعي (2) ، ورغم أن هذا الغزو غير مُثبت تاريخيًا فإن الشاهد المذكور يؤكد العلاقة الطيّبة بين مدينتي جزر ولكيش .. واستنادًا إلى الشاهد السابق - وإلى شاهد آخر يؤكد إخفاق سبط أفريم بن يوسف في إخضاع مملكة جزر (3) - يبدو أن هذه الملك كانت قوية ومرهوبة .

تعود أقدم آثار المدينة إلى الألف الرابعة ق.م ، وقد انطلقت أعمال التنقيبات فيها بين عامي 1902 - 1908 على يد الآثاري مكالستر (Macalister) (4) ، ولكن تصف الباحثة كاثلين كنيون (Kathleen M. Kenyon) تلك التنقيبات بأنها كانت بدائية ولم تتوصل إلى التاريخ الحقيقي للموقع إلى أن انطلقت تنقيبات أخرى بين عامي 1964 - 1974 أدارتها بعثة كلية الإتحاد الأميركي العبري في القدس المحتلة (American Hebrew Union College) بإشراف ديفر (W.Dever) وقد توصلت إلى اكتشاف أجزاء من سور مدعّم وبوّابة لها ركيزة من الحجر المنحوت (5) ...

---

1 - Dever. William G, Albright. W. F : "Gezer", in (E.A.E. H. L) II, P428

2 يشوع 10 : 33

3 - يشوع 16 : 10 و أيضًا قضاة 1 :29

4 - أنظر كتابه :

- Macalister. R. A.S : The Excavation of Gezer, 3 vols, London 1912.

5 - أنظر : كنيون كاثلين : الكتاب المقدس والمكتشفات الأثارية الحديثة ، ترجمة شوقي شعث ، دمشق 1990 ص 74 ، 83 ، 84 والأصل بالإنجليزية :

- Kenyon. Kathleen. M : The Bible and Recent Archaeology.

وترى الباحثة كنيون أن بقايا الأبنية المهدمة واللُّقى الأخرى - دون أن تسمّيها - تعود إلى بداية القرن العاشر ق.م (أي عصر سليمان حسب كنيون) - ، وترى - أي كنيون - إمكانية ربطها بشاهد سفر الملوك الأول الذي يتحدث عن غزو فرعون مصري لمدينة جزر وإحراقها بالنار وقتل سكانها الكنعانيين ثم إعطائها مهراً لابنته زوجة سليمان (1) ...

لكن هذا الحدث التوراتي - أي زواج إبنة فرعون مصر من سليمان - ليس له ما يؤكده في الوثائق المصرية ، كما أن إمكانية ربط بقايا جزر بشاهد سفر الملوك الأول الذي يتحدث عن إحراقها من قبل فرعون مصر ، هي إمكانية ضعيفة جداً لم تبرّرها الباحثة كنيون ولم تقدم عليها أي دليل (2) .

1- ملوك أول 9 : 16 أنظر أيضاً كنيون : ص 83

2 - و يجدر بالذكر أنه لا توجد آثار تدل على وجود سليمان - وقبله داود - ، والعالم الغربي يقبل قصص داود وسليمان على أنها "مقدّسة" إلاّ أنها مرفوضة من الناحية التاريخية ... حول هذا الموضوع أنظر :

- Leach. E : "Anthropological approaches to the study of the Bible during the twentieth century " in : Leach. E and Laycock (eds) : Structuralist Interpretation of Biblical Myth, Cambridge 1983 P 10.

21 - حاصور : (حصور) :

حاصور مملكة كنعانية في الجليل الأعلى شمال فلسطين ، تبعد 15 كم عن بحيرة طبرية (بحر الجليل) وإلى الشمال منها (1) ، وهي معروفة منذ الألف الثالثة ق.م، و فضلاً عن زعامتها للممالك الكنعانية المجاورة (2) ، تميزت حاصور بأهمية كبيرة في الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثانية ق.م بكونها مركزًا تجاريًا رئيسيًا في الهلال الخصيب وذلك استنادًا إلى وثائق مدينة ماري السورية الواقعة على نهر الفرات،فقد ورد ذكر حاصور في وثائق ماري العائدة إلى القرن الثامن عشر ق م(3) كمدينة ارتبطت مع "ماري" بعلاقات تجارية (4) ، وكانت القوافل التي تنقّلت بين بابل وحاصور تمر عبر مراكز كبرى أخرى مثل يمحاض (حلب) وقطنة (تل المشرفة قرب مدينة حمص السورية) وإمار (مسكنة الحالية قرب حلب) (5) ... (أنظر

1- طمسن توماس : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ، ترجمة صالح سوداح ، بيروت 1995 ص 166 ... و الأصل بالإنكليزية هو :

- Thompson Thomas. L : The Early History of The Israelite People from the Written and Archaeological Sources. Leiden 1992.

2 - أنظر يشوع 11 : 10

3 - Yadin Yigael : "Hazor" in (E.A.E.H.L) II P474 -

وأيضا كنيون : مرجع سبق ذكره ص 22

4 - أنظر فرزات محمد حرب ، مرعي عيد : دول وحضارات في الشرق العربي القديم 1994 دمشق ص 149.

5 - Yadin : Hazor. Loc. Cit, Malamat. Abraham : "Silver, Gold, and Precious Stones from Hazor in a new Mari Document", in : (B.A). Vol46 N3 1983, P169

الخريطة). وحتى مطلع الثمانينات من القرن المنصرم فقد تم نشر خمس وثائق تذكر حاصور والحاصوريين من بين وثائق أرشيف مملكة ماري تحدّث عنها الباحث : "إبراهام مالامات" (1) .

و في دراسة له نشرتها مجلة "الآثاري التوراتي" تحدث "مالامات" عن وثيقة من ماري تحمل مراسلةً بين "زمري ليم" ملك ماري و "ياريم ليم" ملك يمحاض تظهر أن حاصور كانت تصدّر إلى ماري الذهب والفضة والحجارة الكريمة كمواد خام أو أدوات مشغولة (2) ... وتنبغي الإشارة هنا إلى ملاحظة قدّمها الباحث الفرنسي "أندريه لومير" في دراسة له بعنوان : "ماري ، التوراة والعالم السامي الشمالي الغربي" (3) إذ أشار "لومير" إلى أن ورود ذكر حاصور في نصوص "ماري" و "العهد القديم" لا يعطي أحداث هذا الأخير تأريخاً لها في عهد نصوص ماري (القرن18 ق.م) سيما وأن العهد القديم لم يذكر إسم ماري ، الأمر الذي يعكس قدم ماري وحاصور

---

1 – أنظر أبحاث مالامات فيما يلي : Malamat : OP.Cit PP. 169 - 174 و أيضا :

- Malamat A : Hazor, the Head of all those kingdoms. Journal of Biblical Litrature (79) 1960, P12.
- Malamat A : Northern Canaan and the Mari Texts. PP 164 - 177, in Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century . ed. J.A. Sanders. New york, 1970.
- Malamat. A : "Silver, Gold and Precious Stones from Hazor", Trade and Trouble in New Mari Document. Journal of Jewish studies.33(1-2) 71-79. 1982.

2 – Malamat : Lo cit.

3 – وقد نشرت هذه الدراسة عام 1985 في المجلد الرابع من سلسلة دراسات حول مدينة ماري قام بها باحثون فرنسيون ، وتحمل هذه السلسلة إسم : " MARI annales de Recherches : "M.A.R.I. Interdis ciplinairs.

أنظر عبد الله فيصل : قراءة في خمسة مجلدات عن ماري : مجلة دراسات تاريخية 37 – 38 دمشق 1990 ص 189 .

و حداثة العهد القديم ... وحسب – لومير – فعقب كلّ اكتشاف لنصوص مسمارية – وغيرها – في الشرق الأدنى يسعى التوراتيون لإيجاد معطيات توراتية من أجل إثبات قدم التراث التوراتي على غيره (1) .

يذكر الباحثون أن حاصور تعرضت في أواسط القرن الثالث عشر ق.م إلى حريق مدمّر(2) ، فهل يقصد الباحثون بذلك إحراق يشوع للمدينة – حسب العهد القديم (3) ؟ حيث تشير الباحثة "كاثلين كنيون" إلى إمكانية توافق هذا الحريق مع الوصف الوارد في سفر يشوع (4) الذي ذكر أنه أخضع حاصور وملكها الكنعاني "يبين" ، وذبح من فيها وأحرقها (5) ... وبعد بنائها من جديد أُعطيت لسبط نفتلي حسب تقسيمات يشوع لأرض كنعان بين أسباط إسرائيل (6) ...

ولكن سفر القضاة يذكر أن حاصور كانت مملكة كنعانية قوية ، وكانت تملك جيشًا مزوّدا بتسع مائة مركبة حديد (ركب برزل) يقوده (سيسرا) (7) ، ويروي هذا السفر أحداث معركة جرت بين الإسرائيليين والجيش "الكنعاني انتهت بمقتل قائد الجيش الكنعاني في حاصور (سيسرا) ونهاية (يبين) (8) – الملك الكنعاني –

---

1 – عبد الله : المرجع السابق ص 190 – 191

2 – طمسن : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي . مرجع سبق ذكره ص 167 وأيضا :

- yadin : Op. cit. P 494

3 – أنظر يشوع 11 : 11 ، 13

4 – كنيون : الكتاب المقدس والمكتشفات الأثرية الحديثة ص 54

5 – يشوع 11 : 10 ، 11

6 – يشوع 18 : 10 ، 19 : 36

7 – قضاة 4 : 2 ، 3

8 – قضاة 4 أنظر تفاصيل هذه الرواية فيما بعد.

إلاّ أن الباحث "توماس طمسن" يرى أن مدينة حاصور انتهت في القرن الثالث عشر ق.م مثل "أوجاريت" بدمار شامل وحريق تركا في موقع المدينة فجوة استمرّت حتى بداية عصر الحديد (القرن 12 ق.م) ، تلك الفجوة التي تشير إلى أن حاصور لم تُأخذ عنوةً من قبل عدو ، بل إنها هُجرت بسبب فقر واضطراب سياسي (1) ... وينفي طمسن وجود علاقة تاريخية بين حريق حاصور في القرن الثالث عشر (العصر البرونزي الأخير) وأي من المستوطنات الجديدة في العصر الحديدي الأول ، تلك المستوطنات التي يرى الباحث "يادين" أنها تحمل شواهد هامة على فهم عملية استيطان الإسرائيليين ، معلّقا بالقول : " حينذاك تمكنت حاصور من أن تكون مدينة حقيقية ... " (2) وقد نسج "يادين" بذلك على منوال الباحث "ألبرايت" الذي يربط بين تدمير المواقع الكنعانية في الجليل أواخر العصر البرونزي وظهور المستوطنات الإسرائيلية في بداية العصر الحديدي ، ويستنتج أيضًا وجود عبرانيين قدماء في المنطقة اندمج معهم بسرعة "الإسرائيليون الحقيقيون" (3) فسيطروا على الكنعانيين دون أن يتأثروا بثقافتهم ، وذلك استنادا إلى الإنقطاع المفاجىء بين ثقافة الكنعانيين في أواخر العصر البرونزي وبين ثقافة الإسرائيليين في بداية عصر الحديد - حسب المكتشفات الأثرية وحسب ألبرايت (4) .

و ينضم الباحث "رايت" إلى رأي "ألبرايت" فيستنتج - هو الآخر - أن بروز المدن

1- طمسن : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ص 170

2- Yadin : Op. cit. P494

3 - وبالطبع يقصد بهم "ألبرايت" جماعة يشوع الذين غزوا أرض كنعان حسب العهد القديم.

4 - Albright. William Foxwell : From the Stone Age to Christianity, Monotheism and the Historical Process, Newyork 1957 PP 279, 284, 285.

الفينيقية وانطلاق نهضتها في مطلع القرن الحادي عشر ق.م ، إنما يعود إلى استيلاء الإسرائيليين على مرتفعات الجليل الكنعانية وسيطرة الآراميين على سوريا الشرقية مما حصرالسكان الأصليين في منطقة الساحل ليكوّنوا قوة تجارية(1) وقد راجع الباحث طمسن أراء الباحثين السابقين وأحالها إلى"الإلتزام" الإيديولوجي الديني المسبق لدى المؤرخين والآثاريين التوراتيين للربط بين عصرالحديد وإسرائيل ..." (2). وعصر الحديد هو عصر فلستي (3)، ولا أساس من الصحة لمحاولة الباحث "رايت" إعطاء الإسرائيليين دوراً - ولو غير مباشر - في انطلاق النهضة الفينيقية مع مطلع القرن الحادي عشر ، فالدور الحقيقي يعود إلى الفلستيين - كشعب من شعوب البحر - تكنعن (4) ورفع مستوى الحضارة الكنعانية من البرونز إلى الحديد ، وتولى مسؤولية محاربة بني إسرائيل في أرض كنعان (5)، وكان قبلها قد أنهى حالة التسلّط المصري على سورية

---

1 - Wright George Ernest : "The old Testament" in : the Book of the Acts of God. ed. Wright. G.E, Fuller. R.H, London, 1960. P 110.

2 - طمسن : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ص 171 .

3 - راجع الفقرة الخاصة بالشعب الفلستي .

4 - راجع الفقرة الخاصة بالشعب الفلستي والمبحث الخاص بالإله "دجن"

5 - تشير دراسة معظم أسفار العهد القديم - ولا سيما أسفار القضاة وصموئيل أن الخطر الوحيد تقريبًا الذي كان يهدد بني إسرائيل في أرض كنعان هو خطر الفلستيين الكنعانيين، ومن الخارج الخطر الآشوري . أنظر ما سيأتي لاحقًا حول هذا الموضوع .

و فلسطين مما أدى إلى استقلال المدن الفينيقية وانطلاق نهضتها (1)

وينهي "مالامات"دراسته حول العلاقات التجارية بين حاصور وماري (القرن 18ق.م) بالقول إن حاصور في تلك الفترة مدينة مزدهرة وذات مكانة في المنطقة ، ويستشهد بشاهد سفر يشوع الذي يؤكد زعامتها على المدن الكنعانية (2) ، ويذكّر بتنقيبات الباحث "ييجال يادين" في موقع المدينة ، حيث عكست المكتشفات الآثارية مكانة المدينة - حسب مالامات (3) .

وهكذا نلاحظ أن الباحثين التوراتيين قد حاولوا قدر الإمكان جعل العهد القديم شاهداً على المعلومات الأثرية والتاريخية المتناثرة حول مدينة حاصور دون الأخذ بعين الإعتبار مسألة غياب التأريخ والأدلّة القاطعة من فرضياتهم ، معتمدين على

---

1 - حول هذا الموضوع أنظر البحوث التالية في الموسوعة الفينيقية "لمسكاتي" :

Moscati.Sabtino(ed) : "The Phoenicians", Milan, Bompiani, 1987

- Moscati.s : "Who were the Phoenicians" P 24
- Pernigotti Sergio : "Phoenicians and Egyptians", P 524
- Bondi Sandro Filippo : The course of History P 38
- Bartoloni Piero : Commerce and Industry P 78

2 - ويقول هذا الشاهد : (... كي حصور لفنيم هيا راش كل همملكوت هإله) أي : لأن حاصور كانت قبلاً رأس جميع تلك الممالك . أنظر يشوع (يهوشع) 11 : 10

وقد جعل "مالامات" من هذا الشاهد عنواناً لدراسة صدرت عام 1960 ، أنظر

- Malamat : Hazor, the Head of All those Kingdoms, Journal of Biblical Literature, (79) 1960 P12.

3 - Malamat : Silver, Gold and Precious stones from Hazor in a New Mari Document, (B. A) 46 , 1983 P172

روايتي خروج بني إسرائيل من مصر وغزوهم أرض كنعان بقيادة يشوع ، ومؤكدين أن نهاية العصر البرونزي في الجليل الكنعاني - متمثلاً بحاصور - كانت على يدي يشوع ، وأن عصر الحديد إنما بدأ مع ظهور المستوطنات الإسرائيلية في الجليل كنتيجة للغزو اليشوعي ... وفيما يرى بعض الباحثين إستحالة إثبات إسرائيلية العصر الحديدي في الجليل الكنعاني وعجز الحفريات الأثرية في المنطقة عن إثبات ما هو إسرائيلي (1) ، تظهر أهمية التأريخ ... "فألبرايت" نفسه - صاحب نظرية توافق علم الآثار مع المرويات التوراتية (2) ، والمتشبّث بزعمه أن خروج بني إسرائيل من مصر قد تم فعلاً في أوائل القرن 13ق.م (3) ، وأن الغزو الإسرائيلي لأرض كنعان بدأ في أواخر القرن 13 ق م (4) - يخالف التواريخ المذكورة في العهد القديم لإثبات نظريات ما ، ويوافقها لأجل نظريات أخرى ...

فعلى سبيل المثال يؤكّد "ألبرايت" أن القرن العاشر ق م هو عهد داود وسليمان ليثبت صحة المرويات التوراتية حول هذا العهد ولا سيما صداقة حيرم - ملك صور وصيدا في القرن العاشر - لداود و سليمان(5) وهذا التأريخ - بالنسبة

---

1 - أنظر طمسن : مرجع سبق ذكره ، ص 23

2 - ويليام ألبرايت (1889 - 1971 م) مؤرخ وعالم آثار أمريكي عمل في آثار فلسطين المحتلة ، وهو مؤسس المدرسة التوراتية التقليدية ، ويُعتَبَر الباحثون الإسرائيليون الورثة الحقيقيين لآرائه وأفكاره. حول هذا الموضوع أنظر : - Meyers. Eric M : "The Bible and Archaeology" PP 36 - 40, in : (B. A). Vol 47. N1. 1984. P. 37

3 - أنظر يوسف صموئيل : "المدخل إلى العهد القديم" القاهرة 1993 ص 130

4 - طمسن : المرجع السابق الذكر ص 23

5 - أنظر : Albright. W. F : "The Archaeology of Palestine". London 1960. P 122 -

لألبرايت وكل الباحثين التوراتيين – هو تأريخ لا لبس فيه ، ولكن إذا قبلنا – جدلا- ما جاء في سفر الملوك الأول من أن سنة 480 لخروج بني إسرائيل المزعوم من مصر هي السنة الرابعة لمُلك سليمان (1)، فإن تأريخ الخروج يكون عام 1447 ق.م -استناداً إلى أن سليمان ملك بدءاً من 971 ق م (2) ... وتأريخ الخروج هذا يناقض التأريخ الذي يعتمده "ألبرايت"- وهو أوائل القرن الثالث عشر كما ذكرنا – إذاً فحسب تأريخ ألبرايت للخروج يكون عصر داود وسليمان في القرنين التاسع والثامن ق.م ، وهذا يناقض تماماً تقليد المدرسة التوراتية التي أسسها ألبرايت .

وبذلك نجد أن ألبرايت اصطنع تأريخاً لغزوٍ إسرائيلي لأرض كنعان في أواخر القرن الثالث عشر ق.م من أجل أن يتحدث عن مستوطنات إسرائيلية في الجليل الكنعاني في بداية عصر الحديد ، الأمر الذي يثير الشك حول الغزو نفسه ، وذلك ما نوّه إليه "طمسن" – كما رأينا – . وبالعودة إلى شواهد العهد القديم نجد أن "حاصور" – في عصر الحديد – مملكةٌ كنعانية لها ملك إسمه "يبين" وقائد جيش إسمه سيسرا يمتلك تسعمائة مركبة "حديد" – كما ذكرنا سابقًا– ومن غير المؤكد أن يكون "يبين" – المذكور في سفر القضاة – غير "يبين" المذكور في سفر يشوع ... وهذه مسألة هامة لم يناقشها الباحثون بل حسمها بعضهم بالقول " إن "يبين" لقبٌ لملوك كنعان (3) وذلك لتبرير ورود إسمه في روايتين من روايات العهد القديم ، واحدة في سفر يشوع وأخرى في سفر القضاة .

---

1 – أنظر ملوك أول 6 : 1

2 – أنظر سعيد حبيب : قاموس الكتاب المقدس ص 340

3 – مثل سوسة أحمد : " العرب واليهود في التاريخ" دمشق 1973 ص 467 وأيضا بشاي سعيد بشاي : قاموس الكتاب المقدس – ص 282 – 283 .

وبالرّغم من أن أحداث سفر القضاة تبدأ بعد موت يشوع (1) ، ووجود اختلاف بين الروايتين اللتين يُذكر فيهما "يبين" ، فإن احتمال كون "يبين" نفس الملك واردٌ لأن السفرين المذكورين لا يشيران إلى "يبين" كلقب لملكين مختلفين ، كما أنهما السفران الوحيدان – في العهد القديم – اللذان يذكران إسم "يبين" ، أي أن ملوك "كنعان" لم يلقبوا به ... ويضاف إلى ذلك أن يشوع – وحين أحرق حاصور حسب رواية سفره – لم يعلن القضاء على "يبين" ، بينما نجد أن سفر القضاة قد أعلن عن "إبادة يبين" وربما كانت تلك "الإبادة" مبالغةً شعرية إذ أن أحداث المعركة التي انتهت بهزيمة "يبين" وقائد جيشه "سيسرا" ، وردت ضمن قصة نثرية شعرية ترنّمت بها قاضية إسرائيلية حسب سفر القضاة (2) ... وبالعودة إلى سطور تلك القصة فإننا لا نجد فيها ما يصلح لأن يجسّد حدثًا تاريخيًا (3) إذ جاء فيها أن قاضية إسرائيلية إسمها "دبوره" كانت جالسةً تحت نخلة ، أرسلت في طلب شخص إسمه "برق" (باراك في العبرية الحديثة) وحثته على مواجهة جيش يبين الذي يقوده سيسرا فمازحها برق قائلاً : "إن ذهبتِ معي أذهب وإن لم تذهبي معي فلا أذهب" فوافقت "دبورة" دون تردد معلّقة بالقول : "ولكنك لن تجد ما تفتخر به لأن "سيسرا" سيقع بين يديّ امرأة ... "

---

1 – قضاة 1 : 1

2 – أنظر الاصحاحين 4 ، 5 من سفر القضاة ... وأيضا المقال الذي نشرته مجلة الآثار التوراتية حول التنقيبات في الأرض المحتلة عام 1994 :

- "Summer in the sand" : (B.A.R), vol 20 N1 , 1994 P57.

3 – يجدر بالذكر أن هناك شكوكًا بتاريخية عصر القضاة الذي تنتمي إليه أغنية القاضية الإسرائيلية "دبورة" حسبما جاء في دراسة الباحث "طمسن"... أنظر كتابه المذكور سابقًا ص 69 – 75 .

وذهب الإثنان مصطحبين عشرة آلاف مقاتل لمواجهة جيش سيسرا المزوّد بتسعمائة مركبة حديد.. وفي أرض المعركة حثّت "دبورة" "برق" مجدّدًا قائلة له: "إنها فرصتك" وبعون "يهوه" تفرّق جيش "سيسرا" ... أما "سيسرا" فقد نزل من مركبته وهرب على رجليه ليختبىء في خيمة امرأة إسمها "يعل" ، بين "يبين" وآل زوجها صلحٌ قديم ... فهدّأت "يعل" من روع "سيسرا" واستمالته إليها وسقته الحليب ... ثم غدرته وضربته بوتد الخيمة فخرّ صريعًا ... وفجأة حضر "برق" - الذي كان يطارد "سيسرا" - فاستقبلته "يعل" لتريه غريمه صريعًا ... الأمر الذي أذلّ "يبين" ومكّن الإسرائيليين من إبادته ... وتفتخر "دبورة" في ترنيمتها بنفسها و"بيعل" - قاتلة "سيسرا" - وتسخر من أم "سيسرا" فتقول إنها أخرجت رأسها من الشبّاك وولولت مستغربةً تأخر مركبات إبنها ... وتضيف "دبّوره" : ربّما لأن جنوده لم يجدوا الغنيمة ويقسموها ، فتاةً أو فتاتين لكل رجل ...

وهكذا نجد أن أغنية "دبورة" نوع من القصص الخرافية التي يزخر بها العهد القديم ، ولا يمكننا الإفادة منها إلاّ بالتقاط بعض الإشارات لعل أهمّها - في أغنية "دبورة" - هو وجود جيش كنعاني في حاصور مسلح بالمركبات الحديدية أثار - بشخص قائده سيسرا - رعب الإسرائيليين الرعاة (1) الذين لم يكن بوسعهم مواجهة الكنعانيين ، فجاء رد فعلهم نثرًا وشعرًا في إطار يعكس "الأدب الرعوي" ، "فدبوره" - حسب سفر القضاة - نبية وقاضية (2) ، مقرها تحت نخلة سُمّيت باسمها (3) ... أما "يعل" -

---

1 - لاحظ ذلك من خلال شاهدي سفر القضاة 4 : 2 ، 3 ، وأيضا صموئيل الأول 12 : 9.

2 - قضاة 4 : 4

3 - قضاة 4 : 5

قاتلة سيسرا - فمسكنها خيمة (1) ، لكن أم "سيسرا" فتسكن بيتًا له شبابيك وكوى (2).

و من الإشارات إلى الطابع البدوي للقصة أن "سيسرا" طلب من "يعل" ماءً فقدمت له حليبًا (3) ، وكذلك نجد في الأغنية تركيزًا على أن سيسرا نزل من مركبته وسار على رجليه (4) ، وأن مركباته أبطأت وتأخرت (5) ، وذلك بأسلوب لا يخلو من التهكّم ...

و للإشارة ، فإن استخدام الكنعانيين لمركبات الحديد - وبكثرة - كان يؤرق الإسرائيليين ويثير خوفهم وقلقهم (6) ، وحسب أحد شواهد سفر يشوع ، فيبدو أن استخدام المركبات لم يكن مقتصرًا على الجيش فقط (7) ، في الوقت الذي كان فيه "الحمار" وسيلة التنقل المألوفة لدى بني إسرائيل (8) ...

ومحصلة القول فإن سفر القضاة يخلط بين الأحداث ويتخيل وقوع بعضها - على غرار معظم أسفارالعهد القديم - وتبقى مسألة التأريخ الدقيق غائبة ، ومع ذلك فإذا أخذنا بعين الإعتباربعض الإشارات الملتقطة من سفري القضاة ويشوع،نلاحظ أن

---

1 - قضاة 4 : 17

2 - قضاة 5 : 28

3 - قضاة : 4 : 19

4 - ورد ذلك في شاهدين ... أنظر قضاة 4 : 15 ، 17

5 - قضاة 5 : 28

6 - أنظر يشوع 17 : 16 ، 18

7 - يشوع 17 : 16

8 - قضاة 1 : 14

الملك "يبين" هو نفسه الذي تحدث عنه السفران ، فهو في سفر القضاة ملك لحاصور التي لها جيش مسلح بمركبات حديد ، ولئن غاب ذكر مركبات الحديد إلى جانب "يبين" من سفر يشوع ، فإن تلك المركبات مذكورة في السفر - وحتى عندما كان يشوع على قيد الحياة (1) - كما أن استعمال الحديد في أرض كنعان يشير إلى فترة ما بعد عام 1200 ق م - وهي الفترة التي استقر فيها الفلستيون هناك ... وسفر يشوع نفسه يؤكد أن الفلستيين كانوا مستقرين في أرض كنعان - في غزة وأشدود وعسقلان وجت وعقرون - أثناء وجود يشوع (2) ...

إذًا فلو تمّ غزو يشوع لحاصور - حسب العهد القديم - يجب أن يكون قد تم بعد نهاية العصر البرونزي بفترة طويلة ، وهي على الأقل الفترة التي استغرقها استقرار الفلستيين في المنطقة ، إذًا ، لا وجود لدليل توراتي على فترة انتقالية أو "فجوة" بين دمار حاصور في أواخر العصر البرونزي على يدي يشوع ، ومستوطنات إسرائيلية في بداية العصر الحديدي ، كما لا وجود لفاصل زمني هام بين الأحداث التي يذكرها سفر يشوع وتلك التي يذكرها سفر القضاة - على الأقل فيما يتعلق بحاصور - أي أن يشوع لم يستطع تهيأة حاصور لاستيطان بني إسرائيل الأمر الذي يرجّح رأي الباحث "طمسن" في أن حاصور - في نهاية عصر البرونز - انتهت كأوجاريت بدمار دون احتلال ، سيما وأن بني إسرائيل في سفري يشوع والقضاة

---

1 - يشوع 17 : 16 ، 18

2 - يشوع 13 : 1 ، 2 ، 3 ، لاحظ أيضا أن "سيسرا" يُذكر جنبًا إلى جنب مع الفلستيين في سفر صموئيل الأول 12 : 9 .

هم مجرّد جماعات غير مستقرة ولا وجود لأي نشاط جماعي فيما بينها ، كما لا ابنية موحدة لها (1) لمواجهة ممالك المدن الكنعانية التي كانت تتزعمها حاصور .

وآثاريًا ، يقدّم موقع حاصور - تل القدح اليوم - مجموعة من المكتشفات العائدة إلى عصر البرونز الأخير والعصر الحديدي الأول تشمل بقايا معمارية لمعابد وحصون ومخازن وأنظمة مياه ، ومعاصر زيتون وجرارًا وأوانٍ ذات طراز يحمل تأثير الساحل الفينيقي (2) ... وفي حين يصف الباحثون الإسرائيليون تلك المكتشفات بأنها "كنعانية وإسرائيلية"(3) فإنهم لا يقدّمون أدلة على ذلك ، ويلاحظ هنا الباحث "طمسن" أن روابط الجليل كانت مع الساحل الفينيقي وسوريا ووادي الرافدين ، بينما لا تتوفر لدينا أدلّة تاريخية أو أثرية على روابط مع "إسرائيل" التي مازالت تبحث عن تعريف (4) .

وتنقطع أخبار حاصور في أسفار العهد القديم بعد ذكرها مجددًا في سفري الملوك ، فيشير أحد الشواهد إلى أن الملك سليمان قرر بناء حاصور (5) ... بينما يشير

---

1 - طمسن : المرجع المذكور سابقًا ص 96

2 - نفس المرجع ص 167 - 170

3 - أنظر إلى المقال المنشور في "Summer in the Sand" (B.A.R) 20 1994 P57 -

4 - طمسن : المرجع السابق ص 172 .

5 - ملوك أول 9 : 15 ... ويجدر بالذكر أن بعض الباحثين يرون من هذا الشاهد أن سليمان " أعاد بناء " حاصور أو "حصّنها" ... أنظر :

Ahlström. G.W : Royal Administration and National Religion in Ancient Palestine in: Studies in the History of the ancient Near East. Ed.M.H.E.Weippert.Vol I.Leiden1982 P36

- Parr. Peter : The Levant in the Early First Millennium B.C in : The Cambridge Encyclopedia of Archaeology. Ed : Andrew sherratt. London 1980 , P197

شاهد آخر إلى أن "تجلت فلاسر ملك آشور" - كما ورد في النسخة العبرية - هاجم حاصور وسبى سكانها إلى آشور في النصف الثاني من القرن الثامن ق م (1)

و أخيرا ، فإن الإهتمام الخاص بحاصور من قبل الباحثين التوراتيين يعود إلى "موقع" تلك المدينة الكنعانية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وفي مرويات العهد القديم ، وخاصة في سفري يشوع والقضاة ، اللذين حاول أولئك الباحثون من خلالهما إثبات استيطان الإسرائيليين في الجليل الأعلى - في بداية عصر الحديد - بينما لم تثر مثل هذه الضجّة حول القدس - على الأقل في زمن يشوع - لأن كاتب السفر يقر بعدم تمكّن الإسرائيليين من التغلّب على سكّانها الأصليين - كما رأينا - .

وختامًا ، فإن لمحةً عن مدينة حاصور لا يمكن أن تُقدَّم دون الرجوع إلى الفرضيات والآراء المختلفة التي أحاطت بالمعلومات الخاصة بالمدينة في ضوء العهد القديم .

وكما لاحظنا فمعلومات العهد القديم حول المدينة - كفضاء معماري - كانت ضئيلة ، إذْ لا حديث عن أسوارها ومعالمها الأخرى بل يكتفي الكاتب التوراتي بالإشارة إليها كمدينة عظيمة (أم سيسرا تسكن بيتًا له نوافذ ...)

1- ملوك ثانٍ 15: 29 ... أنظر أيضًا: Summer in the sand : Op. Cit P57 -

22 - حبرون (الخليل) :

مدينة كنعانية إسم ملكها "هوهم" حسب سفر يشوع الذي يذكر حبرون من بين الممالك الكنعانية الخمس التي حاربت مدينة جبعون بسبب صلحها مع إسرائيل - كما رأينا - .

وكان اسم حبرون - حسب سفر التكوين - قرية أربع (1) ، وفيها سكن إبراهيم ودفن زوجته "سَره" (سارة) في مغارة حقل المكفلة (معرت شده همكفله) ، ذلك الحقل الذي اشتراه إبراهيم من "بني حت" الذين كانوا يسكنون في حبرون (2) .

ويطلعنا ثمن الحقل على وسيلة شراء كانت معروفة في حبرون وهي "الشقل" الفضّي - الثقل - إذ جاء في الشاهد أن ثمن الحقل هو (أربع مأوت شقل كسف عبر لسحر) (3) أي : أربعمائة ثقل فضة جائزة عند التجّار .

وفي نفس الحقل - أيضًا - دُفن إبراهيم ، وبعده إبنه إسحق وزوجته رفقة ، ثم يعقوب وزوجته ليئة (4) ...

---

1 - تكوين 23 : 2

2 - تكوين 13 : 18 ، 23 : 1 - 20 ...

وبالنسبة إلى "بني حت" الوارد ذكرهم ، فهم "الحثيون" الذين يُذكرون في قائمة الشعوب الذين كانوا يعيشون في أرض كنعان - حسب العهد القديم - مثل القينيين والقنزيين والقدميين والفرزيين والرفايم والأموريين واليبوسيين ... (تكوين 15 : 20 .... خروج 3 : 8 ...) و"حت" هو الإبن الثاني لكنعان حسب سفر التكوين (تكوين 10 : 15) ... أنظر ما سيرد بشأن الحثيين في الفصل الخاص بالحوليات الآشورية ...

3 - تكوين 23 : 16

4 - تكوين 25 : 10 ، 49 : 31 ، 50 : 13

وما يلفت الإنتباه في موت يعقوب وتشييع جثمانه من مصر إلى حبرون في أرض كنعان (1) ، هو أنه تمّ بالطريقة المصرية ، فحين مات يعقوب حنّطه الأطباء المصريون : (... ويحنطو هرفايم إت يسرال) (2) أي وحنّط الأطباء إسرائيل (يعقوب) ... وبعد تحنيطه بكى عليه المصريون سبعين يومًا : (ويبكو أتو مصريم شبعيم يوم) (3) ... وحين وصلت الجنازة إلى "بيدر أطد" في الأردن ، أقيمت ليعقوب مناحة (آبل) لمدة سبعة أيام فعرف أهل البلاد الكنعانيون أنها مناحة مصرية حين رأوها (4) ... ثم حمل بنو يعقوب أباهم ودفنوه في حبرون ، في حقل المكفلة (5) . ونحن نفيد من مراسم تشييع يعقوب ودفنه في الإستنتاج بأن يعقوب وُلد آراميًا وعاش كنعانيًا ومات مصريًا (6) ... وهي مسألة رمزية ، فمسيرة يعقوب الذي أعطى بنيه إسم بني إسرائيل هي مسيرة تشتُّت تابعها - بتشتت أكبر - أبناؤه الاثنا عشر - الذين لم يولد أحد منهم في أرض كنعان كما رأينا - وأرض كنعان - حسب العهد القديم دائمًا - هي أرض غربتهم جميعًا من ابراهيم إلى أشر - أصغر أبناء يعقوب - (7) ...

---

1 - وحسب سفر التكوين 47 : 27 - 31 فقد التحق يعقوب بابنه يوسف في مصر وعاش هناك سبع عشرة سنة ثم مات .

2 - تكوين 50 : 2

3 - تكوين 50 : 3

4 - تكوين 50 : 10 ، 11

5 - تكوين 50 : 13

6 - توجد في سفر التثنية 26 : 5 إشارة إلى أن يعقوب كان آراميًا تائها : (..... أرَمي أُبد أبي ويرد مصريمه) أي : (آرامي تائه أبي ، قصد مصر) .

7 - راجع تكوين 35 : 27 ، 37 : 1

ويذكر سفر العدد أن حبرون هي إحدى المدن التي وصل إليها جواسيس موسى - بعد الخروج المزعوم من مصر (1) - ووجدوا بني عنق (العناقيين) ساكنين فيها ، فخافوا (2) ...

وأخيراً فقد سمّيت حبرون مدينة الخليل لأنها مدينة إبراهيم - حسب الباحثين في الكتاب المقدّس (3) - واستناداً إلى ما جاء في كتاب العهد الجديد (الإنجيل) من أن إبراهيم خليل الله (أوهب إلهيم) (4) ... وتبعد "الخليل" مسافة 30 كم تقريبًا عن مدينة القدس وإلى الجنوب الغربي منها (5) .

---

1 - جاء في سفر العدد 13 : 1 : (ويدبر يهوه إل مُشِه لامر : شلح لك أنشيم ويترو إت إرص كنعن ...) أي : (كلّم يهوه موسى قائلاً : أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان ...)

2 - عدد 13 : 22 ... أنظر ما سيأتي حول العناقيين في "مدينة غزّة" ...

3 - بشاي سعيد بشاي : قاموس الكتاب المقدس ، ص287

4 - رسالة يعقوب 2 : 23

5 - بشاي : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

23 - دور :

مدينة كنعانية فينيقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط تعود إلى عصر البرونز وتقع إلى الجنوب من جبل الكرمل ، وهي حاليًا مدينة البرج بالقرب من الطنطورة (1) .

وهي مملكة حسب سفر يشوع الذي يذكر أنها إحدى الممالك التي شاركت بجيشها في تحالف كنعاني - قاده يبين ملك حاصور - لمحاربة يشوع عند نبع مِروم - في شمال فلسطين - ... وذُكر من بين أعضاء التحالف كل من "يوبب" ملك "مَدُون" وملك شمرون وملك "أكشف" ... والكنعانيين في الشرق والغرب والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين في الجبل والحويين تحت حرمون (2) ...

وقد هبّ الجميع لمحاربة يشوع وإيقاف زحفه - حسب السفر - سيما وأنه ضرب "مقده" و "لبنه" و "لكيش" و "جزر" و "عجلون" و "حبرون" وغيرها (3) ... وكانت جيوش الممالك الكنعانية - تحت قيادة يبين ملك حاصور - مزوّدة بمركبات تجرها خيول (سوس وركب) أي خيل ومركبات (4) .

وتفيدنا الشواهد السابقة في التأكيد على وجود فكرة التحالف والإتحاد بين مدن الممالك الكنعانية لدى شعورها بالخطر . علمًا أن غزو يشوع للممالك المذكورة غير مُثبت تاريخيًا وأثريًا كما رأينا في مدن سابقة ، وكما سنرى في مدن آتية ...

وحسب معطيات سفريْ يشوع والقضاة ، فإن دور لم تخضع ليشوع وبني إسرائيل

---

1 - Summer in the Sand. OP. Cit. P55 -

2 - يشوع 11 : 1 - 5

3 - يشوع : 10 : 28 - 40

4 - يشوع 11 : 4

وذُكرت في سفر القضاة بسكّانها الكنعانيين (1) ، وفي سفر الملوك الأول نقرأ بعض الشواهد ذات العلاقة "بدور" منها أن شخصًا إسمه "ابن أبيندب" كان أحد وكلاء سليمان – في "إقليم" دور – لتموين سليمان وبيته : (ولشلمه شنيم عسر نصبيم ... وكلكلو إت هملك وإت بيتو ، حدش بشنه يهيه عل أحد لكلكل ... وإله شموتم : ... وبن أبيندب كل نفت دار ، طَفة بت شلمه هيته لو لإشه) (2) أي : (ولسليمان اثنا عشر وكيلاً ... يموّنون الملك وبيته ، كل واحد يموّنه شهرًا في السنة ... وهذه أسماؤهم : .... وبن أبيندب في كل "إقليم" دور ، وقد كانت "طفة" بنت سليمان زوجة له) ...

إن التمعّن في الشواهد السابقة لا يسمح بالإستنتاج بأن "دور" كانت تحت حكم سليمان وتدفع له الجزية (3) ... فالجزية لم تذكر في الشواهد ، كما أن الإسم الفينيقي لوكيل إقليم دور – بن أبيندب (4) –وكون طفة بنت سليمان زوجة له ، لا يعني – حتمًا – أن "ابن أبيندب" حاكم إداري "لدور" معيّنٌ من قبل سليمان ومرتبط معه بحلف مصاهرة (5) ، كما لا يعني ذلك أن "الإسرائيليين" كانوا مسيطرين على

---

1 – قضاة 1 : 27 ، 28 ، أنظر أيضًا :

- Stewart, Andrew : "A Death at Dor" in : (B.A.R). Vol 19 N2, 1993, P36

2 – ملوك أول 4 : 7 ... 12

3 – يرى الباحث في الكتاب المقدس ، كامل مراد ، أن دور كانت تدفع الجزية لسليمان استنادًا إلى شاهد سفر الملوك الأول ... أنظر قاموس الكتاب المقدس ، ص 380 ... وهذه – كما نرى – قراءة خاطئة لشاهد سفر الملوك.

4 – حسب الباحث أندري ستيوارت : - Stewart : OP. Cit : P. 36

5 – يرى ستيوارت أن "بن أبيندب" كان حاكمًا لأحد الأقاليم الإدارية التابعة لسليمان ، وتلك قراءة خاطئة أيضًا لشاهد سفر الملوك أنظر : ... Ibid

دور ، سيما وأن آثار عصر الحديد الثاني في المدينة (القرن العاشر ق.م) لا تحمل أيّة ملامح "إسرائيلية (1) والقرن العاشر - كما هو شائع - هو الفترة التي يسميها بعض الباحثين فترة سليمان استناداً إلى العهد القديم ... وهي - أيضاً - الفترة التي سجّلت صمتاً أثرياً تاماً لكل ما يرتبط بسليمان وروايات العهد القديم حوله (2) .

و الأمر بالنسبة إلى "ابن أبيندب" لا يعدو كونه علاقة تجارية بينه وبين سليمان ، وذلك إذا عزلنا نص سفر الملوك الأول عن الإطار الذي ورد فيه ، وهو تضخيم لشخصية سليمان وإبرازٌ له على أنه "امبراطور" مسيطر على "جميع الممالك من النهر أرض الفلستيين وإلى تخوم مصر" : (كل هممملكوت من هنهر إرص فلشتيم وعد جبول مصريم ...) (3) . هذا التضخيم لشخصية سليمان لم يبق دون مراجعة وانتقاد إذ يرى كل من ميلر و هايز (Miller and Hayes) أن سليمان الثري لم يكن أكثر من "زعيم محلّي" و لا يمكن اعتباره امبراطوراً (4) ... كما أن مملكة

---

1 - يؤكد ستيوارت أن سيطرة الإسرائيليين على دور كانت أمراً واقعاً، ومن جهة أخرى ينفي وجود ملامح إسرائيلية في آثار المدينة ... أنظر : -Stewartiop. Cit P36

2 - وسيدو لنا ذلك جلياً في صفحات أخرى من هذه الأطروحة ، راجع أيضاً حول هذا الموضوع :

- Leach. E : Anthropological approaches to the study of the Bible during the twentieth Centrury",OP. Cit ,P10- Wightman. G.J : "The mYth of Solomon" in : Bulletin of the American Schools of Oriental Research (BASOR) 228, PP 5 - 22.

3 - ملوك أول 5 : 1

4 - Miller.J.M, and Hayes. J :A History of Ancient Israel and Juda,London 1986, P199

"التوراتية" لم تشمل ساحل المتوسط - ومن ضمنه دور - ذلك الساحل الذي كان تحت حكم الفلستيين والفينيقيين (1).

ويدعونا ذلك إلى الحديث عن المحطات الرئيسية في تاريخ دور ، المدينة الكنعانية الفينيقية ، فأول ذكر لهذه المدينة ورد في وثائق الفرعون رمسيس الثاني - القرن 13 ق.م - إلاّ أن التنقيبات في تل دور أثبتت أن الكنعانيين أسسوا هذه المدينة في القرن العشرين ق.م أي في عصر البرونز الوسيط الثاني ، واستمرت المدينة كنعانية إلى 1200 ق.م ... وبالرغم من اثني عشر موسماً من التنقيب في المدينة - حسب الباحث سترن (2) - فإن المعلومات عن الفترة الكنعانية في دور لازالت ضئيلة ، وقد أفضت مواسم التنقيب السابقة عن الكشف على مجموعة كبيرة من الفخّار العائد إلى عصري البرونز الوسيط والمتأخر ، وكانت نسبة حوالي 50% من هذا الفخار مستوردة وتشير إلى علاقات تجارية ربطت مدينة دور الكنعانية بكل من القبارصة والمينويين والموقينيين ... وقد عُثر في الموقع أيضاً على مجموعة من الأختام المصرية أحدها يعود إلى القرن السابع عشر ق.م ويصوّر جعلين أحاطا بحيّة مقدسة (Ureus) كرمز سحري للصحة والقوة (3) ...

---

1 - Miller and Hayes : OP. Cit, P214

2 - وهو الباحث الذي أدار التنقيبات في تل دور ، ونشر دراساته عن الموقع في مجلة الآثار التوراتية في ثلاثة أجزاء ... أنظر : - Stern. Ephraim : "The Many Masters of Dor" in (BAR) Vol19, N.1-3, 193

كما قام سترن عام 1994 بوضع كتاب عن مدينة دور ... أنظر :

- Stern. Ephraim. Dor (Ruler of the Seas), Jerusalem 1994

3 - Stern : The Many Masters of Dor, N1, PP25,26 -

أنظر أيضاً اللمحة عن المدينة في : Ibid, P24 -

- Stewart : OP, Cit : P36

- Summer in the Sand : OP. Cit, PP 55, 56 .

وحوالي عام 1200 ق.م ظهر السقوليون (Sikils) في مدينة دور ، وهم أحد شعوب البحر ، وقد سجّل هؤلاء حضورهم في المدينة مدة مائة وخمسين عامًا كمرحلة فاصلة بين دور الكنعانية ودور الفينيقية (1) ، وأثبت وجودهم في مدينة دور مخطوط "أونمون" ، ذلك المبعوث الفرعوني إلى جبيل في النصف الأول من القرن الحادي عشر ق.م لجلب الخشب الضروري لإعادة بناء مركب أمون رع ، والذي أرست سفينته في دور خلال رحلتها إلى جبيل (2) ...

وفي عام 1050 ق.م تعرّضت مدينة دور لدمارٍ لم يتمكن الباحثون من معرفة سببه أهو زلزال أم هجوم على المدينة ، وفي حين يطرح الباحثان "ستيوارت" و "سترن" الاحتمالين (3) ، يرجّح "سترن" تعرّض دور لهجوم مدمّر من قبل الفينيقيين في إطار الصراع بينهم وبين بعض شعوب البحر الذين سيطروا على بعض المدن الكنعانية الساحلية - مثل دور - (4) ... وفي مناقشته لهذا الاحتمال ، يحاول "ستيوارت" الربط بين حلول الفينيقيين محل السقوليين في دور - بدءًا من النصف الثاني من القرن 11 ق.م - وبين شاهد سفر الملوك الأول السابق والذي فسّره ستيوارت" قائلاً : إن حاكمًا إداريًا فينيقيًا لدور - وهو "ابن أبيندب" - كان ضمن قائمة الحكام المعينين من قبل سليمان ... الأمر الذي يعني - بالنسبة إلى "ستيوارت" - إمكانية الهجوم الفينيقي على دور(5) وبينما استخدم

---

1 - Stern : OP Cit, P25

2 - Ibid, P26 أنظر أيضًا . فنطر : الفينيقيون بناة المتوسط ، مرجع سبق ذكره ، ص 13 ، 14

و أيضًا : Markoe : Phoenicians, OP. Cit P30

3 - Stewart : OP. Cit, P36. Stern : OP Cit, PP 27, 30,

4 - Stern, P 30

5 - Stewart, P36

ستيوارت "سليمانَ" لتأكيد الهجوم الفينيقي ، فقد استخدم "سترن" داودَ" لتأكيد هذا الهجوم وتأريخه قائلاً إن الفينيقيين اكتسحوا دور قبل خمسين عامًا من تولّي داود عرش المملكة المتحدة - أي عام 1000 ق.م حسب سترن - ، وفي عام تولّيه العرش ، هاجم داود الفلستيين في مدن كنعان الساحلية الجنوبية ثم احتل الساحل الشمالي - ومن ضمنه دور - ، ولكن - وحسب سترن - فإن أحد الملكين - أي داود أو سليمان - قرر الإنسحاب من بعض المدن الساحلية في الشمال مقابل تعاون اقتصادي وتجاري مع الفينيقيين ، الأمر الذي أدى - حسب سترن أيضًا - إلى نهضة فينيقية في مجالات العمارة وبناء السفن والموانىء والتجارة (1) ...

ونحن إذ لسنا بصدد مناقشة مسألة التعاون بين سليمان والفينيقيين - والتي سنناقشها فيما بعد - فإن "سترن" ادعى ما لم تثبت صحته الأدلة الأثرية ، وما لم يأتِ العهد القديم - أصلاً - على ذكره ، وخاصة احتلال داود لمدينة دور ، وهذه المعلومة لا أساس لها من الصحّة ، فسترن يقول في دراسته : فقط في حكم داود تمّ إلحاق المنطقة المحيطة بدور "بالأراضي الإسرائيلية" (2) ، ويوثّق سترن معلومته هذه استنادًا إلى شاهدين من سفر صموئيل الثاني ، ولكن لا يُفهم من هذين الشاهدين أن داود احتل دور ، فالشاهدان يتحدثان عن المناطق التي جابها يوآب قائد جيش داود (شر هحيل =قائد الجيش)من أجل إحصاء سكان"إسرائيل ويهوذا"(3) وقد جاء في الشاهدين ما يلي : (ويباو هجلعده وإل إرص تحتيم حد شي ويباو دنه يعن وسبيب إل صيدون ، ويباو مبصر صُر وكل عري هحوي وهكنعني

1- Stern, PP 30, 31

2- Stern, P27

3- صموئيل الثاني 24 : 1 - 5

ويصأو إل نجب يهوده بئر شبع) (1) ... أي : (وأتوا إلى جلعد وإلى أرض تحتيم حدشي ، ثم أتوا إلى دان يعن ، واستداروا إلى صيدا ، ثم أتوا إلى حصن صور وكل مدن الحويين والكنعانيين ، ثم خرجوا إلى جنوب يهوذا ، إلى بئر سبع) وهكذا فلا توجد إشارة واضحة إلى احتلال داود لدور أو ضمّه المناطق المحيطة بها إليه ، ولو كانت المناطق التي جابها يوآب لإحصاء السكّان قد احتُلّت حقًّا من قبل داود - كما يريد سترن - فإن تاريخ المدن الكنعانية الفينيقية - بما فيها صور وصيدا - يجب أن يُراجع على ضوء " إحصاء يوآب" (2) وشاهدي سفر صموئيل الثاني وآراء سترن التي لا تجد لها تفسيرًا منطقيًا حتى في ضوء العهد القديم ...

وهكذا نلاحظ - من قبل الباحثين ستيوارت وسترن - محاولة لربط تاريخ مدينة دور ومكتشفاتها بشواهد العهد القديم ، وهي محاولة غير مجدية على غرار عديد المحاولات المشابهة والتي واكبت قرنين من الإكتشافات في مواقع الشرق الأدنى القديم .

وأخيرًا تُذكر مدينة دور في نقيشة لملك صيدا أشمن عزر من القرن الخامس ق.م ، تفيد بأن دور ويافا ضُمّتا إلى صيدا (3).وكانت دورقبل ذلك قد تعرّضت لحملة الملك الآشوري تجلت فلاصر الثالث عام 732 ق.م ، وجُعلت مركزًا إداريًا للآشوريين (4) .

---

1 - صموئيل الثاني 24 : 6 ، 7

2 - يكتنف عمليات إحصاء السكّان في العهد القديم الغموض وتتّصف بالمبالغة الكبيرة ، أنظر ما سيأتي حول هذا الموضوع في فصل الحوليات الآشورية .

3 - (KAI) I,14 ...راجع يافا .

4 - Summer in the Sand, OP. Cit. P55

24 - شَعَلْبيم :

مدينـة في أرض كنعان لا يعرف موقعها بدقـة ، واستناداً إلى سفر الملوك الأول ، فقد تكون قريبة من "بيت شمس" (1) .

وهي تُذكر في سفر يشوع بصيغة شَعَلَبين على أنها إحدى المدن الخاصة بسبط "دَن" (2) ...

ويطلعنا سفر القضاة على أن شعلبيم كانت مدينة يسكنها الأموريون (3) الأمر الذي يفيدنا في معرفة أصول السكّان في أرض كنعان وأسماء الأقوام الذين عاشوا فيها .

وأخيراً يذكر سفر الملوك الأول أن "ابن دقر" كان وكيلاً لسليمان في شعلبيم كما "ابن أبيندب" في دور (4) .

---

1 - ملوك أول 4 : 9

2 - يشوع 19 : 42 ... وللإشارة ينفي سفر القضاة أن تكون شعلبيم قد خضعت لسبط دن ... أنظر قضاة 1 : 35

3 - قضاة 1 : 35

4 - ملوك أول 4 : 9

25 - شَكِم (نابلس) :

مدينة كنعانية تبعد حوالي 50 كم عن مدينة القدس و إلى الشمال منها ... وقد ذُكرت في سفر التكوين على أنها أول مدينة في أرض كنعان يدخل إليها إبراهيم - بعد خروجه من مدينة حران - ويقيم فيها مذبحًا (مزبح) ... (1) وكذا يفعل يعقوب لدى عودته من فدان آرام ، فيشتري قطعة حقل في شكم من "حمور الحوّي" وينصب فيها خيمته ويقيم مذبحًا (2) .

وبعد ذلك يروي كاتب سفر التكوين قصة نستطيع من خلالها أن نلتقط بعض المعلومات ، وخاصة من الجانب الإجتماعي ، ففي شكم - حيث حلّ يعقوب - خرجت ابنته "دينة" لترى بنات الأرض ، فرآها "شكم بن حمور الحوي" وأخذها واضطجع معها ... فتعلّقت نفسه بها وأحبّها وطلب من أبيه أن يزوّجه إياها . وحين سمع يعقوب - أبوها - بالأمر ، سكت حتى جاء إبناه من الحقل ... فغضب الرجال واغتاظوا لأن شكم صنع قباحة في "إسرائيل" (3) بمضاجعة ابنة يعقوب . فقال لهم حمور : لقد أحبّ ابني شكم ابنتكم ، أعطوه إياها زوجة وصاهرونا واسكنوا معنا واتّجروا في أرضنا ... أما شكم فقال لأبي دينة وأخويها : زوّجوني الفتاة وأعطيكم ما تطلبون ... فأجاب ابنا يعقوب بمكر قائلين : لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل

---

1 - تكوين 12 : 6 ، 7

2 - تكوين 33 : 18 ..... 20 ... وإقامة المذبح إشارة إلى الإمتلاك (الأرض يمسها القدس) ...

3 - نلاحظ هنا الإستخدام المبكّر جدًا "لإسرائيل" ، إذ أن اسم يعقوب أضحى "إسرائيل" في تكوين 32 : 28 ، ومن الغريب أن يحمل إسم "إسرائيل" مدلولاً جغرافيًا في تكوين 34 : 7 ... الأمر الذي ينطوي على وجود غرض سياسي لدى كاتب سفر التكوين ، بالإضافة إلى استباقه للأحداث التي أدّت إلى إيجاد تعريف لإسرائيل - حسب أسفار العهد القديم طبعًا - ...

أغلف (إيش أشرلو عرله) أي (رجل له غرلة) ، ولكن إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبًا واحدًا ، فوافق حمور وشكم واختَتَن كل ذكر في المدينة ، فحدث في اليوم الثالث - إذ كانوا متوجعين - أن ابنيْ يعقوب شمعون ولَوي استلاّ سيفيهما وقتلا كل ذكر في المدينة بما فيهم حمور وشكم وأخذا دينة من بيت شكم وخرجا ... ثم نهب بنو يعقوب المدينة وكل ما فيها من بقر وغنم وحمير وثروات وسبوا النساء والأطفال ... فقال يعقوب لشمعون ولوي كدّرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين وأنا نفر قليل فيجتمعون عليّ ويضربونني فأبيد أنا وبيتي.. فقالا: أنظيرَ زانية يفعل بأختنا(1).

نلاحظ من خلال هذه القصة أن كاتب سفر التكوين حلّل قتل ذكور مدينة شكم - بمن فيهم زعيم المدينة وابنه - من قبل أبناء يعقوب رغم كونهم غرباء باعتراف يعقوب وكاتب السفر ، والحجّة هي مضاجعة "شكم" "لدينة" ... وهذه الحجة - استنادًا إلى سفر التكوين - باطلة ولا يمكن أخذها بعين الإعتبار أو فهمها على أنها انتقام لشرف العائلة ، إذ أننا نقرأ في الإصحاح الموالي أن "رأوبن" بكر يعقوب اضطجع مع "بلهة" - إحدى زوجات أبيه الأربع وأم أخويه دَن ونفتلي - دون أن نرى أيّ تعليق من كاتب السفر الذي ذكر - فقط - أن يعقوب سمع بالأمر ...(2) .

وثمة فرقٌ كبير بين مضاجعة شكم لدينة ومضاجعة رأوبن لزوجة أبيه وأم أخويه ، ويضاف إلى ذلك أن دينة كانت مقيمة في بيت شكم قبل ارتكاب المذبحة (3) ، واستنادًا إلى النقاش الذي دار بين الطرفين لعقد الزواج ، فإن دينة لم تكن مخطوفة في بيت شكم ... الأمر الذي يؤكد عنصرية أخويها وكاتب السفر ، والرغبة

---

1 - أنظر قصة شكم ودينة في تكوين 34 .

2 - تكوين 35 : 22

3 - تكوين 34 : 26

في إبادة السكان الأصليين للمدينة استناداً إلى حجج باطلة ... وهذا دليل مبكّر من سفر التكوين على العقلية الهمجية التي حلّ بها بنو إسرائيل في أرض كنعان ، وطبيعة تواجدهم في تلك الأرض حسب العهد القديم .

ونلاحظ من خلال القصة السابقة حديثاً عن الختان ، ونرى أن هذه العادة لم تكن متّبعة في أرض كنعان – أو على الأقل في مدينة شكم – استناداً إلى سفر التكوين الذي يتحدث عن ختان الذكور كعهد بين "إلُهيم" و "إبراهيم" : (... همول لكم كل زكر ونملتم إت بسر عرلتكم وهيه لأوت بريت بيني وبينيكم) (1) أي : (يُختَن منكم كل ذكر ، فتختنون في لحم غرلتكم ، ويكون علامة عهد بيني وبينكم ...) ولكن يرى الباحث فلسيان شالي (Felicien Chollay) أن الختان شعيرة سابقة لعصر البرونز وقد جاءت من مصر (2) ، ومورست في مصر في منتصف الألف الثالثة ق.م ، وهي ليست يهودية الأصل (3) .

وأخيراً ، يذكر سفر القضاة أن معبداً "لبعل بريت" كان مُقاماً في شكم (4) ، وقد تمّ الكشف عنه ، ويسمى هذا المعبد في شاهد آخر باسم إل بريت (5) ...

---

1 – تكوين 17 : 10 ، 11

2 – شالي ، فلسيان : موجز تاريخ الأديان مرجع سبق ذكره ، ص164

3 – حول هذا الموضوع أنظر :

– ولفنسون ، إسرائيل : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة 1927 ص 78 .

- Clay. A. T : Light on the Old Testament from Babel. Philadelphia, 1907. P6.

- Hooke. S. H : The Origins of Early Semitic Ritual, London. 1938, PP. 62 - 63.

4 – قضاة 9 : 4 ، أنظر الإله بعل ...

5 – قضاة 9 : 46 .

26 - شمرون :

مدينة كنعانية ومملكة حسب سفر يشوع ، اشتركت مع حاصور ومدون وأكشف في محاربة يشوع تلبيةً لطلب يبين ملك حاصور (1) . ويرى الباحث صموئيل حبيب أنها - حاليًا - قرية السميرية بين عكا وصور (2) .

27 - صفت :

مدينة كنعانية ، يذكر سفر القضاة أنها دُعيت "حرمة" حسب الشاهد التالي : (ويلك يهوده إت شمعون أحيو ويكو إت هكنعني يوشب صفت ويحريمو أوته ويقرا إت شم هعير حرمه) (3) أي : (وذهب يهوذا مع شمعون أخيه وضربوا الكنعانيين سكان صفت وحرّموها ودعوا إسم المدينة حرمة) ...

إلاّ أن المدينة تحمل إسم حرمة قبل هذا الشاهد من سفر القضاة ، وذلك في سفري العدد والتثنية (4) ، وهي - حسب هذين السفرين - المدينة التي انكسرت بالقرب منها جماعة موسى بعد مهاجمتهم من قبل الكنعانيين. ويذكر سفر يشوع أنها مملكة (5) ويرى الباحثون في الكتاب المقدّس أن موقعها الحالي هو تل السبع بالقرب من مدينة بئر سبع (6) .

---

1 - يشوع 11 : 1 ... ويجدر بالذكر أن المدينة تُدعى أيضًا شمرون مرأون في يشوع 12 : 20 ... ويجب التفريق بينها وبين شُمرون (שֹׁמְרוֹן) أي السامرة ...

2 - قاموس الكتاب المقدس ، ص 518

3 - قضاة 1 : 17

4 - عدد 14 : 45 ، تثنية 1 : 44

5 - يشوع 12 : 14

6 - بشاي . سعيد بشاي : قاموس الكتاب المقدّس ص 299 .

28 - صور :

تعتبر صور المدينة الفينيقية الأكثر ذكراً في أسفار العهد القديم ، فقد وردت عنها معلومات في اثني عشر سفراً هي : يشوع ، صموئيل الثاني ، الملوك الأول ، أخبار الأيام الأول والثاني ، عزرا ، إشعيا ، إرميا ، حزقيال ، يوئيل ، عاموس ، زكريا .

وتحمل المدينة إسم (صُر) بعبرية العهد القديم كما في النقائش الفينيقية (1) ، ويعني هذا الإسم (الصخرة) ، ويربط الباحث "جلن ماركو" بين هذا الإسم وبين "الأصول الجيولوجية" للمدينة التي كانت جزيرة (2) إلى أن وصلها "الإسكندر المقدوني" بالبر عام 332 ق.م أثناء غزوه لها ... وهي - إلى الآن - شبه جزيرة على ساحل المتوسط في جنوب لبنان ، تقع في منتصف الطريق بين "عكّا" و "صيدا" .

وحسب "هيرودوتس" فقد أُسِّست مدينة صور عام 2750 ق.م ، الأمر الذي قد يتطابق مع نتائج السبر الكبير الذي أُجري في الموقع عام 1974 م وكشف عن أول استيطان له في فترة البرونز المبكر أي في مطلع الألف الثالثة ق.م ، وقد تواصل الإستيطان في الموقع قرابة فترة خمسمائة عام ، إلاّ أنه هُجر في الفترة الواقعة ما بين 2000 - 1600ق.م - أي فترة البرونز الوسيط - حسبما تشير إليه طبقة سميكة من الرمل (حوالي متر أو أكثر) غطت طبقة البرونز المبكّر ...

وتعود الحياة إلى صور في فترة البرونز الحديث(القرن 16ق.م)، وحسب مكتشفات هذه الطبقة ، فقد بقيت الحياة متقطعة قرابة قرن إلى أن بدأت المنشآت المعمارية

---

1 - أنظر K.A.I.I.19

2 - تجدر الإشارة إلى أنه كان لجزيرة صور قسم يقع في البر المقابل وهو مدينة "أوشو" المذكورة في الحوليات الآشورية ... حول هذا الموضوع أنظر ما سيأتي في فصل الحوليات الآشورية من هذه الأطروحة وتحديداً حوليات الملك "سنحريب" ... راجع أيضاً : Markoe : OP.Cit. PP 197,198 -

بالظهـور مع مطلع القرن 15ق.م وبها تميّـز النصف الثاني من القـرن الرابـع عشر ق.م.

إلاّ أن طبـوغرافيّـة المدينة وأسلوبها المعماري تعدّلا في القرن العاشر ق.م ، أي في زمن الملك "حيـرم" (969 -936 ق.م) الذي ترك بصـمـاته على التـوسع العمـراني ووصل المدينة الرئيسية بالجزيرة المحاذية بواسطة مَجَازة (1).

تقدّم أسفار العهد القديم - الإثنا عشر المذكورة سابقًا - معلومات متنوعة عن مدينة صور تسهم في نحت ملامح لها تتعلّق في جانب كبير منها - بحياتها الإقتصادية ...

إلاّ أنه يصعب التحقق أحيانًا من تاريخية بعض المعلومات عن المدينة لأنها وردت ضمن إشارات متفرقة ، وعبر نبوءات وتكهنات ذات أسلوب أدبي يبهم الكثير من الحقائق ، هذا فضلاً عن صعوبة تحديد الفترات الزمنية بدقة ، الأمر الذي له صلة بزمن كتابة الأسفار نفسها وزمن الأحداث المذكورة ...

يعد سفر يشوع أول أسفار العهد القديم تطرّقًا لمدينة صور فيصفها بالمدينة المحصّنة (عير مبصر صُر) (2) أي المدينة الحصن صور ...

ولا يمكن الأخذ بعين الإعتبار الآراء الخاصة بتحديد فترة يشوع - والتي طرحناها في دراسة مدينة حاصور - لوضع المعلومة السابقة في إطار زمني ، لأن صور مدينة محصنة مثل المدن الكنعانية الفينيقية المنيعة وراء سلسلة جبال لبنان ، الأمر الذي نجد أصداءه في رسائل العمارنة التي تفيد بأن "المدينة الكنعانية " كانت محفوفة بسور منيع (3) .

---

1 - راجع اللمحة المفصلة عن المدينة في : Markoe : OP. Cit PP 195... 199 -

2 - يشوع 19 : 29

3 - أنظر على التتالي : Keller.W : The Bible as History. London. 1957, PP 155,159 -

- فنطر : الفينيقيون بُناة المتوسط ، مرجع سبق ذكره ، ص 48 ، 49

لذا فمعلومة يشوع عن المدينة المحصنة صور لا تشير بالضرورة إلى كونها كذلك في زمن يشوع ، كما يحاول البعض الإستنتاج (1) ، وهنا لا بدّ من الملاحظة أن المعلومات الواردة عن مدن الشرق الأدنى القديم في العهد القديم لا تفيد في معرفة تاريخ أسفاره أو كتّابها .

ويتحدث سفر صموئيل الثاني عن مدينة صور ذاكرًا ملكها حيرم (969 - 936 ق.م) وجاعلاً إياه معاصرًا "لداود" ، وحسب هذا السفر تنشأ علاقة بين حيرم وداود يستقبل بموجبها هذا الأخير من حيرم بعثة تكونت من نجارين وبنائين وخشب أرز لبناء بيت له : (ويشلح حيرم ملك صر ملاكيم إل دود وعصي أرزيم وحرشي عص وحرشي إبن قير ويبنو بيت لدود) (2) أي : (وأرسل حيرم ملك صور مبعوثين إلى داود وأخشاب أرز ونجّارين وبنّائين ، فبنوا له بيتًا) ... إلاّ أن بناء البيت لداود ليس مؤكدًا استنادًا إلى شاهدٍ من سفر أخبار الأيام الأول ، يكرّر ما جاء في شاهد سفر صموئيل الثاني إلاّ أنه يذكر أن بعثة حيرم جاءت إلى داود لبناء بيت له : (لبنوت لو بيت) (3) . وهكذا يقدّم الشاهد السابق معلومات عن ملك صور وازدهار حرفتي النجارة والبناء في المدينة ، الأمر الذي اشتهرت به صور فعلاً ، سيما وأنها مصدر من مصادر خشب الأرز ، إلاّ أن ما يصعب استنتاجه من الشاهد المذكور هو وجود "دولة" يحكمها "داود" (4) ، أنشأت علاقة مع مملكة صور ، فبالرجوع إلى تلك

---

1 - مثل يوسف ، صموئيل : المدخل إلى العهد القديم، القاهرة 1993 ، ص195

2 - صموئيل الثاني 5 : 11

3 - أخبار الأيام الأول 14 : 1

4 - يستنتج المؤرخ "مسكاتي" من شاهديْ سفر صموئيل الثاني وأخبار الأيام الأول المذكورين استقلالية "صور" عن دولة "داود" ... أنظر : مسكاتي : الحضارة الفينيقية ، مرجع سبق ذكره ص 33.

العلاقة ، نجد أنها ليست علاقة بين دولتين بالنظر إلى صفة "مبعوثي" حيرم ، ولأن "داود" شخصية مجهولة خارج كتب الدين في المنطقة (1) ، فإن الحديث عن دولته أمر مبالغ فيه .

ويرث "سليمان" أباه "داود" ، و تنشأ تبعًا لذلك علاقة سليمان بحيرم ملك صور ، تلك العلاقة التي خصّها كتّاب العهد القديم بالكثير من الشواهد لعل أهمها شواهد سفر الملوك الأول التي أسهبت – بادىء ذي بدء – في الحديث عن بناء معبد القدس الذي بناه معماريون وفنّيون فينيقيون بموجب اتفاقية بين حيرم وسليمان (2). ويقدّم السفر المذكور تفاصيل عن قصر سليمان الذي بُني في القدس بخبرات فينيقية قدّمها "حيرم" ملك صور إلى سليمان (3) ، وذلك بالإضافة إلى مواد البناء وأهمها أخشاب الأرز حسب نص سفر الملوك الأول الذي جاء فيه أن بناء القصر استغرق ثلاث عشرة سنة ، وكان بيت غابة لبنان (بيت يعر هلبنون) جزءًا من ذلك القصر حسب بعض الباحثين (4) .

ولعلّ إطلاق هذا الإسم : (بيت يعر هلبنون) على جزء من القصر ، يحمل عنوان التأثيرات الفينيقية على البناء ، وأهمّ مواد ذلك البناء كانت أخشاب الأرز التي

1- أنظر ما سيأتي – وبالتفصيل – عن هذا الموضوع في الفقرة الخاصة بمدينة "لايش" الكنعانية .

2- أنظر المبحث الخاص بالمعبد في جزء الحياة الدينية من هذه الأطروحة .

3 – أنظر التفاصيل في مدينة القدس .

4 – - Eissfeldt.O : "The Hebrew kingdom" in : (C.A.H) II. Cambridge, 1975, P596.

- Bordreuil, Chatonnet : "Le Temps de la Bible", OP. Cit, P231.

أنظر أيضًا النص في سفر الملوك الأول 7 : 1 .... 14 ، 10 : 16–18

زوّد بها ملك صور سليمانَ، وقد اهتمت الباحثة "شاتوني" بهذا الموضوع (1)، فقامت بدراسة مستفيضة عنه معتبرة أن أخشاب الأرز التي زوّد بها ملك صور سليمان لبناء المعبد والقصر إنما هي "صادرات" صورية لمملكة سليمان ، وأنها - أي صادرات الخشب - لم يكن مصدرها صور ... وتعلّل شاتوني ذلك بالقول إن موطن الأرز الأصلي يتمثل في أراضٍ صخرية وكلسية ، وتنمو شجرة الأرز - غالبًا فوق المرتفعات التي تتراوح ما بين 1500 و 2000 م ، لذا فأشجار الأرز لا تنتشر خارج صيدا في اتجاه الجنوب ، إنما تكثر في الشمال في مرتفعات "جبيل" و"بيروت" و"البترون" (2) ... إذًا ، - تتساءل الباحثة شاتوني - لماذا يطلب سليمان خشب الأرز من صور ؟ وترى إمكانية وجود احتمالين للإجابة على هذا السؤال أولهما أن تكون صور مجرد "وسيطة" ، تشتري الخشب من مملكة فينيقية أخرى في الشمال وتوضّبهُ لتبيعه لسليمان ، أو أن "حيرم" كان يُحكِم سيطرته - في شمال فينيقيا - على الأراضي التي ينمو فيها الأرز "كالبترون" (3) ، إلاّ أن "البترون" - حسب شاتوني - كانت مملكة ذات سيادة واستقلال في عهد حيرم ، ولا وجود لعلائم ضعف أو خضوع قد يكون ناجمًا عن "استعمار" صوري لها ، لذا - تستنتج شاتوني - أن الأحرى بسليمان أن يطلب الخشب من "التاجر" وليس من حيرم ، الأمر الذي يشير إلى أن الصوريين قاموا بدور "ناقلين" لخشب الأرز ، ذلك لأنهم كانوا يتقنون جيدًا عمليات الشحن البحري - حسب شاتوني - (4) لكن ذلك لا يؤكد ما تريد "شاتوني"

1- Chatonnet. F. Briquel : "Les Relations Entre les Cités de la Côte Phénicienne et les Royaumes d'Israël et de Juda, Leuven, 1992, P250 FF.

2- وهي حاليًا مدينة على المتوسط بين جبيل وطرابلس لبنان ، إسمها اليوناني بتروس (Botrys)...

3- Chatonnet, OP. Cit P251

4- Ibid. P252

التوصّل إليه وهو أن سليمان أقام علاقات مع ممالك فينيقية أخرى غير صور ، "فالبترون" - أولاً - غير مذكورة في العهد القديم ، كما أن ورود ذكر "الجبيليين" - مثلاً - ضمن العمّال الذين شاركوا في تهيأة أخشاب البناء للقصر والمعبد (1) ، لا يثبت وجود علاقة بين سليمان و "جبيل" لأن صور - حسب العهد القديم - هي التي تعهّدت ببناء القصر والمعبد ، وهي المملكة الفينيقية الأم ، عمل تحت رايتها - كما سنرى لاحقًا - جبيليون وأرواديون وصيداويون وغيرهم ، فهل يمكن أن تنتقل علاقات صور مع المدن والشعوب إلى علاقات مع سليمان - وتلقائيًا - بموجب اتفاقية التعاون مع حيرم ؟

ثم إن التمعّن في شواهد العهد القديم يؤكد أن الصوريين لم يكونوا - فقط - ناقلين لخشب الأرز إلى سليمان . كما أن هذا الخشب لم يكن من صور - تحديدًا - بل من "لبنان" دون تحديد المنطقة أو المدينة ، وذلك استنادًا إلى عدة شواهد من سفري الملوك الأول وأخبار الأيام الثاني ، تلك الشواهد التي تؤكد أن عباد حيرم يقومون بقطع الأخشاب من لبنان وإنزالها إلى البحر ثم شحنها إلى "يافا" بحرًا ، ومن يافا يحملها عباد سليمان إلى القدس ... (2) .

وهكذا نرى من العملية السابقة أن أهم مراحلها كانت تتم على أيدي عباد حيرم ، أما شحن الخشب من يافا إلى القدس - برًا - فلم يتطلّب خبرة في قطع الأخشاب أو النقل البحري .

---

1 - ملوك أول 5 : 18

2 - ملوك أول 5 : 6 ، 9 ، 14 ، أخبار الأيام الثاني 2 : 16

أنظر أيضا معبد القدس في هذه الأطروحة .

وتثير شاتّوني - أيضًا - تساؤلاً حول خشب "السرو" (بروش - بروشيم) المذكور ضمن الإتفاقية بين حيرم وسليمان ، وترى أن سليمان كان يستورد من لبنان العرعر (هعرعر) وليس السرو بدليل أن السرو كان ينبت في "جلعد" ، ومن المستغرب - حسب شاتوني - أن يبحث سليمان عن السرو وهو متوفر لديه ...! وتشير إلى أن كلمة "بروش" العبرية تعني أيضًا "عرعر" (1) ... علمًا أن "العرعر" مذكور في العهد القديم ولكن ليس ضمن صادرات حيرم إلى سليمان ، بل ضمن شاهدين من سفر "إرميا" : (كِعرعر بعربه) (2) أي كالعرعر في البادية ، (كِعرعر بمدبر) (3) أي كالعرعر في الصحراء ، وحسب الشاهدين السابقين ، فالعرعر ينبت في البوادي والصحارى وأخيرًا ، وخلافًا لشاتوني ، فإننا لا نرى من مواد البناء التي قدّمها حيرم لسليمان - بمقابل - (4) صادرات وواردات بالمعنى الفعلي للكلمتين وما تنطويان عليه من الإشارة إلى وجود دولة يحكمها سليمان وتقيم العلاقات مع الدول ... فالأمر - وحسب العهد القديم - لا يتعدّى كونه "فرصة ربح" للملك التاجر حيرم (5) أتيحت له مع سليمان الذي لا يبدو ملك "دولة" بدون قصر

---

1 - Chatonnet : OP.Cit.P253

2 - إرميا 17 : 6

3 - إرميا 48 : 6

4- وهو الحنطة والشعير والزيت والخمر ... أنظر ملوك أول 5 : 11 أخبار الأيام الثاني 2 : 15 ... أنظر لاحقًا معبد القدس ... وللإشارة فإن علاقات صور بسليمان تتضح أكثر من خلال بناء المعبد .

5 - تجدر الإشارة إلى أن الطابع التجاري يميّز حياة مدينة صور عبر تاريخها القديم الملتقط خاصةً من العهد القديم ، وإذا كانت المدينة قد تاجرت "مع" بني إسرائيل - حسب العهد القديم - فإنها أيضًا تاجرت "بهم" - حسب المصدر نفسه - وفضلاً عن الناحية السياسية في هذا الموضوع ، فإنه يؤكد أن صور كانت تقتنص فرص الربح ، أنظر سفر يوئيل 3 : 6 وما سيأتي لاحقًا حول هذا الموضوع.

ومعبد – على الأقل – فالقصر والمعبد عنصران أساسيان في الممالك القديمة ، ولا يُستبعد أن يكون سليمان قد اكتشف ضرورة ذلك لاكتساب صفة "ملك" .

ويقدّم سفر الملوك الأول – مع أسفار أخرى – معلومات هامة عن خبرة أهل صور في الإبحار ونشاطهم في التجارة البحرية . ويتيح لنا تتبُّع الشواهد المتعلّقة بهذا الموضوع – بدءاً من شواهد سفر الملوك الأول – اكتشاف طريقين تجاريتين بحريتين ربطت الأولى بين مدينة "عصيون جبر" على خليج العقبة وبين اليمن – وربما شرقي افريقيا – وبين ترشيش جنوبي إسبانيا ... أما الطريق الثانية فقد ربطت مدينة "يافا" الكنعانية الفينيقية بترشيش ...

ويعتبر هذا الموضوع بالغ التعقيد والأهمية ، ولفك بعض ألغازه لا بد من دراسة شواهد العهد القديم – ذات العلاقة – دراسةً متأنّيّة ، فهناك ترابط بين هذه الشواهد التي تشير إلى علاقة بين أربع مدن واقعة على الطريقين التجاريتين المذكورتين وهي : "عصيون جبر" و "أوفير" (أفرة) و "ترشيش" و "يافا" ...

فعصيون جبر الواقعة على البحر الأحمر شمالي خليج العقبة ، مدينةٌ ورد ذكرها في سفر الملوك الأول على أنها ميناء لبناء السفن عمل سليمان فيها سفناً (وأني عسه هملك شلمه بعصيون جبر ...) (1) فأرسل له حيرم – ملك صور – بحّارين ذوي خبرة في البحر:(ويشلح حيرم بأني إت عبديو أنشي أنيوت يدعي هيّم عم عبدي شلمه)(2) أي (وأرسل حيرم في السفن عباده النواتي العارفين بالبحر مع عباد سليمان) ... ولكن في سفر أخبار الأيام الثاني نقرأ شاهداً قد يكون أقرب إلى الحقيقة من شاهدي سفر الملوك الأول ، ومفاده أن حيرم أرسل لسليمان –في عصيون جبر –

---

1 – ملوك أول 9 : 26

2 – ملوك أول 9 : 27

سفنًا حملها عباده وبحّارةً يعرفون البحر : (ويشلح لو حورم بيد عبديو أو نيوت وعبديم يودعي يم ...) (1) .

و كان الهدف من هذه السفن هو الإبحار بها من "عصيون جبر" إلى "أوفير" : (... ويبأو أو فيره ويقحو مشم زهب أربع مأوت وعسريم ككر ...) (2) أي : (وقصدوا أوفير وجلبوا من هناك أربعمائة وعشرين وزنة ذهب...) وفي شاهد آخر : (وجم أني حيرم أشر نسا زهب مأوفير هبيا مأوفير عصي ألمجيم هربه مأد وإبن يقره) (3) أي (وكذا سفن حيرم التي جلبت ذهبًا من أوفير عادت من أوفير بكثير من خشب الصندل والحجارة الكريمة) ...

ويتبيّن لنا من خلال الشواهد السابقة أن سليمان رغب في الإشتراك مع حيرم برحلة بحرية - عبر البحر الأحمر - لجلب الذهب - خاصةً - وللقيام بهذه الرحلة استعان سليمان بخبرة الصوريين في بناء السفن والإبحار ، ويتبيّن لنا من شاهد سفر أخبار الأيام الثاني تحديدًا أن السفن الصورية نقلت برًا إلى ميناء "عصيون جبر" دون تحديد المكان الذي جاءت منه ، أهو "صور" أم أقرب نقطة بحرية - إلى "عصيون جبر" - على المتوسط (4) ...

---

1 - أخبار الأيّام الثاني 8 : 18

2 - ملوك أول 9 : 28

3 - ملوك أول 10 : 11

4 - وقد تلغي هذه المعلومات ما جاء في شاهد سفر الملوك الأول من أن سليمان قد عمل سفنًا في عصيون جبر . راجع أخبار الأيام الثاني 8 : 18 ، ملوك أول 9 : 26 .

أما "أوفير" التي ذهبت إليها السفن ، فلا زال موقعها مجهولاً ولكن يرى البعض أنها ربما تكون في اليمن أو في شرق افريقيا (1) ...

وفي دراسة له حول الأسفار البحرية البعيدة في الشرق الأدنى القديم ، نُشرت في مجلة "الآثاريّ التوراتي" ، وصف الباحث "روبرت ستيليتز" أوفير بأنها "إلدورادو" النصوص التوراتية - أي مدينة ذهب التوراة - وذكر أن تخمينات عدة أحاطت بموقعها ، من أميركا إلى زمبابوي ، لكنه - أي ستيليتز - يرى أنها تقع على ساحل البحر الأحمر ، واستناداً إلى كتاب الآثار اليهودية ليوسف (القرن الأول الميلادي) فإن أوفير مدينة تقع على السواحل الإفريقية - حسب ستيليتز - الذي يربط بين "أوفير" وبين التسمية اللاتينية للقارّة السمراء أي "أفريقا" (Aphir-ic-a) ويتحدث عن كِسرة فخّارية عُثر عليها في تل قسيلة بفلسطين (شمالي مدينة يافا) ، وقد سُطرت تلك الكسرة - التي أرخت في القرن 8 ق.م - بعبارة (ذهب أوفير لبيت حرن) (2) ويرى الباحث "ماركو" - كما ستيليتز - أن هذه النقيشة تثبت تاريخية "أوفير" (3) ... وأوفير التي نتحدث عنها هي المدينة التي وصلت إليها سفن ملك صور ، أما سليمان فقد كان - حسب الشواهد - شريكاً تجارياً فيها ، الأمر الذي

---

1 - Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible, OP. Cit P241.

أنظر أيضاً: فنطر محمد حسين : الحرف والصورة في عالم قرطاج، تونس 1999ص132، 345، 346

2 - Stieglitz. Robert. R : "Long - distance Seafaring in the Ancient Near East", in : Biblical Archaeologist. Vol. 47, 1984. PP140, 141.

وحول نقيشة تل قسيلة أنظر : فنطر . الحرف والصورة في عالم قرطاج ، ص 132 ، وأيضاً .

- Bordreuil, Chatonnet : OP. C it. P241.

3 - Stieglitz : OP. Cit. P 141 ; Markoe : OP. Cit PP 12, 13.

يجعلنا ننسب رحلات أوفير إلى أهل صور ... ولا يمكن الحديث عن أسفار بحرية "إسرائيلية" ، وهذا ما تؤكده أسفار العهد القديم نفسها ، فكما رأينا ، لم يكن بإمكان عباد سليمان الإبحار من عصيون جبر لولا بحّارة حيرم ونواتيه ، أما في شواهد أخرى من سفريْ الملوك الأول والأخبار الثاني ، فإننا نجد معلومات غاية في الأهمية والطرافة تؤكد أن فنّ الإبحار بقي فينيقيًا في المنطقة ، وأن التعاون بين سليمان وحيرم وخلفائهما لم ينفع في تأسيس "بحرية إسرائيلية" إذ نقرأ في السفريين المذكورين أن ملك يهوذا "يهوشفط" وملك إسرائيل "أحزيهو" (القرن 9 ق.م) اتفقا على بناء أسطول في " عصيون جبر" للإبحار به إلى "ترشيش" ... فتكسّرت السفن ولم تستطع الذهاب إلى ترشيش : (..ويشبرو أنيوت ولا عصروللكت إل ترشيش ..) .... فاقترح أحزيهو على يهوشفط تكرار المحاولة ، إلاّ أن يهوشفط رفض (1) .

نستنتج من الشاهدين السابقين أن محاولة بناء السفن والإبحار بها لم تتكلّل بالنجاح بسبب غياب المساعدة الفينيقية ، ويبدو أن الملكين السابقين حاولا إعادة تجربة سليمان - حيرم إلاّ أنهما فشلا ...

وثمّة ناحية أخرى هامة في الشاهدين وهي قرار الإبحار من "عصيون جبر" إلى "ترشيش" ، فهل كان الملكان يعتقدان أن ترشيش تقع على البحر الأحمر ؟ أم أن السفن الفينيقية التي كانت تنطلق من "عصيون جبر" إلى "أوفير" ، كانت تتابع طريقها إلى ترشيش ؟ ... وإذا صحّ هذا الأمر ، فهذا يعني أن سفن عصيون جبر كانت تدور حول إفريقيا لتصل إلى ترشيش - مرورًا بأوفير - ويعيدنا ذلك إلى معلومات ذكرها "هيرودوتس" - 485 - 425 ق.م - في تاريخه تتعلق بدوران

---

1 - ملوك أول 22 : 48 ، 49 ، أخبار الأيام الثاني 20 : 35 .... 37 .

الفينيقيين حول إفريقيا انطلاقًا من البحر الأحمر ومرورًا بأعمدة "هرقليس" (مضيق جبل طارق) (1) ...

وبالعودة إلى المعلومات الخاصة بترشيش في العهد القديم نجد أن "سفن ترشيش" كانت لسليمان وحيرم ، تأتي مرة كل ثلاث سنين حاملة ذهبًا وفضة وعاجًا وقرودًا وطواويس (2) ، لكن هذه المعلومات لا توضّح طريق سير سفن ترشيش ، فهل هي سفن أوفير المنطلقة من عصيون جبر ؟ ... ربما تكون هي نفسها استنادًا إلى ما ورد حول محاولة يهوشفط وأحزيهو الإبحار من عصيون جبر إلى ترشيش ، إلاّ أن شاهدًا من سفر يونس (يونان) يؤكد أن سفنًا فينيقية كانت تبحر إلى ترشيش من مرفأ مدينة "يافا" : (ويقم "يونه" لبرح ترشيشه ملفني يهوه ويرد "يفو" ويمصا أنيه بأه ترشيش ويتن سكره ويرد به لبوا عمهم ترشيشه ملفني يهوه) (3) أي : (فقام يونس ليهرب إلى ترشيش من وجه يهوه ، فنزل إلى يافا ووجد سفينةً ذاهبة إلى ترشيش فدفع الأجرة ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه يهوه) .

ويؤكد نفس السفر أن هوية يونس لم تكن كهوية أصحاب السفينة وذلك حين سأل ربّانُ السفينة (رب هحوبل) يونس من أي شعب أنت : (أي مزه عم أته) فأجابه يونس : عبريٌّ أنا (عبري أنكي) (4) ...

إذًا ، فسفن ترشيش فينيقيةٌ ، كانت - حسب العهد القديم - تبحر من الساحل الفينيقي تارةً ، ومن عصيون جبر تارةً أخرى ، ويبدو أن الطريق من عصيون جبر

---

1 - Stieglitz : OP. Cit. P.141

2 - ملوك أول 10 : 22 ، أخبار الأيام الثاني 9 : 21 .

3 - يونان 1 : 3

4 - يونان 1 :8 ، 9 .

إلى ترشيش – مروراً بأوفير – كانت طريقاً تجارية معروفة وليست للإستكشاف .

وللإشارة ، يرى الباحثون أن ترشيش هي "ترتيسوس" (1) جنوبي إسبانيا ، أما الطريق إليها فكانت تمر بقبرص وسردينيا وقرطاجة – وغيرها – وصولاً إلى "جديرة" على الساحل الأطلسي لإسبانيا (2) ، تلك التي أسسها الفينيقيون عام 1104 ق.م ، وبشكل عام يعد شبه الجزيرة الإيبيرية محطة غربية للتوسع الفينيقي في المتوسط ، وكان لاتصال الفينيقيين المبكّر بجنوب إسبانيا صدىً في مؤلفات المؤرخين الكلاسيكيين الذين تحدثوا عن مساعي "صور" لتأسيس جديرة (جارة ترشيش) خلف مضيق جبل طارق (3) ، ويتحدث الباحث "ستيلتيز" عن أقدم نقيشة فينيقية تشهد على اتصال الفينيقيين بغرب المتوسط ، تلك النقيشة التي تعود إلى القرن التاسع ق.م والمسطورة على حجر "نورا" من سردينيا ، وجاء فيها ذكر كل من سردينيا (سردن) وترشيش (ترشش) (4) .

وتجدر الإشارة إلى أن أسفاراً أخرى من العهد القديم – وخاصة إشعيا وحزقيال – تتحدث عن علاقة مباشرة ومتينة بين صور وترشيش ، ففي نبوءة لإشعيا تصوّر سقوط صور وخرابها يخاطب إشعيا سفن ترشيش قائلاً : (هيليلو أنيوت ترشيش) (5) أي (ولولي يا سفن ترشيش) ، وقد ذكرت ترشيش – ومعها قبرص

---

1 – أنظر حولها : فنطر : الفينيقيون بُناة المتوسّط ، مرجع سبق ذكره ص 87 أنظر أيضا : Markoe : OP. Cit. P 183

2 – Stieglitz. OP. Cit. P140

3 – Markoe : P. 182

4 – Stieglitz : Loc. Cit. وأيضا Markoe : P 177

5 – إشعيا 23 : 1 ، 14

(كتيم) - على أنهما ملاذٌ لأهل صور وقت الأزمات : (عِبرو ترشيشه ، هيليلو يُشبي إي) (1) أي (أعبروا إلى ترشيش ، ولولوا يا سكّان الجزيرة) ، وأيضًا : (... ويامر : لا توسيفي عود لعلوز همعشقه بتولة بت صيدون ، كتييم قومي عبري ، جم شم لا ينوح لك) (2) أي : (وقال ، لن تفتخري بعدُ أيتها العذراء الشقية ، يا بنت صيدون ، قومي إلى قبرص اعبري هناك أيضًا لا راحة لك) .

أما حزقيال فيتحدّث عن العلاقة التجارية بين صور وترشيش من خلال شاهدين : (ترشيش سحرتك مرب كل هون ، بكسف برزل بديل وعوفرت نتنو عزبونيك) (3) أي : (ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنًى ، بالفضة والحديد والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك) ، (أنيوت ترشيش شروتيك معربك وتملأي وتكبدي مأد بلب يميم) (4) أي (سفن ترشيش قوافل تجارتك التي امتلأت وتمجّدت جداً في قلب البحار) .

وللإشارة فقد كان توفر خامات المعادن الثمينة دافعًا للنشاط الإستيطاني والتجاري في شبه الجزيرة الإيبيرية الذي يعد واحداً من أغنى المصادر بالثروات المعدنية - كالذهب والفضة والحديد والنحاس والقصدير (5) - تلك الثروات التي أشار إليها شاهد سفر حزقيال، ويبدو أن تلك الثروات لم تكن خامًا فقط حسب شاهد من سفر إرميا جاء فيه : (كسف مرقع مترشيش يوبا ...) (6) أي : (فضة مطرّقة تُجلب من

---

1 - إشعيا 23 : 6

2 - إشعيا 23 : 12

3 - حزقيال 27 : 12

4 - حزقيال 27 : 25

5 - Markoe : OP. Cit, PP 182, 183

6 - إرميا 10 : 9

ترشيش) ... ونظراً لورود عبارة "تجّار ترشيش" (سُحَري ترشيش) (1) في سفر حزقيال فإن المدينة لم تكن منجماً - فحسب - للفينيقيين ، وهي مملكة حسب سفر المزامير : (ملكي ترشيش وأييم منحه يشيبو) (2) أي : (يرسل ملوك ترشيش والجزر تقدمةً...)

وهكذا نرى أن علاقة صور بترشيش - في ضوء العهد القديم - أوضح من علاقتها بأوفير والتي لمسناها في شاهدين فقط ، أما الشواهد الأخرى فتحدّثت عن شهرة ذهب أوفير (3) ...

ولعل خير وصف للأنشطة الإقتصادية في مدينة صور هو ما جاء في سفر حزقيال الذي يصفها بالمدينة القوية والمرهوبة من قبل جيرانها (4) ...

تقع صور - حسب السفر المذكور - عند مداخل البحر ، وهي مركز تجاري بين المدن البحرية ، وتمتد سيطرتها إلى معظم تلك المدن ، وقد اشتهرت ببنّائيها الذين استخدموا أخشاب السرو من جبل سنير (حرمون) والأرز من لبنان ، والفلّين من "بشن" - الواقعة شرقي الأردن - وذلك لصنع مجاذيف السفن ... كما جلب الصوريون العاج من قبرص والكتّان من مصر لصناعة الأشرعة والأعلام ، ومن جزر

---

1 - حزقيال 38 : 13

2 - مزمور 72 : 10 ... وللإشارة فإننا نجد إسم ترشيش في سفر التكوين 10 : 4 كإسم لأحد أبناء ياون ابن يافث أحد أبناء نوح ، ويقصد من ذلك الإشارة إلى الأقوام الذين يعيشون في أقصى مغارب العالم ، وهي طريقة توخاها العهد القديم .

ونجد أيضًا ترشيش إسمًا لعلم في أخبار الأيام الأول 7 : 10 ، أستير 1 : 14 .

3 - مثل أيوب 22 : 24 ، 28 : 16 ، إشعيا 13 : 12 ، مزمور 45 : 9 .

4 - حزقيال 26 .

"أليشه" جلب أهل صور الأسمنجوني والأرجوان لاستعمالهما في الأقمشة ، وقد كان يعمل في أسطول صور ملاحون من صيدا وأروادة (يشبي صيدون وأرود هيو شطيم لك) أي : أهل صيدا وأروادة كانوا جدّافيك ...

أما في جيشها فقد جنّدت صور محاربين من أروادة وفارس ولود وفوط ...

ويسمّي سفر حزقيال بعض تجهيزات المحارب في الجيش الصوري مثل الترس (مجن) والخوذة (كوبع = قبّعة) .

كما يشير إلى منشآت دفاعية مثل الأسوار (حوموت) ومفردها (حومه) والأبراج (مجدلوت) (1) ومفردها (مجدل). وفيما يخص العلاقات التجارية بين صور والشعوب والمناطق البعيدة والمجاورة ، يعطي السفر تفاصيل حولها ، فيذكر - بالإضافة إلى ترشيش - كلاً من "يَوَن" و "تُبَل" و "مشك" كمناطق تعاملت مع صور بتجارة الرقيق (نفش آدم) والأواني النحاسية (كلي نحشت) (2) وبالنسبة إلى "يَوَن" فقد تكون إشارة إلى اليونان أو مستعمرة يونانية في بلاد العرب ، أما "تُبَل" و"مشك" فتقعان في شرق تركيا (آسية الصغرى) ، وقد اشتهرت تُبَل (Toubal) بالصناعات المعدنية (3) .

---

1 - أنظر حول ما سبق حزقيال 27 : 3 11

2 - حزقيال 27 : 13 ... أنظر ما سيأتي في الصفحات القادمة عن بيع اليهود من قبل صور - وغيرها - رقيقًا إلى يَوَن ...

3- أنظر على التتالي عبد المسيح يس ، خوري ، جورج ، حداد، داود : قاموس الكتاب المقدس ، ص 224 ، 831 ، 1051 ، أنظر أيضًا حول "تُبَل" : - Bordreuil, Chatonnet : OP. Cit. P 138.

ومن "بيت توجرمه" (جنوب غربي أرمينيا) (1) تزوّد الصوريون بالخيول والفرسان والبغال (سوسيم وفرشيم وفرديم) (2).

وقد اتّجر الآراميون مع صور بالزمرّد (نفك) و الأرجوان (أرجمن) والمطرّز (رقمه) والبوص (بوص) والمرجان (رامُت) والياقوت (كدكُد) (3) ... وكانت دمشق قد بادلت صور بعض السلع بالخمر (يين) والصوف الأبيض (صِمِر صَحَر) (4) ، أما العرب (عرب) فقد قدّموا لصور السروج والكباش والأعتدة (كريم وأيليم وعتوديم) (5) ، ومن مدنهم سبأ (شبا) و رعمة اللتان جلب تجّارهما إلى صور الطيب (بُسِم) والحجارة الكريمة والذهب (6) .

وأخيراً يذكر سفر حزقيال وجود علاقات تجارية بين يهوذا وإسرائيل وصور ، إذ تاجر أهل يهوذا وإسرائيل في "سوق صور" بحنطة منيت وحلاوى وعسل وزيت وبلسم : (حطي منيت وفنج ودبش وشمن وصري) (7) وترى الباحثة شاتوني أن بضائع "يهوذا" و "إسرائيل" إلى صور ما هي إلاّ استمرار للعلاقات التجارية التي بدأت بين الطرفين في عهد حيرم وسليمان (8) ... وتقوم - أي شاتوني - بدراسة

---

1 - أنظر حولها : مسكاتي : مرجع سبق ذكره ، ص 147 .

2 - حزقيال 27 : 14

3- " 27 : 16

4 - " 27 : 18

5 - " 27 : 21

6 - " 27 : 22

7 - حزقيال 27 : 17

8 - Chatonnet : OP. Cit P 230.

السلع المذكورة في شاهد حزقيال السابق فتبدأ "بحنطة منيت" معتبرة إيّاها نوعًا من الحنطة له علاقة بـ منيت - إحدى المناطق في عمون - شرقي الأردن - وعمّون - حسب شاتوني وسفر الأخبار الثاني (1) - كانت تنتج الحبوب - ولكن من المستبعد - استنادًا إلى معلومات شاتوني والعهد القديم - أن تكون يهوذا قد استثمرت قمح عمون لتسوّقه في صور، فاستنتاج مثل هذا الذي ذهبت إليه شاتوني يفترض دقّةً بالغةً في شواهد العهد القديم وترابطًا متينًا بينها (حنطة منيت في شاهد حزقيال، وقمح عمون الذي قُدّم كجزية إلى يهوذا بعد حرب نشبت بينهما في شاهد سفر أخبار الأيام الثاني) ولا بدّ في هذه المسائل من الإلتزام بحرفية النص التوراتي والتسلسل الأقرب إلى زمن المعلومة، وهذا أمر لا تضبطه قاعدة في العهد القديم.

وبالنسبة إلى "الحلاوى" المذكورة في شاهد حزقيال كأحد الصادرات إلى صور، يرى أحد الباحثين في الكتاب المقدس أن تلك "الحلاوى" (بنَج بالعبرية) كانت نوعًا من المربّى الذي تنتجه فلسطين، وفي الأكّادية - حسب نفس الباحث - فإن لفظة (بنيجو) تشير إلى نوع من الكعك (2) وتؤكّد الباحثة شاتوني أن اللفظة السابقة موجودة في البابلية (Pannigu) وكذا في الحثية (Punniki) وتشير إلى غذاء مطبوخ من الحبوب على شكل حلوى ... وترى شاتوني أن حزقيال - الذي سُبي إلى ضفاف الخابور في مطلع القرن السادس ق.م - استعار لفظة بنج - أو فنج من البابلية (3)..-ومع ذلك- تعود شاتوني لتنفي معلومتها مؤكّدة أنه من الصعب قبول فكرة أن حزقيال استعار اللفظة السابقة من البابلية، وتستغرب-أي شاتوني-كيف

---

1 - أخبار الأيام الثاني 27 : 5 ، Chatonnet : P231

2 - أنظر بشاي، سعيد بشاي : قاموس الكتاب المقدس، ص 315

3 - Chatonnet P233

يطلق حزقيال إسمًا مستعارًا-من منفاه-على"منتوج إسرائيلي محلّي"وتضيف أن الإسم موجود في اللغة العبرية أو مستعار منذ عهد قديم جدًا (1).

ونحن نرى أن استغراب الباحثة شاتوني يدعو - أيضًا - إلى الإستغراب لأنه لا يستند إلى حجة ، فوجود أي مصطلح في العهد القديم العبري لا يعني بالضرورة أنه عبري الأصل وعبرية العهد القديم هي"شفة كنعان"أصلاً حسب العهد القديم نفسه(2)

وفيما يخص العسل (دبش) المذكور في شاهد حزقيال كأحد الصادرات إلى صور ، تناقش "شاتوني" بعض الآراء حوله - أي حول إسم "دبش" - فتذكر أن هذا الإسم يشير إلى عسل النحل ، ويستخدم في نفس الوقت - للتعبير عن مشروب شديد الحلاوة أو عن عصير مستخرج من العنب أو التمر فالكلمة العربية "دبس" - حسب شاتوني - تعني عصير التمر وفي عبرية العهد القديم فهناك كلمة أخرى تعني العسل وهي نفت (3)

وترى شاتوني أن ورود كلمة عسل في العهد القديم دون شرح وتفاصيل حولها ، ينفي كون هذا العسل مادة غريبة مجلوبة من الخارج مثل سكر القصب الهندي - حسب أحد الآراء - وفلسطين - حسب نفس الباحثة - عُرفت بأنها أرض اللبن والعسل ولكنها تتساءل هل أن الـ "دبش" هو عسل نحل أم عصير غلال ؟ وترى أخيرًا أنه يرمز إلى كل مادة تستعمل في التحلية بغض النظر عن كيفية صنعها(4)

وبالنسبة إلى زيت الزيتون (شمن) المذكور ضمن شاهد حزقيال فقد اعتبرته

---

1 - Ibid, P 234

2 - أنظر إشعيا 19 : 18

3 - أنظر حولها سفر الأمثال 5 : 3

4 - Chatonnet : PP 239, 240

شاهد سفر الملوك الأول الذي جاء فيه : (وأعطى سليمان حيرم عشرين ألف كر حنطة ... وعشرين كر "زيت رض" (شمن كَتيت) (1) ... وتتطرّق شاتوني إلى معنى كلمة كتيت (أي رض) فترى أنها تشير إلى نوعية زيت الزيتون المستخرج من "سحق" الزيتون بواسطة "معاصر خاصة" أي أنه ذو نوعية جيدة (عصرة أولى) (2) ... وهنا تتحدث شاتوني عن معاصر اكتُشفت في "تل دان" (لايش) و "تمنه" وسهل "جزريل" وتل "بيت مرسيم" و"بيت شمس" و "جزر" ... وتتحدث شاتوني عن مجموعة من المعاصر العائدة إلى القرن الثامن ق.م وتعلّق قائلةً : "إن هذا النوع من المعاصر يدل على التطوّر التقني المحسوس في مجال عصر واستخراج الزيت ، وقد ساهم هذا في وفرة الإنتاج وأدى إلى الإقبال على التجارة الإسرائيلية باتجاه فينيقيا خاصةً ..." (3)

ونحن لا يمكننا قبول هذه المعلومات لأنها بلا أدلّة ، فما الذي يثبت إسرائيلية المعاصر التي تحدثت عنها شاتوني ؟ وإذا عدنا إلى شواهد العهد القديم فإننا لا نجد أي حديث عن "معاصر" ، والتقنية الوحيدة لاستخراج زيت الزيتون في العهد القديم هي تقنية دوس الزيتون بالأرجل حسب شاهدين اثنين الأول من سفر "التثنية" جاء فيه : "... وطبل بشمن رجلو" (4) أي : ويغمس في الزيت رجله ... أما الشاهد الثاني فمن سفر "ميكا" جاء فيه : "أته تدرك زيت ولا تسوك شمن ...) (5) أي : أنت تدوس زيتونًا ولا تدهن بزيت ...

---

1 - أنظر ملوك أول 5

2 - Chatonnet : P236

3 - Ibid : P 235

4 - تثنية 33 : 24

5 - ميكا 6 : 15

وللإشارة ، لم تذكر شاتوني الشاهدين السابقين في دراستها المتعلقة بزيت الزيتون المصدَّر إلى صور ، بل أسهبت في الحديث عن "صناعة زيت إسرائيلية" لا وجود لها في العهد القديم (1) ، فدوس الزيتون بالأرجل لا يمكن أن ينتج كميات من الزيت صالحة للتصدير ، وإنما للإستهلاك الفوري - كالدهن - حسب شاهد "ميكا" السابق الذكر .

وفي أسفار أخرى من العهد القديم نجد أصداء لحملة الملك البابلي "نبوخذ نصّر" على المنطقة (597 - 573 ق م) ، كسفر إرميا الذي يشير إلى وقوع مملكة صور بيد نبوخذ نصر (2) ... أما سفر عزرا فيتحدث عن أخشاب أرز جديدة من لبنان يحملها أهل صور إلى يافا من أجل إعادة بناء "المعبد" الذي دمّره نبوخذ نصر في القدس عام 587 ق م (3) ، وهي معلومة تذكّر باتفاقية حيرم وسليمان ، إلاّ أنها تعود إلى عهد قورش ملك الفرس (559 - 530 ق.م) الذي احتل بابل والذي ذكره سفر عزرا وأفاد بأنه سمح لبعض من سباهم نبوخذ نصر بالعودة إلى القدس وإعادة بناء "المعبد" (4) .

ويمدنا سفر يوئيل بمعلومات هامة جدًا تتعلق بمصير اليهود إبان وبعد حملة الملك البابلي نبوخذ نصّر ، إذ يتوعد يوئيل "الأمم" التي طردت بني "يهوذا" و "إسرائيل" بيوم حساب في وادي "يهوشفط" القريب من القدس ، وسوف تشمل المحاكمة -

---

1 - Chatonnet OP. Cit. P 235

2 - إرميا 27 : 6 ، حزقيال 29 : 18 ... أنظر أيضًا : Katzenstein. Jacob H : "Tyre in the Early Persian Period" (539 - 486 B.C), in (B.A), vol 42 1979, P24.

1 - عزرا 3 : 7 ، راجع أيضًا "معبد القدس" في جزء الحياة الدينية .

2 - عزرا 6 : 3 - 5

حسب يوئيل - أهل صور وصيدا وفلسطين لأنهم أخذوا ذهب وفضة "يهوه" ونفائسه الجيدة ووضعوها في معابدهم (1) ، كما قاموا ببيع اليهود إلى بني "يَوَن" قصد إبعادهم عن المنطقة (2)، ويتبيّن من هذا الشاهد أن البابليين - وبعد حملتهم على القدس - شجّعوا المدن الفينيقية والفلستية على استغلال الموقف لإفراغ المنطقة ممن نجوا من السبي البابلي ... وتعتبر هذه المعلومة من المعلومات الهامة حول العلاقات "الفينيقية الإسرائيلية" بعد خمسة قرون من كونها "طيبة" زمن حيرم وسليمان ، كما أن لتلك المعلومة أهمية في مسألة "تجارة الرقيق" التي اشتغل بها الفينيقيون-ومنهم أهل صور- مع يَوَن كما رأينا في أحد شواهد سفر حزقيال (3) .

وفي أحد شواهد سفر عاموس نجد غضباً شديداً على صور من قبل الكاتب لأنها سلّمت سبياً إسرائيلياً إلى "أدوم" (4) - المعادية لإسرائيل والواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة - ومثلها فعلت غزّة (5) ، الأمر الذي يشير إلى أن صور - وبعض المدن الأخرى - كانت تنتهز الفرص لبيع الإسرائيليين لا لغرض تجاري فقط . ويجدر بالذكر أن المعلومات الخاصة ببيع اليهود من قبل كبريات المدن الفينيقية - وذلك حسب سفر يوئيل الذي يفصّل ما جاء في سفر حزقيال حول تجارة الرقيق مع "يَوَن" - هي معلوماتٌ من الصعب العثور على شرحٍ أو توضيحٍ لها في دراسات

---

1 - يوئيل 3 : 1 ....5 ، أنظر أيضاً زكريا 9 : 3

2 - يوئيل 3 : 6 .. أنظر ما سيأتي لاحقًا حول إبعاد اليهود عن المنطقة كجزء من السياسة الآشورية ..

3 - حزقيال 27 : 13

4 - عاموس 1 : 9

5 - عاموس 1 : 6 .

الباحثين الإسرائيليين الذين يتعاملون مع هذا النوع من المعلومات وكأنه غير موجود ، فبيع اليهود كرقيق ، إنما يعطي صورة عن الوضع السياسي والإجتماعي لتلك الفئة التي لم تندمج مع المجتمع الكنعاني ولم تشأ الإنصهار فيه ، وذلك لأسباب ثلاثة أساسية هي الفشل الحضاري والتقوقع الديني والتشبُّث بخرافات العرق وإيديولوجيا إبادة الشعوب .

29 - صيدا :

ورد ذكر المدينة الكنعانية الفينيقية صيدا في اثني عشر سفراً من أسفار العهد القديم بصيغة "صيدن" أو "صيدون" (1) .

ويرى الباحث "مسكاتي" أن اسم الصيدونيين استُعمل للدلالة على "الشعب الفينيقي" كله ، ثم اقتصر على مدينة صيدا وحدها ، وذلك بسبب سيادتها على المدن الفينيقية ، وقد دامت هذه السيادة إلى سنة 1000 ق.م - تقريبًا - لتحل محلها - بعد ذلك - صور (2) ... إلى أواخر القرن السادس ق.م - كما سنرى -

ويرى الباحث نانتي (Nantet) أن صيدا هي أول مدينة أسسها الفينيقيون (الكنعانيون) حوالي عام 2800 ق.م ، وهي التي بَنَتْ مدينة صور (3) ... وصيدا حسب سفر التكوين ، منسوبةٌ إلى "صيدُن" بكر كنعان بن حام بن نوح (4) ، وفي شاهد آخر من نفس السفر فصيدن منطقةٌ تبدأ منها تخوم الكنعانيين التي تضم "الساحل الفينيقي" وأرض كنعان (فلسطين) وبعض أجزاء من الأردن ، أي أن صيدا - حسب سفر التكوين - هي المدينة التي تشكّل الحدود الشمالية "لكنعان" (5) .

وقد ورد في سفر يشوع تحديد آخر للمدينة ، فيذكر أن أرضها كانت قرب

---

1 - أنظر على التتالي : تكوين 10 : 15 ، إرميا 25 : 22

2 - مسكاتي : الحضارة الفينيقية ، مرجع سبق ذكره ، ص 30 .

3 - Nantet. Jacues : Histoire du Liban, Paris. 1963 , P22

4 - تكوين 10 : 15

5 - تكوين 10 : 19

"زبلون" (1) وحداً لتخم "أشر" (2) ، وهي توصف في هذا السفر بـ "صيدون ربه" (3) أي صيدا العظيمة .

ويذكر سفر يشوع إسم منطقة تابعة لصيدا هي " مَعَرَه" (4) التي ربّما تكون "مغارة أبلون وعايا" جنوب شرقي المدينة حيث المقبرة الملكية لصيدا في الفترتين الفارسية والهلنستية (5) ...

وتُذكر صيدا في سفر القضاة إلى جانب ست مدن كنعانية فينيقية لم تدخل في "سبط أشر" حسب الشاهد التالي : (أشر لا هوريش إت يشبي عكو وإت يوشبي صيدون وإت أحلب وإت إكزيب وإت حلبه وإت أفيق وإت رحب . ويشب هأشري بقرب هكنعني يشبي هأرص...) (6) أي (لم يطرد "أشر" سكان عكا ولا سكان صيدا وأحلب وإكزيب وحلبه وأفيق ورحب، فسكن "الأشري"مع الكنعانيين سكان الأرض..)

---

1 - "زبلون" إسم توراتي لسبط من أسباط "إسرائيل" وهو يشير إلى شمال فلسطين ، أنظر حوله :

يشوع 19 : 27 ، 28 ، وأيضًا : Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible , Op. Cit. PP 167, 339, 340.

و أيضا : مكجل ولس ، أمين ، فيليب : قاموس الكتاب المقدس ص 424 .

2 - أحد الأسباط أيضًا ويشير إلى المنطقة بين "دور" وصيدا أنظر حوله يشوع 19 : 24 - 31 .

3 - يشوع 11 : 8 ، 19 : 28 .

4 - يشوع 13 ، 4

5 - Markoe : OP. Cit. P 201

6 - قضاة 1 : 31 ، 32 ... راجع ما جاء حول المدن المذكورة ... راجع أيضًا أسماء هذه المدن التي وردت في نص الحملة الثالثة للملك الآشوري "سنحريب" بعد أن أخضع صيدا والمدن التابعة لها وهي المدن المذكورة في شاهد سفر القضاة ... (أنظر الحوليات الآشورية) .

وكما نلاحظ فللشاهد السابق أهمية كبيرة في ذكر أسماء المدن السابقة مع بعضها البعض حيث كانت لصيدا علاقة بهذه المدن ، وكلّها تقع إلى جنوب المدينة في منطقة الجليل والساحل الكنعاني ، و تتّضح أهمية صيدا وعلاقتها بالمدن الكنعانية - أكثر - في أحد شواهد السفر المذكور ، وذلك أثناء الحديث عن مدينة "لايش" التي لم تجد من ينقذها لأنها بعيدة عن صيدا - حسب السفر - (1) وفي شاهد آخر من نفس السفر نلاحظ وجود علاقة بين الصيداويين وشعبين من شعوب أرض كنعان هما "العمالقة" - سكان جنوب أرض كنعان - (2) و "المعونيون" - نسبة لمعون جنوب شرق البتراء في الأردن - (3) وقد جاء في الشاهد : (وصيدونيم وعملق ومعون لحصو إتكم ...) (4) أي (الصيداويون والعمالقة والمعونيون ضايقوكم - أي بني إسرائيل - ، وقد يكون الصيداويون في هذا الشاهد إشارة إلى "الفينيقيين" الساكنين المدن الساحلية ، لأن العهد القديم يطلق - عادةً - إسم الكنعانيين على سكّان الداخل (5) .

ويتّضح من الشاهد السابق أن كنعانيي "الداخل" لم يكونوا معزولين عن كنعانيي الساحل ، وأن للطرفين نظرة مشتركة للأخطار المحدقة بأرض كنعان ... الأمر الذي يتفق مع ملاحظة الباحث "ماركو" من أن "التهديد المشترك" كان يوحّد المدن

---

1 - قضاة 18 : 28 أنظر أيضًا مدينة لايش (دان) في المبحث المخصص لها .

2 - أنظر سفر العدد 13 : 29

3 - أنظر خوري ، جورج : قاموس الكتاب المقدّس ، ص 909

4 - قضاة 10 : 12

5 - أنظر على سبيل المثال قضاة 3 : 5

الفينيقية (1) ، وقد لمسنا ذلك في سفر يوئيل الذي تحدّث عن اشتراك أهل صور وصيدا والفلستيين في مكافحة التواجد الإسرائيلي في أرض كنعان (2) .

ويضيف شاهدٌ من سفر الملوك الأول مدينةً تابعةً لصيدا إلى جملة المدن التي تزعّمتها صيدا وعرفناها من خلال بعض شواهد العهد القديم والحوليات الآشورية ، وهذه المدينة هي "صَرْفَتَه" (صرفند الحالية - سربتا) وذلك حسب الشاهد التالي : (قوم لكْ صَرْفَتَه أشر لصيدون...)(3) أي : (قم إذهب إلى صرفته التي لصيدا...) .. وللإشارة فقد ورد ذكر "صرفته" في حوليات الملك الآشوري سنحريب (705 - 681 ق.م) بصيغة زَرِبتو (Zaribtu) وذلك ضمن المدن التابعة لصيدا والتي تم إخضاعها من قبل سنحريب خلال حملته إلى المنطقة (4) .

ومن جهة أخرى يذكر سفر الملوك الأول أتبعل ملك الصيداويين (أتبعل ملك صيدُنيم) (5) ... ونشاهد هذا الإسم أيضًا في حوليات الملك سنحريب بصيغة "توبالو" - أتبعل - كملكٍ نصّبه سنحريب على عرش صيدا (6) ...

ويجدر بالذكر أن معظم المعلومات الخاصة بمدينة صيدا في ضوء العهد القديم وردت أثناء الحديث عن مدينة صور ، ومن هذه المعلومات شهرة صيدا في قطع

---

1 - أنظر Markoe : OP. Cit : P10

2 - راجع المبحث الخاص بمدينة صور وما جاء حول بيع اليهود وإفراغ معابدهم من المحتويات (يوئيل 3 : 4 - 6)

3 - ملوك أول 17 : 9

4 - أنظر تفاصيل ذلك في فصل "الحوليات الآشورية "، حوليات الملك سنحريب .

5 - ملوك أول 16 : 31

6 - أنظر ما سيأتي في نص الحملة الثالثة للملك سنحريب ...

أخشاب الأرز وأعمال النحت والنجارة (1) ، وخبرة الصيداويين في الملاحة ووجود ملاّحين من صيدا في سفن صور (2) ... وبالإضافة إلى ذلك تشترك المدينتان في صدور النبوءات ضدّهما من قبل كتّاب العهد القديم مثل إرميا الذي يذكر ملوك صيدا إلى جانب ملوك صور ضمن نبوءة بخراب المدينتين (3) ، ويدخل ضمن تلك النبوءات - أحياناً - الفلستيون (4) ...

وبإمكان الباحث أن يفيد من تلك النبوءات بالتقاط معلومات تتعلّق بالصراع الفينيقي - الإسرائيلي ، فحزقيال - مثلاً - يورد في سفره نبوءة مضادة لصيدا باعتبارها "شوكة موجعة" (قوص مكئب) لإسرائيل ... وتتضمن هذه النبوءة سفك الدماء وانتشار الوباء في المدينة بأمر من "يهوه" (5) ، و للإشارة ، فمن عادة كتّاب العهد القديم نسب مختلف الأحداث إلى "الإرادة اليهواوية" ، ولا سيما الكوارث التي كانت تحل بالمدن الكنعانية الفينيقية - حسب العهد القديم - وهذه العادة توخّاها الكتّاب المذكورون لتعزيز الإيمان "بيهوه" ، علماً أن كتابة أسفار العهد القديم - وكما هو معروف - تمّت بعد وقوع الأحداث بقرون عديدة .

وفي إحدى النبوءات المتعلّقة بدمار "صور" ، يذكر "إشعيا" أن صور هي بنتُ صيدا (بت صيدون) (6) ، ويشير ذلك إلى الشهرة التي تمّتعت بها صيدا قبل صـــــور

1- ملوك أول 5 : 6 ، عزرا 3 : 7 ...

2 - حزقيال 27 : 8

3 - إرميا 25 : 22 ، 27 : 3 ، 6

4 - إرميا 47 : 4

5 - حزقيال 28 : 20 24

6 - إشعيا 23 : 12

و -ربّما - بعد أن أفل نجم صور في أواخر القرن السادس ق.م مع بداية العصر الفارسي في المنطقة حيث أضحت صيدا - آنذاك - سيّدة الساحل الفينيقي (1) ... ولعل وصفها "بالحكيمة جداً " (حكمه مأد) في سفر زكريا (2) يؤكّد شهرتها .

هذا ، وتقع صيدا على بعد 35 كم إلى الشمال من مدينة صور ، أما ميناؤها فقد اتضّع على شناخ بحري صغير (رأس) اكتنفته سلسلة من الصخور على الشاطىء ... ويمسح الموقع القديم لصيدا (المستوطنة) - وهو رابية إهليلجية الشكل - ثمانية وخمسين هكتاراً ، وقد أحيط بنهرين صغيرين هما نهر "الكملة" في الشمال ، ونهر "البرغوت" في الجنوب .

وقد شرعت مديرية الآثار اللبنانية بإجراء تنقيبات جديدة في الموقع عام 1998 تركّزت في المنطقة الواقعة إلى الشمال والشرق من قلعة "القدّيس لويس" ، وتمّ خلال هذه التنقيبات الكشف عن شاهد ستراتيغرافي لاستيطان المدينة في فترة البرونز المبكر ، وذلك بالإضافة إلى إجراء سلسلة من التقاوير لتحديد الإمتداد القديم لميناء المدينة الرئيسي .

وبعد هذه التنقيبات وما توفر من شواهد ، أضحى بالإمكان تكوين صورة عن طبوغرافية المدينة وضواحيها : فقد قُسم تل صيدا الإهليلجي إلى قسمين منفصلين هما قسمٌ سفلي ضمّ أرضًا منبسطة في شرق الموقع ، والقسم الثاني الذي تكون من منطقة ساحلية راقية في الغرب ضمّت الحي العلوي للمدينة حيث علية القوم ومساكنهم والمرافق الإدارية ... أما قصور المدينة وحصونها فقد أقيمت على قمة

---

1 - حول هذا الموضوع أنظر :

- Katzenstein : Tyre in the Early Persian Period, OP. Cit. P24

2 - زكريا 9 : 2

التل المعروفة حالياً بقلعة المحارب - القديس لويس . وإلى الجنوب من "أكروبوليس" المدينة - وعلى طول شاطىء الخَوْر الدّائري الجنوبي تجمعت بقايا أصداف الموريكس على شكل ركام بارتفاع 40م ، تلك الأصداف التي تشير إلى صناعة الصباغ الأرجواني .

وقد أسهمت البحوث الأثرية والطبوغرافية الأخيرة في استيعاب أفضل لوضع صيدا وضواحيها إذ ضمّ قلب المدينة سهلاً زراعياً حسن الريّ ضيّقاً امتد على طول 16 كم باتجاه الشمال نحو سربتا ، وبالإضافة إلى أملاكها الساحلية ، تحكّمت صيدا بمساحات أخرى في الداخل ، فامتد برغيلها على طول السفوح الشرقية لسلسلة جبال لبنان ووصل إلى وادي البقاع الزراعي الآهل بالسكان ، الأمر الذي يشير إلى أن صيدا تمتعت بروابط تجارية مع سوريا .

وقد تمكّنت البحوث الأثرية في القرن المنصرم من تقديم معطيات حقيقية عن توزّع مقابر صيدا الضاحيّة لعل أهمها ذكراً مقبرة "دكرمان" (Dakerman) تلك المقبرة الساحلية الضخمة القابعة جنوبيّ المدينة والتي أجرى فيها قسم الآثار في لبنان تنقيبات كشفت عن مئات المدافن متنوعة الأشكال ، وتغطي فترة زمنية تبدأ من القرن الرابع عشر ق.م وتنتهي في الفترة الرومانية المبكرة ... أما المقبرة الملكية لصيدا - والتي تعود إلى الفترتين الفارسية والهلنستية فقد اتّضعت على طول خط من التلال المنتصبة في شرق وجنوب شرق المدينة ... علماً أن التنقيبات أثبتت - أيضاً - وجود مقابر أخرى للمدينة وضواحيها ، ومن هذه المقابر مقبرتان تعودان إلى عصر الحديد الثاني وتقعان في جنوب شرق صيدا ، في "طمبوريت" و"عين الحلوة" (1)

1- حول هذه اللمحة عن طبوغرافية صيدا وآثارها راجع :

- Markoe : OP. Cit. PP 199-201

- Jidejian. N :: L'archeologie au Liban,, Beirut, 1998

ومن أهم هياكل صيدا هيكل "إشمن" الواقع على الضفة الجنوبية لنهر "الأوّلي" شمال صيدا ، وقد تمّ تأسيسه في القرن 6 ق.م وأجريت له توسعة في الفترة الأخمينية (1) ، وأقيمت في الهيكل تنقيبات عام 1964 م تحت إشراف الباحث موريس شهاب مدير الآثار اللبنانية آنذاك ، أفضت إلى اكتشاف ثلاثة عشر تمثالاً لأطفال تبيّن من خلال النقائش المرافقة أن الأطفال كانوا مرضى وجيء بهم إلى هيكل إشمن ليمنحهم هذا الإله الشفاء ، وإكرامًا للإله قدّم ذووهم تماثيلهم هدية له. ويعلّق الباحث منير الخوري على هذه المكتشفات قائلاً : إن تماثيل الأطفال العائدة إلى القرن 5 ق.م تنفي تهمة التضحية بالأطفال عن الفينيقيين (2) .

---

1 - Markoe, OP. Cit. P 201 -

2 - الخوري ، منير : صيدا عبر حقب التاريخ ، بيروت 1966 ص 68

30 - عجلون :

جاء في سفر يشوع أن عجلون مملكة "أمورية" إسم ملكها "دبير" (1) ... اشتركت - كما رأينا سابقًا - مع أربع ممالك في أرض كنعان لمحاربة مملكة جبعون بسبب صلحها مع بني إسرائيل (2) .

وعجلون مدينة في أرض كنعان تبعد حولي 25 كم عن مدينة غزّة وإلى الشمال الشرقي منها ، ومكانها اليوم هو "تل الحسي" المشرف على السهل الساحلي الفلسطيني.

وتل الحسي أو عجلون القديمة ، أول موقع في فلسطين تم التنقيب فيه بشكل منهجي ، وذلك عام 1890 م على يد الباحث "فلندرز بتري" (Flinders Petrie) ثم الباحث "بلِس" (Bliss) بين عامي 1891 - 1893 ، وكشفت التنقيبات أن الموقع يعود إلى عصر البرونز القديم ، وأظهرت ثماني طبقات سكنية تغطي ما يقارب اثني عشر قرنًا ، احتوت الأقدم منها على بقايا فخارية من عصر البرونز القديم وفي الطبقة الثانية عشر على رُقم وبقايا فخارية ، وقد احتوت الطبقة الرابعة على لُقى تعود إلى القرنين الثامن والسابع ق.م أما الخامسة فقد ضمت بقايا مبانٍ حجرية فيما احتوت الطبقة السادسة على نقائش وبقايا فخارية ... وقد سجّلت الطبقة السابعة آثار حريق ... أما الطبقة الأخيرة فقد احتوت على بقايا فخّار يوناني ، الأمر الذي يشير إلى أن الحياة في عجلون استمرت إلى العصر الحديدي الثاني ، ثم هُجر الموقع بعد ذلك (3) .

---

1 - يشوع 10 : 3 ، 6

2 - راجع مدينة جبعون ، أنظر أيضًا :

- Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible, OP. Cit P41.

3 - أنظر الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سبق ذكره ص 190 - 191 .

31 - عَرَد :

مدينة كنعانية في جنوب أرض كنعان تقع إلى الغرب من البحر الميت وإلى الجنوب من مدينة الخليل ... (1) .

وأهم ذكر لها في العهد القديم هو في سفر العدد ، وذلك من خلال هذا الشاهد : (ويشمع هكنعني ملك عرد يشب هنجب كي با يسرال درك هأتريم ويلحم بيسرال ويشب ممنو شبي ...) (2) أي : (ولمّا سمع الكنعاني ملك عرد الساكن في الجنوب (النقب) أن الإسرائيليين في طريق "أتريم" ، حاربهم وسبى منهم سبياً).

و يتحدث الشاهد السابق عن جماعة موسى الذين خرجوا من مصر - حسب سفر العدد - ولدى وصولهم إلى طريق "أتريم" القريب من عرد ، تصدّى لهم ملكها الكنعاني وسبى منهم سبياً ... وبذلك يكون ملك عرد أول ملك كنعاني - حسب العهد القديم - يتصدى فعليًا - لمحاولة تسلّل "بني اسرائيل" من مصر إلى أرض كنعان بعد أن منعهم ملك "أدوم" من المرور عبر أرضه وهي بين خليج العقبة والبحر الميّت - (3) ...

وقد يسمح لنا موقع مدينة عرد - في جنوب أرض كنعان - الإستنتاج بأن هذه المدينة كانت تحرس الحدود الجنوبية لأرض كنعان وتراقب الطرق القادمة إليها من سيناء والنقب ، ومنها طريق "أتريم" الذي رصد فيه ملكُ عرد المتسلّلين .

وللإشارة فإن استنتاجنا السابق ممكن سواء كانت قصة خروج "بني إسرائيل" من

---

1 - الموسوعة الفلسطينية ، ص 212

2 - عدد 21 : 1

3 - عدد 20 : 14 - 21

مصر حقيقة أو أسطورة (1) ، فكاتب سفر الخروج الذي روى القصة ، إنما استند إلى معلومات بنى على ضوئها قصّته ، وهذه المعلومات هي الإشارات التي نسعى إلى التقاطها لصالح الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم .

وأخيراً ، فقد كشفت التنقيبات الأثرية في تل عرد منذ عام 1962 عن تلك المدينة الكنعانية التي دُمرت في مطلع الألف الثالثة ق.م وأعيد استيطانها في نهاية الألف الثانية ق.م (2) .

---

1 – أنظر ما سيأتي لاحقًا عن قصة الخروج.

2 – الموسوعة الفلسطينية ص 212 .

32 - عَزِقَه :

مدينة كنعانية ذُكرت في سفر يشوع على أنها مدينة التجأ إليها جيش الكنعانيين المتحالفين - ضد جبعون ويشوع - بعد معركة جبعون (1) ، وقد تحدّث يشوع عن موت خرافي للهاربين حسب الشاهد التالي : (... ويهوه هشليك عليهم أبنيم جدُلوت من هشميم عد عزقه ويَمتو ...) (2) أي : (ورماهم يهوه بحجارة عظيمة من السماء إلى عزقه فماتوا)

وتُذكر عزقه في سفر صموئيل الأول كمدينة عسكر بالقرب منها الفلستيون - بقيادة جَلْيَت - تأهبًا لقتال بني إسرائيل (3) ...

وأخيرًا ، تذكر عزقه في سفر إرميا مع مدينة لكيش كمدينتين محصّنتين خلال حملة الملك البابلي نبوخذ نصر إلى أرض كنعان عام 586 ق.م (4) ...

---

1 - يشوع 10: 10 ، 11 . راجع جبعون ...

2 - يشوع : 10 : 11

3 - صموئيل الأول 17 : 1 4

4 - إرميا 34 : 7 .... وللإشارة يتلازم ذكر عزقه ولكيش معًا في أخبار الأيام الثاني 11 : 9 أيضًا .

33 - عسقلان (أشقلون) :

مدينة كنعانية فلستية تبعد حوالي 21 كم إلى الشمال من مدينة غزة ، وهي مدينة مأهولة منذ العصر الحجري الحديث ، فقد عثر فيها على آثار أكواخ دائرية وأدوات عظمية وأوانٍ حجرية وأصداف وبقايا هياكل حيوانات تعود إلى العصر المذكور (1) . وهي مذكورة في سفر يشوع على أنها إحدى المدن الفلستية الخمس وقد سُمي حاكمها بالأشقلوني (هأشقلوني) (2) .

ويدّعي كاتب سفر القضاة أن يهوذا أخذ عسقلان (3) ، ولكننا نجد شاهداً آخر في نفس السفر يؤكد أنها تحت سيطرة الفلستيين (4) . كما لا توجد أية معلومات في العهد القديم - أو خارجه - تؤيد ما ذهب إليه كاتب سفر القضاة من أن عسقلان دخلت تحت حكم يهوذا (5) ، بل نلاحظ في أسفار إرميا وعاموس وصفنيا وزكريا كيلاً من اللعنات على عسقلان وتنبؤات بخرابها (6) ...

تركّزت التنقيبات في عسقلان في التل المسمّى "تل الخضرة" الذي يرتفع ثلاثة عشر متراً عن سطح البحر ، وفي جنوب التل المذكور عُثر على بقايا ميناء عسقلان القديم وبقايا أبراج وسور (7) ... وقد استؤنفت عام 1994 تنقيبات في عسقلان

---

1 - موسوعة المدن الفلسطينية ، مرجع سبق ذكره ، ص 676

2 - يشوع 13 : 3

3 - قضاة 1 : 18

4 - قضاة 14 : 19 ، أنظر أيضاً قضاة 3 : 3 - 4

5 - أنظر - بشأن هذا الموضوع - ما سيأتي في مدينة غزّة .

6 - إرميا 25 : 20 ، 47 : 5 - 7 ، عاموس 1 : 8 ، صفنيا 2 : 4 ، زكريا 9 : 5...

7 - موسوعة المدن الفلسطينية ، ص 676

للبحث عن مدخل المدينة ومتاريسها ومنشآت مينائها القديم برئاسة لورنس ستجر (Lawrence E. Stager) من جامعة هارفَرد (1) .

وكانت تنقيبات سابقة قد أفضت إلى الكشف عن متاريس كنعانية وأبنية ضخمة دُمّرت من قبل نبوخذ نصر عام 604 ق.م ، بالإضافة إلى معصرة خمر ملكية ومستودع ، ومقبرة فينيقية خاصة بالكلاب عُثر فيها على حوالي700 من الدفائن ، وبيت استحمام وماخور من العصر الروماني والبيزنطي ، وقناديل زيت ، وأداة عبادة كنعانية من الألف الثانية ق.م هي عجل صغير مصنوع من البرونز والفضة (2) ...

ويجدر بالذكر - أخيراً - أن عسقلان سجّلت حضوراً في الوثائق المصرية العائدة إلى القرن 19 ق.م والقرن 14 ق.م ، وفي الحوليات الآشورية - كما سنرى - وقامت بربط علاقات مع قبرص (3) ...

---

1 - أنظر الدراسة التي نشرها Stager في مجلة الآثار التوراتية عام 1991 - عدد مارس - أفريل بعنوان : "When Canaanites and Philistines Ruled Ashkelon" -

أنظر أيضاً . Summer in the Sand. OP. Cit. P. 52, 54 -

2 - Ibid, P 54.

3 - موسوعة المدن الفلسطينية ، ص 679 .

34 - عقرون :

مدينة كنعانية فلستية تُذكر مع غزة وأشدود و عسقلان وجت (1) ... وهي إحدى المدن الفلستية التي نُقل إليها "أرن إلهيم" أو "أرن العهد" الذي استولى عليه الفلستيون من بني إسرائيل (2) ...

وتُذكر مدينة عقرون في سفر صموئيل الأول أنها مدينة بأبواب : (شَعَري عقرون) (3) ، وقد جاء في سفر الملوك الثاني أن إلهها هو بعل زبوب : (بعل زبوب إلهي عقرون) (4) ...

وأخيراً تُذكر مدينة عقرون في أسفار إرميا وعاموس وصفنيا وزكريا ضمن نبوءات بخرابها ... وقد جاء في سفر إرميا أنها مملكة (5) .

وقد كانت عقرون مركزاً سياسيًا وتجاريًا للفلستيين ، وكشفت التنقيبات في موقعها الحالي في "تل مقن" أنها مدينة كنعانية في الألف الثاني ق.م تمّ استيطانها من قبل شعوب البحر (الفلستيين) في مطلع القرن الثاني عشر ق.م وأضحت في عهدهم مركزاً لصناعة المعادن ، واكتُشف فيها أيضًا قصر ومعبد يحمل التأثيرات الإيجية ، وقد شهدت المدينة حملة الملك الآشوري سرجون الثاني عام 712 ق.م ...

كما أثبتت التنقيبات أن المدينة اتّسعت وأضحت مركزاً هامًا من مراكز إنتاج زيت

---

1 - يشوع 13 : 3 ، صموئيل الأول 6 : 17

2 - أنظر ما سيأتي حول أرن العهد في المبحث الخاص بالإله دجن .

3 - صموئيل الأول 17 : 52

4 - ملوك ثانٍ 1 : 2 ، 3 ، 6 ... أنظر ما سيأتي عن هذا الإله في مبحث الإله بعل .

5 - أنظر إرميا 25 : 20 ، عاموس 1 : 8 ، صنفيا 2 : 4 ، زكريا 9 : 5

الزيتون في الشرق الأدنى ، وعُثر فيها على أكثر من ألف جرّة ، كما اتّضح - من خلال بعض النقائش المكتشفة فيها - وجود عبادة الإلهة الكنعانية "أشره" (1)... وعثر فيها أيضاً على مجوهرات وسبائك فضة (2) .

---

1 - أنظر المبحث الخاص بها في جزء الحياة الدينية

2 - حول اللمحة أنظر : - Summer in the Sand : OP. Cit. PP58,59

35 - عكّا (عكّو) :

مدينة كنعانية فينيقية ذُكرت في سفر القضاة مع ست مدن كنعانية أخرى من بينها صيدا (1) . وتقع المدينة في الطرف الشمالي لخليج عكا ، وهو التجويف الطبيعي الوحيد المحمي من العواصف والأنواء على طول الساحل الفلسطيني ، ويقع في القطاع الشمالي من ساحل فلسطين على بعد 20 كم جنوب رأس الناقورة - نقطة التقاء الأراضي الفلسطينية مع لبنان - .

ويدل موقع عكّا بين رأس الناقورة شمالاً وجبل الكرمل جنوبًا على أهمية عامل الحماية في اختيار الموقع حيث امتداد سفوح جبال الجليل ومستنقعات نهر النعامين في الظهير الشرقي للمدينة الواقعة على ضفته الشمالية (2) . يمسح موقع عكّا عشرين هكتارًا ، وقد عُرف بتحصيناته منذ عصر البرونز الوسيط ، وفي عصر الحديد المبكر أضحت عكّا مستوطنة صغيرة . وخلال القرنين التاسع والثامن ق.م أُعيد تحصين المدينة وتمّ في الأجزاء الشمالية والشرقية من "التل" تأسيس سلسلة من المساكن والأبنية العامة (3) .

ورد إسم عكّا في النصوص المصرية القديمة منذ القرن التاسع عشر ق.م كما ذُكرت في مراسلات العمارنة في القرن 14 ق.م (4) .

---

1 - قضاة 1 : 31 ، أنظر أحلب - إكزيب - أفق ...

2 - الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سبق ذكره ، ص 290 ، 296 - 297 .

3 - Markoe : Phoenicians, OP. Cit. P193

4 - وتطلعنا هذه المراسلات على علاقة عكّا بمصر الفرعونية ، أنظر المراسلة الخاصة بعكا في :

- Moran. (E A) 234

وأهم ذكر لها كان في حوليات الملوك الآشوريين المتأخرين ، الأمر الذي يلقي الأضواء على علاقة المدينة بمدن الجليل الكنعاني و الساحل الفينيقي تمامًا كما في شاهد سفر القضاة المذكور ، وهو الوحيد الذي يذكر عكا في العهد القديم (1) .

وفي الفترة الفارسية اشتهرت عكا بكونها مركزًا إداريًا تحت حكم الأخمينيين فنما عمرانها وتوسّعت ... وقد عثر في أكروبوليس المدينة على سلسلة من الأبنية المتماسكة تعود إلى الفترة الفارسية ، ولعل أهم ما عُثر عليه في أحد تلك الأبنية هو نقيشة فينيقية تشير إلى وجود معبد للإلهة "أشرة" ...

أما تخطيط المدينة ، فقد قدّمت المنطقة السكنية المكتشفة إشارات واضحة إليه ، وقد حافظت عكا في الفترتين الفارسية والهلنستية على تقنيتها الفينيقية في البناء وخاصة - استخدام الحجارة غير المسوّاة (الدبش) والدعائم ...

وفي أواخر الألف الثانية ق.م وبدايات الألف الأولى ق.م استخدم أهل عكّا مصب نهر النعامين كميناء للمدينة ، وذلك استنادًا إلى ما أظهرته الدراسات الجيومورفولوجية (دراسات علم تكوّن سطح الأرض) (2) ، ويصب نهر النعامين في البحر الأبيض المتوسط جنوب عكّا بحوالي ثلاثة كيلومترات أي في خليجها ، وقد عثر على أكوام من أصداف الموريكس بجوار مصب النهر (3) .

ذُكرت عكّا من قبل المؤرخ الروماني إبلينيوس (24 - 79 م) وذلك في موسوعته التي ألّفها في تاريخ الطبيعة ، فتحدّث ابلينيوس عن صناعة الزجاج مقرًا بأن الكنعانيين الفينيقيين هم مكتشفو مادة الزجاج بعد أن خلطوا النطرون بالرمل

---

1 - راجع مدينة صيدا ثم الحوليات الآشورية ...

2 - Markoe : OP. Cit. P 193

3 - أنظر موسوعة المدن الفلسطينية ص 485 .

في النار وذلك بالقرب من مدينة عكّا (1) ، كما ذكر الجغرافي والمؤرخ اليوناني سترابو (63 ق.م - 20 م) أن الساحل الفينيقي الجنوبي الممتد من صور إلى عكا وفّر نوعية جيدة من الرمل المستخدم في صناعة الزجاج ، تلك الصناعة التي برع فيها الكنعانيون منذ عصر البرونز المتأخر ، فتاجروا بالزجاج الخام والمصنّع ، الأمر الذي أشارت إليه مراسلات العمارنة (2) .

وأخيراً ، يجدر بالذكر أن رمز "تانيت" الشهير عُثر عليه مرسومًا على عروة جرّة اكتُشفت في مدينة عكّا ، وأيضًا على إيقونات وُجدت في سفينة غرقت قرب شواطىء عكا ... الأمر الذي يسهم في معرفة أسرار هذا الرمز وتاريخه ، سيما وأنه ليس مرتبطًا كليًا بالإلهة القرطاجية تانيت (10) .

---

1 - باقر . طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج 2 ، بغداد 1956 ، ص 246

- Judge. Harry : "World History". Vol 3 , Oxford (Without date)P 28

2 - Markoe, OP. Cit. P 156.

3 - الفرجاوي أحمد : بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، تونس ، 1993 ص 103 .

36 - عَيْ : (عاي)

عَيْ مدنية كنعانية تقع إلى الشرق من مدينة "بيت إل" حسبما ورد عنها في سفر يشوع ... وقد تعرّضت تلك المدينة المملكة للغزو اليشوعي على مرحلتين ، تمكّن أهل عَيْ من صد هجوم جماعة يشوع في المرحلة الأولى ، إلاّ أن المدينة تعرّضت في المرحلة الثانية إلى هجوم كبير أُبيد فيه جميع سكانها البالغ عددهم اثني عشر ألفًا - حسب سفر يشوع - ... ويذكر السفر أن المدينة أُحرقت بعد قتل سكّانها ، وتمّ التنكيل بجثة ملكها (1) . وتكون المدينة - بذلك - قد لقيت نفس المصير الذي لقيته مدينة "أريحا" - حسب رواية سفر يشوع - .

لكن المكتشفات الأثرية في مدينة "عَي" - وتدعى التل حاليًا - لا تؤكد صحة الغزو اليشوعي في الفترة المتوقعة لعصر يشوع - أي القرن 14 ق م - ، فالموقع الذي جرت فيه تنقيبات في الثلاثينات من القرن المنصرم ، أدّت إلى اكتشاف بقايا مدينة تعود إلى عصر البرونز القديم ، وفوق أنقاض هذه المدينة عُثر على بقايا مدينة تعود إلى عصر الحديد (2) ... إذًا ، فالموقع مهجور في الفترة الواقعة بين عصر البرونز القديم وعصر الحديد - أي بين 2400 و 1200 ق.م حسب الباحثيْن - Bordreuil, Chatonnet(3) لذا لا مجال لتأكيد الغزو اليشوعي في عام 1400ق.م

وفي هذا الصدد يتحدث الباحث توماس طمسن عن "تشويش" في تفسير المكتشفات الأثرية في موقع عَيْ بسبب محاولات ربط هذه المكتشفات مع رواية يشوع

---

1 - يشوع ، الإصحاحان 7 ، 8 . أنظر أيضًا :

- Bordreuil, Chatonnet : Le Temps de la Bible, OP, Cit. PP 36 - 38 .

2 - الموسوعة الفلسطينية ، ص155

3 - Bordreuil, Chatonnet. OP. Cit. P46.

عن عَيْ ، ويؤكد أنه لا توجد مبررات كافية لتأكيد تاريخية إصحاحيْ يشوع السابع والثامن من خلال التنقيبات في عيْ (1) ... وفي دراسة أخرى - نشرت عام 1999 - يستغرب طمسن تركيز الباحثين الأميريكيين والإسرائيليين على مدن أريحا وحاصور وعيْ من أجل إثبات نظرية الغزو اليشوعي في حين أن مدنًا أخرى ورد ذكرها في رواية يشوع ، ولكن دون أن يقع احتلالها - كالقدس مثلاً - (2) - وحسب يشوع دائمًا - .

وأخيرًا فقد كشفت التنقيبات في عيْ - أيضًا - عن سور منيع وقصر ومعبد ومصاطب وخزانات مياه صخرية ومجموعة من الأواني الفخارية التي تجد مثيلاً لها في مكتشفات العصر البرونزي المتأخر لمدينة "بيت إل" القريبة (3) .

---

1 - طمسن . توماس : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ، ترجمة صالح سوداح - بيروت 1995 ، ص 153 ، والأصل بالإنجليزية :

- Thompson. Thomas. L : Early History of the Israelite People from the Written and Archaeological Sources.

2 - Thompson : "The Bible in History", OP. Cit. P36 -

راجع أيضًا المبحث الخاص بمدينة حاصور ...

3 - طمسن : المرجع المذكور أعلاه ، ص 153 - 154 . وأيضًا : الموسوعة الفلسطينية ص 155 .

37 - عين دور :

مدينة كنعانية تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الناصرة - في فلسطين - وتبعد عنها حوالي 10 كم ، ولازالت عين دور تحتفظ باسمها (1) .

تُذكر عين دور في سفر المزامير على أنها المدينة التي باد فيها يبين ملك حاصور وقائد جيشه سيسرا (2) ...

وفي سفر صموئيل الأول تُذكر عين دور على أنها مدينة وُجدت فيها امرأة صاحبة جان : (إشة بعلة أوب بعين دور) (3) الأمر الذي يفيد في دراسة هذه الظاهرة الإجتماعية الدينية في المدينة الكنعانية في ضوء العهد القديم (4) .

---

1 - أنظر صايغ أنيس : قاموس الكتاب المقدس ، ص 653 .

2 - مزمور 83 : 9 ، 10 ... وسفر المزامير هو الوحيد الذي يذكر مدينة عين دور ضمن الأحداث الخاصة بيبين وسيسرا استناداً إلى أغنية "دبوره" ... راجع حاصور ومجدّو .

3 - صموئيل الأول 28 : 7

4 - أنظر ما سيأتي حول هذا الموضوع في جزء الحياة الدينية .

38 - غـــزّة :

مدينة كنعانية من أقدم مدن العالم ، أسست قبل ميلاد السيد المسيح بثلاثة آلاف عام (1) ، وأول ذكر لها في العهد القديم جاء في سفر التكوين حسب الشاهد التالي : (ويهي جبول هكنعني مصيدن بأكه جرره عد عزه بأكه سدمه وعمره وأدمه وصبيم عد لشع) (2) أي : (وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرر إلى غزة ، وحينما تجيء نحو سدم (شرقي البحر الميت) وعمره (في غور الأردن) وأدمه وصبيم إلى لشع) ... تقع مدينة غزة في السهل الساحلي الجنوبي لأرض كنعان وبها يمر الطريق الساحلي الرئيسي الممتد من شمال فلسطين إلى جنوبها . وقد شهدت غزة اتصال المصريين بها منذ النصف الأول من القرن الخامس عشر ق.م ، ودُعيت في الوثائق المصرية مدينة كنعان ، كما ذكرت في مراسلات العمارنة على أنها مركز إداري مصري (3) ... ومن الطبيعي أن يهتم المصريون بغزّة فهي أول بل أهم محطة لمن يريد الدخول إلى أرض كنعان من جهة الساحل الجنوبي كما أنها آخر محطة للمتجهين نحو مصر ، وسنرى في الحوليات الآشورية أهمية المدينة وموقعها في الأحداث التي جمعت المصريين والآشوريين خلال نزاعهم من أجل السيطرة على المدن الكنعانية الفينيقية .

واستناداً إلى العهد القديم فقد استوطن الفلسطيون غزّة (4) وأضحت أهم المدن التي تمركزوا فيها في أرض كنعان ، وشهدت - استناداً إلى سفر القضاة - صراعاً

---

1 - موسوعة المدن الفلسطينية ، ص 526

2 - تكوين 10 : 19

3 - Ovadiah Asher : "Gaza" in (E.A.E.H.L) vol. II, P408 -

4 - يشوع 13 : 3

كبيراً بين الفلستيين وبني إسرائيل عكست بعض تفاصيله خرافة "شمشون" (1) ... ويذكر سفر يشوع أن جماعة مَن الناس يدعى أفرادها " العناقيين " (عنقيم) كانوا يسكنون في غزّة (2) ... والعناقيون - حسب العهد القديم - جماعة كان بنو إسرائيل يهابونها ، إذ ورد وصفهم في سفر العدد بالجبابرة .(هنفيليم بني عنق)(3) أما سفر التثنية فيصف العناقيين بالشعب الكبير والكثير والطويل ويعتبرهم من "الرفائيم" (رفايم) (4) ...

---

1 - قضاة 16 ، راجع مدينة "تمنة" ومبحث الإله "دجن" ...

2 - يشوع 11 : 22

3 - عدد 13 : 33

4 - يحمل هذا المصطلح في العهد القديم مدلولين اثنين ، الأول يشير إلى أن "الرفايم" عشيرة من الجبابرة الذين سكنوا أرض كنعان حسب : تكوين 14 : 5 ، 15 : 20 ، تثنية 2 : 11 ، 3 :11 ، يشوع 15 : 8 ، 17 : 15 ، 18 : 16 ، صموئيل الثاني 21 : 16 - 21 ، 23 : 13 ، والمدلول الثاني يشير إلى معنى "رفايم" وهو ظلال الموتى (الأخيلة) أو أرواح الذين غادروا الحياة حسب : أيوب 26 : 5، مزامير 88 : 10 ، أمثال 2 :18 ، 9 : 18 ، 21 : 16 ، إشعيا 14 : 9 ، 26 : 14 ، 19 .

و للإشارة فقد ذكر "الرفايم" في رُقُم مدينة أوجاريت الكنعانية على الساحل السوري فتصوّر الأوجاريتيون أن للرفايم (Rpim) خصائص مشتركة مع عالم الآلهة منها تمتعهم بقدرات خاصة - لا يتمتع بها سوى الموتى في العالم الآخر قرب مجتمع الآلهة مباشرة كشفاء الأمراض - استناداً إلى أن جذر r p يحمل معنى التطبيب - حسب الباحث الروسي شيفمان ، إ.ش : "ثقافة أوجاريت" ، ترجمة حسان إسحق ، دمشق 1988 ص 74 .

وأخيراً فإننا نجد مصطلح "رفام" ([illegible]) في النقائش الفينيقية كإشارة إلى الأموات في العالم الآخر ... أنظر : KAI,I, 13,14,117 -

ويبدو أن العناقيين "الرفايم" أعاقوا مخطط يشوع لاحتلال غزّة – ومعها جت وأشدود – وذلك استناداً إلى قائمة الملوك الذين "ضربهم" يشوع ، وغاب منها ملوك غزّة ومدن الفلستيين (1) . ويجدر بالذكر في هذا الصدد – وأمام المبالغات الواردة في سفر يشوع حول استيلائه على مدن أرض كنعان – أن ما ذكره كاتب السفر إنما يعد تزويراً للحقائق – منذ عهد كتابة العهد القديم – إذ لا توجد آثار للغزو اليشوعي – كما رأينا – لمدن الكنعانيين . كما أن الدراسة الدقيقة لأسفار العهد القديم تؤكّد أن "منهجية" الغزو اليشوعي تتعارض مع منهجية كتابة الأسفار ، فيشوع – كاتب السفر – يوحي للقارىء بأن جل أرض كنعان ومدنها قد تم احتلالها وتدميرها وإعطاؤها لأسباط "إسرائيل" بعد التغلّب على الكنعانيين وملوكهم ، إلاّ أننا – وفي الأسفار التي تلي سفر يشوع – لا نجد أصداء ذلك على الإطلاق ، فنرى – على سبيل المثال – شاهداً من سفر القضاة – الذي يلي مباشرة سفر يشوع – جاء فيه أنه بعد موت يشوع سأل بنو إسرائيل "يهوه" "من منا سيحارب الكنعانيين ...؟" (2) .

وفيما يخص مدينة غزّة يذكر سفر القضاة أن يهوذا أخذها وتخومَها (3) ... وفي شاهد آخر من نفس السفر نجد أن غزة ومعها باقي المدن الفلستية – وغيرها – قد تركها "يهوه" ليمتحن بها "إسرائيل" : (حمشت سرني فلشتيم وكل هكنعني وهصيدني وهحوي يشب هر هلبنون مهر بعل حرمون عد لبوا حمت ، ويهيو

---

1 – أنظر يشوع 11 : 21 – 22 ، 12 : 1 .... 24 .

2 – قضاة 1 : 1

3 – قضاة 1 : 18

لنسوت بم إت يسرال ...) (1) أي : (أقطاب الفلستيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحوّيين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة ، كانوا لامتحان إسرائيل ...)

إذاً – وكما نرى – فالعهد القديم مليء بالتناقضات ، ولا يمكن تبنّي معلوماته كما وردت ... ومن الغريب والمؤسف أن عدداً هائلاً من المؤلفات العربية والأجنبية يتبنى أصحابها معلومات العهد القديم دون التحقيق فيها ودون الإشارة إلى نقيضها الموجود في الأسفار نفسها .

وأخيراً فإننا نجد في أسفار إرميا وزكريا وعاموس كيلاً من اللعنات على مدينة غزة وتنبؤات بخرابها سيما وأنها باعت سبياً من بني إسرائيل إلى الأدوميين (2) الأمر الذي أتينا على ذكره في الحديث عن مدينتي صور وصيدا (بيع اليهود) ...

---

1 – قضاة 3 : 3 ، 4

2 – أنظر إرميا 25 : 20 ، 47 : 1 ، 5 ، زكريا 9 : 5 عاموس 1 : 6 ...

39 - القدس (1) (يروشلم) :

القدس مدينة كنعانية يعود أقدم ذكر لها إلى القرن التاسع عشر ق.م وذلك في نصوص مصرية تسمّى نصوص اللعنة ، وقد ورد إسمها في تلك النصوص على شكل "روشاليموم" "Rushalimum" (2) و في القرن الرابع عشر ق.م يرد إسم المدينة على شكل "أوروساليم" : "Urusalim" ، وذلك في نصوص العمارنة (3) . أما في حوليات العاهل الآشوري سنحريب (القرن السابع ق.م) فقد ظهرت المدينة بإسم "أوروسليمّو" "Uruslimmu" (4) .

والإسم الأصلي للمدينة كنعاني وهو مركّب من شطرين ، الأول "يرو" والثاني "شلم" أي "أساس شلم" ... و "شلم" إلهٌ كنعاني معروف في نصوص مدينة أوجاريت كإله للخير والعطاء (5).

وتوخيًا للدقّة ، فإننا لا نرى أساسًا لترجمة "يروشلم" إلى "مدينة السلام" - تلك التسمية الشائعة في المؤلفات العربية - فلا المعنى اللفظي ولا الأحداث التي شهدتها تلك المدينة تعطيها إسم "مدينة السلام" .

وفي العهد القديم يرد إسم "القدس" بصيغته الكنعانية أي "يروشلم" ، وفي بعض

1-تجدر الإشارة إلى أننا سنستخدم في هذه الأطروحة الإسم الشائع الحالي لهذه المدينة وهو "القدس"

2- Mazar Benjamin : "Jerusalem" in : (E. A. E. H.L) II, P580 -

3 - Ibid أنظر أيضًا : Bordreuil, Chatonnet : OP. Cit, P209

4 - Mazar : OP.Cit, P580

5 - Ibid و أيضا شيفمان. إ.ش : "ثقافة أوجاريت"ترجمه عن الروسية حسان ميخئيل إسحق. دمشق 1988ص 76 ، 78 .

المواضع بصيغة "شلم" (1) ، كما ورد إسم المدينة في أحد الأسفار كالتالي : "عير الهيم (2) أي مدينة إلُهيم ، ووصفت أيضًا بأنها مدينة العدل : "عير هصدق"(3) .

ومن أسماء القدس القديمة الواردة في العهد القديم : "يبوس (4) ... ويبوس –حسب سفر التكوين – أحد أبناء كنعان بن حام (5) . وقد كان اليبوسيون "الكنعانيون" سكّان القدس الأصليين قبل غزو بني إسرائيل لها بقيادة "يهوشع" (6) حسب الرّواية المزعومة لخروجهم من مصر والمدوّنة في العهد القديم (7).

وكان "أدني صدق" ملك القدس في عهد اليبوسيين ، وهو أول من تصدّى للغزو الإسرائيلي بقيادة "يهوشع" (8) ، كما تزعّم "أدني صدق" حلفًا ضمّ خمس ممالك كنعانية هي "القدس" و "حبرون" و "يرموت" و "لكيش و "عجلون"، وذلك لمحاربة

---

1 – تكوين 14 : 18

2 – مزمور 46 : 5

3 – إشعياء 1 : 26

4 – قضاة 19 : 10

5– تكوين 10 : 15، 16 .

6– أو "هوشع" حسب سفر العدد 13 : 16 ، وقد نُقل إسمه في الترجمة العربية على شكل يشوع ... وهو خليفة موسى ، وأحد جواسيس بني إسرائيل الذين تجسسوا على أرض كنعان قبل غزوها حسب سفر العدد 13 : 16، 27 : 18 ، وينسب إليه السفر السادس من العهد القديم ، ويجب التمييز بينه وبين سفر "هوشع"، وهو السفر الثامن والعشرون .

7 – راجع سفري الخروج ويشوع (يهوشع).

8 – راجع الأصحاح العاشر من سفر يشوع .

مدينة "جبعون" التي صالحت الإسرائيليين وتواطئت مع "يهوشع ... (1) ويجدر بالذكر أن يهوشع (يشوع) لم يتمكن من احتلال القدس (2) .

ولمدينة القدس أهمية كبيرة في دراسة جوانب الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية والفينيقية نظراً للدور الهام الذي قامت به في الألف الأولى ق.م على مختلف الأصعدة ، ويشهد العهد القديم على أن مدينة القدس مركزٌ للمعلومات التي تخص الحضارة الكنعانية الفينيقية سواء تلك المتعلقة بالحياة الدينية - والتي ستبدو جلية في دراسة الآلهة الكنعانيين ومعبد القدس - أو تلك التي تخص الحياة المدنية ، وقد اطّلعنا على بعض جوانبها - السياسية منها خاصة - في مدن سابقة ورأينا كيف أن القدس تقاسمت مع حاصور الزعامة السياسية في المدن الكنعانية ، وذلك بقيادة التحالفات ومراقبة الموقف السياسي في أرض كنعان ...

ولعل قصر القدس الذي بناه خبراء حيرم لسليمان - استناداً إلى سفر الملوك الأول - أفضل مثال على العمارة المدنية في المدينة ، إذ تكتسي رواية سفر الملوك عن القصر أهمية كبيرة من الناحية المعمارية ، فتذكر مواد البناء والأشكال والأحجام وأسماء الفضاءات والعناصر المعمارية ، الأمر الذي يفيد في تصنيف معجم للعمارة الفينيقية ، وفيما يلي وصف لهذا القصر كما جاء في سفر الملوك الأول الذي يبدأ بالحديث عن "بيت غابة لبنان" (بيت يعر هلبنون) كجزء من ذلك القصر ، طوله مائة ذراع وعرضه خمسون وارتفاعه ثلاثون ، تتقاسمه صفوف ثلاثة من سواري الأرز عليها ألواح من الأرز وسقفه من الأرز يعلو الألواح الممدودة على خمس وأربعين سارية مصفوفة صفوفاً يضم كل واحد منها خمس عشرة سارية ، وفي القصر ثلاثة صفوف من الكوى يجمع كل منها خمس عشرة كوة الواحدة تلو الأخرى تفصل بينهما

---

1 - الإصحاح 10 - سفر يشوع -

2 - يشوع 15 : 63 .

ثلاث أقدام ، والفتحات والنوافذ كلها مربعة الشكل وقد بنيت السقيفة المعمدة بطول خمسين ذراعًا وعرض ثلاثين ، وتتقدمها سقيفة أخرى وتتقدم كلتيهما أساطين تعلوها أكنان . وهناك سقيفة العرش (أو لم هكسًا) التي يقضي فيها الملك بين الناس أي سقيفة القضاء (أو لم همشفط)، وقد فرشت أرزًا من أقصاها إلى أقصاها ، أما البيت الذي يقيم فيه فله فناء آخر منعزل عن السقيفة وله نفس هيكلة البيت الآخر ، هذا وأقام "سليمان" بيتًا ممهورًا بسقيفة مماثلة خصّص لابنة فرعون التي تزوجها - حسب العهد القديم - تلك البنايات جميعها كانت من حجر ثمين ، نحتت بالمنشار فصوصًا قدر المقاس ، داخلاً وخارجًا ، من الأسس إلى الطنوف وفي اللواحق حتى الفناء الأخير ، والأسس شيّدت - هي الأخرى - بحجر ثمين ، صخور ضخمة بعضها يذرع عشرة أذرع وبعضها ثمانية وتعلوها حجارة ثمينة نحتت قدر المقاس ، كما يعلوها خشب الأرز ، وللفناء الكبير حائط ذو صفوف ثلاثة من الحجر المنجور وصف من خشب الأرز ... وقد أرسل سليمان يطلب حيرم الصوري ، إبن الرجل الصوري النحّاس ، الذي كان مملوءًا حكمة وذكاءً ومعرفة ، ومؤهلاً لإنجاز كل شغل من برونز ، فحل في القدس وأنجز أشغاله جميعها ... (1) .

وقد استغرق بناء قصر القدس ثلاث عشرة سنة (2) - أي ضعف المدة التي بني فيها معبد القدس (3) ، إلاّ أنه - أي القصر - لم ينل اهتمام الكاتب التوراتي في ذكر

---

1 - راجع هذا النص في ملوك أول 7 : 1 ....14 ، 10 : 16 - 18..... وانظر ترجمته كما وردت في فنطر : الفنيقيون بناة المتوسط ، مرجع سبق ذكره ، ص 50 - 52 راجع أيضًا بخصوص قصر القدس :

- Bordreuil, Chatonnet : OP. Cit, PP 230 - 232

2 - ملوك أول 7 : 1

3 - وقد استغرق بناء المعبد سبع سنوات : ملوك أول 6 : 1 ، 28.

تفاصيل أكثر قد تسهم في إزالة بعض الغموض الذي يكتنف وصف القصر ، وتسمح بوضع مخطط واضح له قد يلقي الضوء على فن العمارة عند الفينيقيين وربّما يُظهر أوجه الشبه بينه وبين قصر حيرم في صور مع الأخذ بعين الإعتبار تدخلات واختيارات "صاحب المشروع" ... (1) .

وأخيراً يجدر بالذكر أن بعض المعلومات الخاصة بمدينة القدس في ضوء العهد القديم تتقاطع مع المعلومات الواردة عنها في الحوليات الآشورية ، الأمر الذي ستتّضح تفاصيله في الفصل القادم لتكوين صورة أكثر دقة عن المدينة .

---

1 - فنطر : المرجع السابق الذكر : ص 52

40 - قدش (قادش) :

قدش إسم لأكثر من مدينة في أرض كنعان ، الأولى ورد ذكرها في سفر التكوين ، الذي يذكر أن لها إسمًا آخر هو "عين مشفط" (1) ، كما دُعيت في سفر العدد "قدش برنع" (2) ، وهي حاليًا "عين قدّيس" في أقصى جنوب فلسطين ، في منتصف المسافة بين البحر المتوسط ووادي عربة وعلى بعد حوالي 80 كم جنوبي مدينة بئر سبع (3) واستنادًا إلى سفر العدد ، فقدش لها علاقة بقصة خروج موسى وجماعته من مصر باتجاه أرض كنعان ، فمنها أرسل موسى رسلاً إلى ملك أدوم يطلب منه المرور في أرضه إلاّ أن ملك أدوم رفض (4) ... ولكن لا يفيدنا هذا الشاهد إلاّ في تحديد موقع قدش - في طرف تخوم أدوم - (5) .

أما قدش الثانية فهي مملكة كنعانية تقع في الجليل حسب سفر يشوع (6) ، واسمها حاليًا قدَس وتقع على بعد 16 كم إلى الشمال من مدينة صفد (7) ، ويذكر سفر الملوك الثاني أن الملك الآشوري "تجلت فلاصر" احتل هذه المدينة (8) .

---

1 - تكوين 14 : 7

2 - عدد 34 : 4

3 - أنظر أطلس الكتاب المقدس ، ص 21 وأيضًا : الموسوعة الفلسطينية ، ص 491

4 - عدد 20 : 14 ، 16 ، 17 ، راجع أيضًا مدينة عرد .

5 - عدد 20 : 16

6 - يشوع 12 : 22 ، 20 : 7

7 - الموسوعة الفلسطينية ، ص 492

8 - ملوك ثانٍ 15 : 29 ... أنظر الملك تجلت فلاصر الثالث في فصل الحوليات الآشورية .

وثمـة قـدش أخـرى ذُكـرت فـي سـفـر أخبـار الأيام الأول (1) ، تقع بالقـرب من مـديـنة مـجدّو وإلـى الجنـوب منـها (2) ... وأخـيـراً فـهـناك مـديـنـة تحـمل إسم قـادش وتـقع على نـهـر العاصي في سـوريـة ، وقد تـزعّم ملكها في القرن الخامس عشر ق.م حلفاً عسكرياً كنعانياً لمواجهة الفرعون تحوتمس الثالث في مجدّو (3) .

---

1 - أخبار الأيام الأول 6 : 72

2 - أنظر الموسوعة الفلسطينية ، ص 492 و أيضاً الحلو . جبره : قاموس الكتاب المقدس ، ص 709 .

3 - أنظر مدينة مجدّو ...

41 - كنّارة (كنرت) :

مدينة كنعانية ورد ذكرها في سفر يشوع مع مجموعة من المدن المحصّنة : (وعري مبصر هصديم صَر وحمة ورقة وكنرت) (1) أي : (والمدن المحصّنة صديم وصر وحمة ورقة وكنارة) (2) .

ولمدينة كنارة موقع هام على شاطىء بحيرة طبرية (3) أو (بحر الجليل) ، وقد أعطت كنارة إسمها لبحر الجليل - حسب العهد القديم الذي يسمّي بحر الجليل في بعض الشواهد "بحر كنارة" : (يم كنرت) (4) أو (يم كنروت) (5) و "كنروت" - حسب سفر الملوك الأول - هي المنطقة المحيطة بمدينة كنارة (6) .

يعود تاريخ مدينة كنارة إلى عصر البرونز المبكّر وقد شهدت أوج ازدهارها في القرن العاشر ق.م حسب المكتشفات الأثرية فيها ... ومن اللُقى التي عثر عليها في

---

1 - يشوع 19 : 35

2 - وجميع هذه المدن تقع بالقرب من بحيرة طبرية (بحر الجليل) .

3 - يبلغ طول هذه البحيرة 22 كم وعرضها في أوسع نقطة لها 13 كم ، أنظر حولها أطلس الكتاب المقدس ، ص15 .

4 - عدد 34 : 11

5 - يشوع 12 : 3 ، 13 : 27

6 - ملوك أوّل 15 : 20 ، وحسب هذا الشاهد فقد خضعت هذه المنطقة للملك الآرامي بنهدد بعد حملة شنّها عليها وعلى المناطق المجاورة ومنها لايش (دان) .

الموقع وعاءٌ يحمل شكل أسد صُنع وفق الأسلوب الآشوري ، ونُسب إلى القرن الثامن ق.م ، وقد تولّى التنقيب في موقع كنارة مؤخراً الآثاري فولكمرفرتز (Volkmar Fritz) من المعهد الألماني في القدس (1) .

---

1 - Summer in the Sand OP Cit P58 -

42 - لايش (لَيِش) :

لايش مدينة كنعانية في أقصى شمال أرض كنعان (فلسطين) ، وهي حاليًا "تل دان" أو "تل القاضي" بجانب جبل الشيخ المطل على دمشق ، وفيها أكبر منبع من منابع نهر الأردن (1) .

تُذكر المدينة في سفر يشوع باسم "لشم" ، إذ غزاها بنو "دان" - خامس أسباط يعقوب - واستوطنوها بالقوة مطلقين عليها إسم أبيهم "دان" (2) حسب زعم السفر. ويذكر سفر القضاة أن جواسيس من بني دان استطلعوا المدينة قبل غزوها فشبّهوا شعبها للصيداويين (3)... وتبدو من خلال السفر أهمية مدينة صيدا وعلاقتها بمدن أرض كنعان إذ جاء في أحد الشواهد أن "لايش" لم تجد من ينقذها لأنها بعيدة عن صيدا (4) ...

وتطلعنا المعلومات الوردة عن "لايش" في سفر الملوك الأول على دور آرامي في المنطقة تجسده "علاقات سلمية" بين "بنهدد" ملك دمشق الآرامي وبين كل من "آسا" ملك يهوذا (بداية القرن 9 ق.م) و"بعشا" ملك إسرائيل (5) ... وحين تخاصم الملكان المذكوران استنجد ملك يهوذا بملك دمشق ، فقدّم له هدية ذهب وفضة مقابل أن ينقض عهده مع ملك إسرائيل ويضرب بجيشه المدن الواقعة تحت سيطرته ...

---

1 - أنظر أطلس الكتاب المقدس ، ص 16 وأيضا : كامل ، مراد : قاموس الكتاب المقدّس ص 356 - 357 .

2 - يشوع 19 : 47

3 - قضاة 18 : 7

4 - قضاة 18 : 28

5 - ملوك أول 15 : 9 ، 13 ، 16 ، 18 ، 19 .

فوافق "بنهدد" وأرسل جيشه لضرب تلك المدن ومنها "لايش" - حسب سفر الملوك الأول (1)...

وهكذا، ففي ضوء العهد القديم ، تتيح لنا دراسة المدينة الكنعانية "لايش" كشف واقع سياسي في المنطقة -ساد في بداية الألف الأولى ق.م - من ضمنه وجود علاقات بين الآراميين وبني إسرائيل تأرجحت بين السلم والحرب (2) ، وعلى الأغلب فإن ارتباط "لايش" بالأحداث التي جمعت بين "بنهدد" و"آسا" و"بعشا" ، كان له دور كبير - غير مباشر - في الضجّة التي أثارتها -تحديدا- مجلة الآثار التوراتية حول نقيشة أرامية اكتشفها الآثاري "ابراهام بيران" في لايش - تل القاضي - عام 1993 تلك النقيشة التي أرّخت في القرن التاسع ق م وورد فيها ذكر الإله الآرامي "هدد" وعبارة ملك إسرائيل" وعبارة "بيت داود" (3) ...

1- أنظر ملوك أول 15 : 19 ، 20 ، 21 ...

2- ونجد أخبار ذلك في سفري الملوك الأول والثاني ، على أن أهم تحالف بين الآراميين وبني إسرائيل يرد ذكره في الحوليات الآشورية من خلال معركة "قرقر" ضد الآشوريين في القرن 9ق م أنظر ما سيأتي.

3 - حول هذه النقيشة أنظر : - "Summer in the Sand" (B.A.R) 20, 1994 P 57

- Biran. A, Naveh. J : An Aramaic stele Fragment from "Tel Dan", Israel Exploration Journal 43 : 81 - 98 , 1993.

-Rainey.Anson F:The house of David and the house of the deconstrutionists(B.A.R)20 P47. 1994

-Davies.P.R:House of David built on sand,the sin of the Biblical maximizers(B.A.R)20P54, 1994

- Shanks.H : David found at Dan (B.A.R) 20 P26. 1994.

- Cryer. F : on the recently - discovered "House of David" inscription. scandinavian Journal of the old testament 8. P3, 1994.

- Lemaire. A : "House of David" restored in Moabite inscription (B.A.R) 20 P30. 1994.

– وكما رأينا – فقد أثارت العبارة الأخيرة (بيت داود) اهتمام الدوريات المختصة بدراسات العهد القديم مثل مجلة الآثار التوراتية ومجلة الإستكشاف الإسرائيلية والمجلة الإسكندنافية للعهد القديم وتكثفت الدراسات حول نقيشة لايش في تلك الدوريات بين عامي 1993 ، 1994 ، وانقسم الباحثون بين مؤيد و معارض لتفسير عبارة "بيت داود" بـ "سلالة داود" ، وبينما رأى "ابراهام بيران" – مكتشف النقيشة – أن نقيشة لايش" لا تقدم معلومات واستنتاجات قاطعة بانتظار العثور على قطع ضائعة منها (1) ، وكذلك "ديفيز" الذي اعترض على ترجمة بيت داود إلى سلالة داود قائلاً إن العبارة قد تشير إلى إسم مكان (2) فإ كلاً من "ريني" و "لومير" ترجم العبارة السابقة إلى "سلالة داود" (3) ... وقد ذهب هذان الباحثان إلى أبعد من ذلك حين اعتبرا أن عبارة "بيت داود" كانت قد ظهرت في نصب "ميشع" المسطور أو ما يسمّى "بحجر موآب" ذلك الذي اكتشف في الأردن عام 1868م (4) ...

وبالرغم من أنه لم ترد في نقيشة "ميشع" عبارة "بيت داود" – وذلك استناداً إلى كل

---

1 – - Biran and Naveh : An Aramaic stele fragment from "Tel Dan". Op. Cit. P98.

2 – - Davies P.R : House of David built on sand, The sin of the Biblical maximizers. Op. Cit P54.

3 – - Rainey : The house of David ... Op Cit. P47.

- Lemaire : House of David restored in Moabite inscription, Op. Cit. P31

4 – - Rainey : Loc. Cit, Lemaire : Op. Cit. P32.

وميشع أحد الملوك المؤابيين في أرض كنعان ، أقام نصبه الشهير – المسطور بالمؤابية الكنعانية – تخليداً لنصر أحرزه ضدّ الإسرائيليين في القرن 9 ق.م ...

الدراسات الخاصة بها منذ اكتشافها عام 1868 وحتى عام 1994 (1) - فقد أعلن الباحث "أندري لومير" عن اكتشافه لعبارة "بيت داود" في نقيشة "ميشع" - وتحديدًا في السطر الواحد والثلاثين منها (2) - وقد جاء إعلانه هذا بُعيد اكتشاف نقيشة "لايش" ، وقد أعرب لومير عن عدم دهشته لصحّة ما جاء في نقيشة "لايش" لأن ما جاء فيها - وخاصة عبارة بيت داود حسب لومير - تؤكده نقيشة "ميشع" التي انكبّ لومير على دراستها سبع سنوات ... ويقارب لومير بين النقيشتين فيلاحظ أنهما من نفس نوع الحجر ونفس الطول والعرض وكلاهما يخلّد نصرًا على الإسرائيليين ، كما أن النقيشتين مسطورتان بالحروف "السامية" التي استعملها الإسرائيليون - حسب رأيه - (الآرامية بالنسبة إلى نقيشة لايش والموآبية بالنسبة إلى نقيشة ميشع) ، ويضيف لومير أن النقيشتين تعودان إلى القرن التاسع ق.م وكلاهما يذكر "ملك إسرائيل" "وبيت داود" (3) ...

وهكذا نجد أن إعلان لومير عن وجود عبارة بيت داود" في نقيشة ميشع مثير للإستغراب بعد اكتشاف النقيشة بمائة وخمسة وعشرين عامًا وبشكل متزامن مع ظهور "بيت داود" في نقيشة "لايش" ... فأيّ النقيشتين يدعم حظوظ الأخرى لاحتواء عبارة "بيت داود" ، سيما وأن "لومير" يبحث في هذه المسألة من منطلق معلومات توراتية وردت في سفري الملوك الأول والثاني لعل أهمها علاقات الآراميين بالمملكة

---

1 - أنظر إلى نقيشة ميشع منشورة ومترجمة بالتفصيل في كتاب : ولفنسون . إسرائيل : "تاريخ اللغات السامية" (بيروت - بدون تاريخ) ص 97 - 101 . ولاحظ أيضًا أن مجلة الآثار التوراتية الصادرة في فيفري 1994 تذكر أن "داود" في نقيشة "لايش" يرد لأول مرة خارج أسفار العهد القديم ... أنظر - Summer in the sand (B.A.R) Op. Cit. P 57

2 - Lemaire : House of David, restored in Moabite inscription. Op. Cit P 33

3 - Ibid. P.32.

المنفصلة (إسرائيل ويهوذا) في القرن التاسع ق.م. - زمن النقيشتين المذكورتين - وكانت بوادر انفصال المملكة المتحدة قد بدأت في سفر الملوك الأول ، فتزعمت سلالة داود" مملكة يهوذا وعاصمتها "يروشلم" (1) ، ومملكة يهوذا هي المملكة الأهم بالنسبة إلى الباحثين التوراتيين لأسباب تتعلّق - بالخصوص - بعاصمتها المزعومة. إذًا فنقيشة "لايش" مثيرة للشكوك أكثر من الإستنتاجات التي خلص إليها البعض ، والتي كان الهدف منها إثبات "تاريخية " "داود" وتأكيد الروايات التوراتية حوله وحول سلالته الحاكمة ، وإعطاء تلك السلالة دورًا أساسيًا في تاريخ الشرق الأدنى إلى جانب القوى الكبرى (2) - خارج أسفار العهد القديم - وهكذا فدراسة المدينة الكنعانية "لايش" في ضوء العهد القديم تجعل من النقيشة المذكورة أمرًا غريبًا وصعب التصديق (3) ، فرغم التهشيم الذي أصابها وفقدانها لأجزاء كثيرة منها ، فإن الجزء المكتشف جمع الإله الآرامي "هدد" و"ملك إسرائيل" و "بيت داود" مع بعضهم ضمن تخليد آرامي لنصر على الإسرائيليين ، الأمر الذي نجد له أصداء في المعلومات الخاصة "بلايش" في ضوء العهد القديم ...

---

1 - وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعلومات خاصة فقط بالعهد القديم ، راجع الإصحاحين 11 و 12 من سفر الملوك الأول .

2 - أنظر Rainey : Op. Cit P 47

3 - يبدي الباحث توماس طمسن في أحدث دراسة له - عام 1999 - اعتراضًا كبيرًا على نقيشة "لايش" من حيث قراءتها وتأريخها وتفسيرها بل ويتحدث عن إمكانية كونها مزوّرة ... أنظر كتابه :

Thompson. Thomas. L : The Bible in History. How writers Create a Past.OP. Cit. PP 203 - 205.

43 - لبنة :

مدينة ومملكة كنعانية تقع - حسب سفر يشوع - بين مدينتي "مقده" ولكيش (1) ، ويذكر يشوع في سفره أنه ضرب بحد السيف كل نفس فيها : (ويكهَ لفي حرب وإت كل هنفش أشر بَهْ ...) (2) ...

ويذكر سفر الملوك الثاني أن لبنة ثارت على بني يهوذا خلال حكم ملكهم "يهورم بن يهوشفط" (3) المتزوّج من "عتليهو" (عتليا) إبنة "إيزابل" - الأميرة الصورية وزوجة آحاب ملك السامرة - (4) ... ونستشف من بعض الشواهد الواردة في سفري الملوك الثاني وأخبار الأيام الثاني أن زواج يهورم بن يهوشفط من "عتليا" إبنة "ايزابل" أضعف اليهود في المنطقة وأوقعهم في المشاكل الداخلية بسبب ولاء يهورم لزوجته واتّباعه لديانتها الفينيقية ، تماماً كما فعل "آحاب" بتأثير إيزابل (5) ... الأمر الذي شجّع الكنعانيين (لبنة) والأدوميين (أدوم) والفلستيين وحتى العرب على مهاجمة يهوذا حسب الشواهد التالية : (ويفشع أدوم متحت يد يهوده عد هيوم هزه آز تفشع لبنه بعت ههيا متحت يدو كي عزب إت يهوه ...) (6) أي :

---

1 - يشوع 10 : 29 - 31

2 - يشوع 10 : 30

3 - ملوك ثانٍ 8 : 22 وأيضاً أخبار الأيام الثاني 21 : 10

4 - ملوك ثانٍ 8 : 16 - 18 ، أنظر ما سيأتي حول إيزابل فيما بعد .

5 - أنظر ما سيأتي في المبحث الخاص بالإله بعل .

6 - أخبار الأيام الثاني 21 : 10

(وعصى أدوم من تحت يد يهوذا إلى هذا اليوم ، وحينئذٍ عصت لبنة من تحت يده لأنه ترك يهوه ...) ونقرأ أيضًا : (ويعر يهوه عل يهورم إت روح هفلشتيم وهعربيم ... ويعلو بيهوده ويبقعوهَ ويشبو إت كل هركوش هنمصا لبيت هملك وجم بنيو ونشيو ...) (1) أي : (وأهاج يهوه على يهورم روح الفلستيين و العرب ... فصعدوا إلى يهوذا واقتحموها وصادروا الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه ...)

وهكذا نستطيع من خلال الشواهد السابقة الحديث عن تحالف ضم الكنعانيين - بقيادة لبنة - والأدوميين والفلستيين والعرب للقضاء على يهوذا نتيجة عوامل الضعف التي دبّت بها ... وتحمل المعلومات السابقة أكثر من عبرة على الصعيدين الديني والسياسي في أرض كنعان ، فالصراع الديني فعل فعله من خلال سيطرة الديانة الكنعانية على ديانة يهوه - بتأثير "عتليا" - الأمر الذي أغضب أنبياء اليهود وأثارهم ضد يهورم ، فنقرأ شاهدًا في سفر أخبار الأيام الثاني يتحدث عن موت يهورم "غير مأسوف عليه" : (... ويلك بلا حِمْدَه ويقبرهو بعير دويد ولا بقبروت هملكيم ...) (2) أي : (وذهب غير مأسوف عليه فدفنوه في مدينة داود وليس في مقبرة الملوك ...) . ومن شأن هذا الصراع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية أن يضعف "يهوذا" ، فتسنح بذلك الفرصة لسكّان أرض كنعان - كما رأينا - لمهاجمة يهوذا ... أما "العرب" من خلال المعلومات السابقة ، فقدْ تبيّن أنهم دخلوا المعركة ضد يهوذا إلى جانب الكنعانيين ، علمًا أن أخبارهم - بدءًا من القرن

---

1 - أخبار الأيام الثاني 21 : 16 ، 17

2 - أخبار الأيام الثاني 21 : 20

التاسع ق.م (1) – واستناداً إلى العهد القديم ، تشير إلى أنهم بدون ميول سياسية واضحة ، فهم في عهد "يهوشفط" أبي "يهورم" – الذي هاجموه – يقدمون ليهوشفط الهدايا : (... هعربيايم مبيايم لو صأن إيليم ، شبعة ألفيم وشبع مأوت وتيشيم شبعة ألفيم وشبع مأوت) (2) أي : (والعربان جلبوا له سبعة آلاف وسبعمائة كبش من الغنم ومثلها من التيوس) ... إذاً ، فالمستجدّات في أرض كنعان (ضعف يهوذا وثورة سكّان أرض كنعان) أو ضحت المشهد السياسي ، وقد اتّضح هذا المشهد أكثر بقدوم الملك الآشوري سنحريب (705 – 681 ق.م) إلى المنطقة (3) ، وقد سجّل هذا الملك حضوره في "لبنة" استناداً إلى العهد القديم (4) .

وهكذا نلاحظ أن الحديث عن "لبنة" – المدينة الكنعانية – في ضوء العهد القديم مرتبطٌ بواقع سياسي اكتشفنا من خلاله طبيعة العلاقات في أرض كنعان ، وكانت لبنة جزءاً أساسياً من هذا الواقع .

---

1 – وهو تاريخ أول ذكر لهم في وثائق الشرق الأدنى القديم ، أنظر ما سيأتي حولهم في حوليات الملك الآشوري شلمنصر الثالث (857 – 824 ق.م)

2 – أخبار الأيام الثاني 17 : 11

3 – أنظر حوليات سنحريب في الفصل القادم .

4 – ملوك ثان 19 : 8 .

44 - لكيش :

مدينة ومملكة كنعانية إسم ملكها "يفيع" - حسب سفر يشوع - وقد كان "يفيع" عضواً في تحالف كنعاني ضمّ ملوك القدس وحبرون ويرموت وعجلون لمحاربة جبعون ويشوع (1) ، ويلقي هذا التحالف الضوء على العلاقات التي كانت تربط بين ملوك المدن الكنعانية وسياستها تجاه الأخطار المحدقة بأرض كنعان (2) ...

يعود تاريخ مدينة لكيش إلى العصر الكالكوليتي (4500 - 3100 ق.م) وهي حالياً "تل الدوير" على بعد 30 كم إلى الجنوب من عسقلان (3) .

وكمملكة كنعانية ، ذُكرت لكيش في مراسلات العمارنة من القرن الرابع عشر ق.م ، وهو أول ذكر لها في الوثائق القديمة - حسب "أسشكين" - (4) . وقد قدّم موقع تل الدوير لكيش) بعض الشواهد على الديانة الكنعانية في الفترة الواقعة بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر ق.م ، إذ كشفت التنقيبات عن ثلاثة معابد تعود إلى الفترة المذكورة . وقد أشارت بعض محتوياتها - كالتماثيل والهدايا النذرية - إلى عبادة الإلهة "إلّة" أو "اللات" والإله رشف (5) .

يشير سفرا الملوك الثاني وأخبار الأيام الثاني إلى حملة الملك الآشوري سنحريب

---

1 - يشوع 10 : 3 - 6

2 - راجع "جبعون" .

3 - Ussishkin. David : "Lachish" in (E.A.E.H.L) Vol. III, P735 -

4 - Ibid.

5 - كنيون كاثلين : الكتاب المقدس والمكتشفات الأثرية الحديثة ،مرجع سبق ذكره ، ص 34

(705 – 681 ق.م) إلى أرض كنعان (1) ، وكانت مدينة لكيش ضمن الأحداث الهامة لحملة هذا الملك الذي جعل من لكيش مقراً لإدارة العمليات ضد بني يهوذا (2) ... وحسب الباحثة كنيون – فقد اكتُشفت في موقع تل الدوير خوذة آشورية وبعض المعدّات الحربية (3) .

وفي سفر إرميا ورد ذكر لكيش كمدينة محصّنة خلال حملة الملك البابلي "نبوخذ نصّر" إلى المنطقة عام 586 ق.م ، وهي الحملة التي تم فيها القضاء على بني يهوذا في أرض كنعان (4) .

---

1 – ملوك ثانٍ 18 : 13 .... 37 ، 19 : 8 ، أخبار الأيام الثاني 32 : 1 – 9 ...

2 – أنظر التفاصيل في حوليات الملك سنحريب (الفصل القادم)

3 – كنيون : المرجع المذكور سابقًا ، ص 102

4 – إرميا 34 : 1 – 7 ، أنظر أيضًا Ussishkin : OP, Cit, P736

45 - لــــــود :

مدينة كنعانية ورد ذكرها مع المدن الكنعانية التي غزاها تحوتمس الثالث في القرن 15 ق.م (1) ...

وهي حاليًا مدينة اللد الواقعة على بعد حوالي 18 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة يافا (2) .

وورد ذكرها أيضًا في سفريْ عزرا ونحميا كمدينة آهلة بالسكّان بعد السبي البابلي (3) .

ويجب التمييز بين "لود" - المدينة الكنعانية - و "لود" الشعب المذكور في سفر التكوين على أنه شعب منحدر من "سام" (4) ، ويُعتقد أن شعب لود هو الشعب الليدي الذي كان يسكن منطقة ليديا في آسيا الصغرى (5) ، وحسب سفر حزقيال ، فرجال لود (الليديون) - مع فارس وفوط - كانوا مرتزقة في جيش صور : (فرس ولود وفوط هيو بحيلك أنشي ملحمتك ...) (6) أي : (فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك ...)

---

1 - Kaplan. Jacob : "Lod" in (E.A.E.H.L) Vol 3, P753.

2 - نصار شاكر : قاموس الكتاب المقدس ، ص 814 ، 820

3 - عزرا 2 : 33 ، نحميا 7 : 37

4 - تكوين 10 : 22

5 - أنظر نصار : المرجع السابق ، ص 820 ، وأيضًا Bordreuil, Chatonnet : OP. Cit. P 122 -

6 - حزقيال 27 : 10 ... راجع مدينة صور ...

46 - مجدّو :

مدينة كنعانية تقع على بعد حوالي 27 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا في الطرف الجنوبي من سلسلة الجبال التي تنتهي بجبل الكرمل في الشمال ، وهي حاليًا تل المتسلّم (1) .

ومجدّو -حسب سفر يشوع- مملكة (2) ، ويعود تاريخها إلى ستة آلاف سنة ق.م (3) . واستنادًا إلى وثائق الشرق الأدنى القديم ، فإن موقع مجدّو كان استراتيجيًا من حيث تحكمه بأكثر الطرق التجارية والعسكرية أهمية ، تلك الطرق التي ربطت مصر بسوريا والأناضول وبلاد الرافدين (4) .

ونظرًا لأهمية هذه المدينة فقد أجريت في موقعها أربع جولات من التنقيب خلال القرن المنصرم (5) ، بدأت أولاها بين عامي 1903 و 1905 على يد الباحث الألماني "شوماخر" (G.Schumacher) (6) ، أما الثانية فقد انطلقت عام 1925 بإشراف

---

1 - أنظر أطلس الكتاب المقدّس ، ص 24 .

2 - يشوع 12 : 21

3 - Finkelstein. Israel, Ussishkin David : "Back to Megiddo", in (BAR) vol 20, N1 1994, P28 .

4 - Ibid

5 - للإطّلاع على ملخص نتائج تلك التنقيبات أنظر :

- Davies. G. I : "Megiddo", Cambridge, 1986,
- Kempinsky. Aharon : Megiddo : A City State and Royal Centre in North "Israel", Munich 1989.

6 - حول التنقيبات الألمانية في مجدّو أنظر :

- Schumacher. Gotlieb : Tell el-Mutesellim 1, Leipzig, 1908
- Watzinger. C : Tell el-Mutesellim 2 , Leipzig, 1929 .

معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو وبرئاسة عالم المصريات (جيمس بريستد (James, H. Breasted وقد كشفت هذه التنقيبات عن عشرين طبقة أثرية في الموقع من عصرالنيوليت(الألف السادس ق.م)إلى العصر الفارسي(القرن 5ق.م) (1) وقد قام بالتنقيب - للمرة الثالثة في الموقع - ييجال يادين (Yigael Yadin وذلك بين عامي 1960 - 1970 تحت إشراف الجامعة العبرية في القدس المحتلّة ، وقد صبّ "يادين" اهتمامه - حسب مجلة الآثار التوراتية - على "المشاكل الستراتيجرافية المعقّدة الخاصة ببقايا عصر سليمان"، ولا سيما "التحصينات"(2)... وفي عام 1994 بدأت الجولة الرابعة من التنقيبات في مجدّو برئاسة "إسرائيل فنكلشتاين" وداود أُسشكين" من جامعة "تل أبيب" (3) . وقد كشفت التنقيبات - السابقة لتنقيبات الباحثين المذكورين - في المنحدر الشرقي من التل عن بقايا عصر النيوليت المتأخر - العائدة إلى الألفين السادس والخامس ق.م - وبقايا العصر

---

1 - Finkelstein, Ussishkil : OP. Cit. P30

2 - أنظر مقالة "يادين" حول هذا الموضوع في مجلة الآثاري التوراتي :

- Yadin. Yigael : "Megiddo of the Kings of Israel", in (B.A), 33, 1970. PP. 66 - 96

* وللإشارة فالباحث والآثاري "ييجال يادين" هو قائد سابق لأركان جيش الاحتلال الإسرائيلي ... مارس السياسة والحرب وعلميْ التاريخ والآثار في آن واحد الأمر الذي يفيدنا في مناقشة مسألة "حياد المؤرخ ونزاهته" ... وذلك بالرغم من عدم نزاهة المؤرخين الإسرائيليين ، مدنيين كانوا أم عسكريين ... أنظر حول "يادين" : جريدة الشرق الأوسط ، عدد 17 جوان 2001 .

3 - Finkelstein, Ussishkin, OP. Cit P28

- Summer in the Sand, OP. Cit P58.

الكالكوليتي – العائدة إلى الألف الرابع ق.م – وبقايا عصر البرونز المبكر – العائدة إلى نهاية الألف الرابع ومطلع الألف الثالث ق.م ... وقد عثر المنقبون على منطقة "مقدّسات" ضمّت سلسلة من المعابد التي استمرّت بوظيفتها من عصر البرونز المبكر إلى مطلع عصر الحديد ، وفي المعبد الأقدم – بين هذه المعابد – عُثر على حربة شعائرية من النحاس (Ceremonial Copper Spear) قد تخص – ما دعاه "فنكلشتاين" – الكاهن المحارب (1) ... ومن بين مكتشفات عصر البرونز المبكر في المنحدر الشرقي من التل أيضًا سور دفاعي ضخم عرضه 25 قدمًا وارتفاعه 13 قدمًا ويعد هذا السور الأقدم والأقوى من بين الأسوار التي حصّنت مجدّو ما يزيد على ألف سنة ... إلاّ أن الآثارية البريطانية كاثلين كنيون (Kathleen Kenyon) ترى أن السور المذكور – أي سور عصر البرونز المبكر – إنما هو جدار ماسك (ظِئر) أقيم لتدعيم بناية ضخمة اتّضعت أعلى المنحدر ... وتُرجع كنيون هذه البناية إلى "عهد سليمان" ، الأمر الذي وضعه الباحثان "فنكلشتاين" و "أُسشكين" ضمن أولوياتهما – أثناء التنقيب في مجدّو – للتأكّد منه (2).

وفي عصر البرونز الوسيط (مطلع القرن العشرين ق.م) كانت مجدّو محاطة بسور حصين ، وكان لها مدخل ببوّابة ، وقد استمرت "منطقة المقدّسات – العائدة إلى عصر البرونز المبكّر – في عصر البرونز الوسيط ، وإلى هذه الفترة يعود معبد اكتنف مدخله بُرجان فبدا كالحصن سيما وأن سماكة جدرانه بلغت عشرة أقدام ، أما مخطط هذا المعبد الكنعاني فقد ضمّ بناية كبيرة مستطيلة الشكل طولها سبعون قدمًا وعرضها خمسون ، كما ضم محرابًا في الجدار الخلفي لبهو المعبد .

1- Finkelstein, Ussishkin, OP. Cit P31 -

2 – أنظر : كنيون : الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، مرجع سبق ذكره ، ص 76 ، أنظر أيضًا : Finkelstein, Ussishkin, OP. Cit, P31 -

ومن بين مكتشفات هذه الفترة أيضًا بناءٌ ضخم بجدران حجرية سميكة اعتقد الباحث الألماني "شوماخر" أنه قصر ، وإلى جانب هذا "القصر" كُشف عن بناء حجري آخر عثر "شوماخر" داخله على ثلاثة قبور حجرية فريدة من نوعها ، وقد احتوى أحد هذه القبور على هيكل عظمي اضطجع على دكّة (مقعد) ومعه تشكيلة من الحلي الذهبية والجعلان الذهبية - أيضًا - وتشير هذه القبور إلى أنها للسلالة الملكية الكنعانية في مجدّو ، إذ عُثر في المكان أيضًا على هياكل عظمية أخرى وعدد من "الهدايا الجنائزية" على الأرض (1) .

ويبدأ عصر البرونز المتأخر في مجدّو سنة 1550 ق.م تاركًا في الموقع بعض المشاكل الأثرية - وبالتالي التاريخية - وذلك استنادًا إلى الحدث المصري المدوّن - بالهيروجليفية - على جدران معبد أمون في الكرنك عند نهر النيل في مصر العليا ذلك الحدث الذي يشير إلى اكتساح مجدّو من قبل الفرعون تحوتمس الثالث سنة 1479 ق.م ، الأمر الذي توافق مع موقع مجدّو جغرافيًا وطبوغرافيًا (2) ...

وكان تحوتمس الثالث قد قرّر اكتساح مجدّو ليحافظ على السيطرة المصرية في البلاد الكنعانية ، فواجه في مجدّو تحالفًا كنعانيًا قاده ملك "قادش" - الواقعة على نهر العاصي في سوريا (3) - ، وأبرز ما اتّضح من نتائج المعركة هو الغنائم التي جمعها الجيش المصري من جيش التحالف الكنعاني ، وقد شملت هذه الغنائم الخيول

1- Finkelstein, Ussishkin : OP. Cit, P31

2- Ibid

3- Ibid

والعربات المشغولة بالذهب والدروع والأقواس والأبقار والمواشي(1) وتفيدنا أخبار معركة مجدّو - التي واجه فيها تحوتمس الثالث تحالف جيوش المنطقة - في تأكيد سياسة "التحالف العسكري" التي اتّبعها ملوك المدن الكنعانية لمواجهة الأخطار المحدقة بالمنطقة وقد أطلعنا العهد القديم على مثل هذه السياسة ، وتطرّقنا إلى بعض الأمثلة لعل أهمها التحالف العسكري الذي قاده ملك القدس ضد جبعون ويشوع ، وكذلك التحالف الذي قاده ملك حاصور لصدّ خطر يشوع ، وفي الحوليات الآشورية - الفصل القادم - سنطّلع على أحداث أكبر تحالف عسكري في المنطقة - القرن التاسع ق.م - ، ذلك التحالف الذي ضمّ الجيوش الآرامية والكنعانية الفينيقية بقيادة ملك دمشق لمواجهة الآشوريين في معركة قرقر على نهر العاصي... ومن مكتشفات مجدّو التي بقيت بعد غزو تحوتمس قصرٌ في القسم الشمالي من الموقع بلغت سماكة جدرانه ستة أقدام تقريباً ، وقد ضمّ القصر ساحة كبيرة في وسطه كما احتوى على غرفة استحمام كبيرة تكونت من حوض اغتسال فيه مقعد (2) ، أما الأرض فقد رُصفت بأصداف البحر (3) ...

---

1 - حول هذا الموضوع ، ولمزيد من التفاصيل راجع : Breasted James. H : Ancient Records of Egypt (5 vols), Chicago, 1906 - 1907, Vol, II, 435.

وللإطّلاع على معركة مجدّو بالإمكان مراجعة :

- Faulkner R : "The Battle of Megiddo", in : Journal of Egyption Archaeology, Vol 28.

2 - لاحظ وجود هذا النوع من غرف الإستحمام في بيوت مدينة كركوان البونية في الوطن القبلي بتونس ... رانظر حولها : فنطر : الفينيقيون بناة المتوسط ، مرجع سبق ذكره ، ص 156 وأيضاً : فنطر : الحرف والصورة في عالم قرطاج ، مرجع سبق ذكره ص 158

وحول "البيت البوني" راجع : Fantar. M. H : Kerkouane, II, Tunis, 1985.

3 - Finkelstein, Ussishkin, OP. Cit, P33

هذا ولم يقتصر ذكر مجدّو على وثائق تحوتمس الثالث، بل ذكرت أيضًا في مراسلات العمارنة - القرن 14 ق.م - وأظهرت تلك المراسلات وجود علاقة بين ملك مجدّو بريديا (Biridiya) و الفرعون المصري أمنحوتب الثالث أو إبنه أخناتون (أمنحوتب الرابع) (1) ...

وتعتبر مراسلات العمارنة شاهدًا كبيرًا على الدور الذي قامت به مجدّو في مسرح الأحداث الدولية في فترة البرونز المتأخر بين عامي 1550 و 1200 ق.م ، وفضلاً عن ذلك فقد ذُكرت مجدّو - أيضًا - في رسالة عُثر عليها في "حاتوشا" عاصمة الحثيين تتضمن وصفًا جغرافيًا لأرض كنعان ، على غرار ما تضمّنته بردية مصرية - من القرن 13 ق.م - سُمّيت بردية أنَستاسي I (Anastasi) (2) .

وأخيرًا فإن أهم ما يميّز مكتشفات عصر البرونز المتأخر في مدينة مجدّو هو تلك المجموعة الهائلة من القطع العاجية ، التي بلغ عددها 382 قطعة وعُثر عليها سنة 1937 في ثلاث من غرف الخزن لقصرٍ اكتشف في الجزء الشمالي من موقع مجدّو ، وقد صوّرت تلك القطع مواضيع تحمل الطابع المحلّي الكنعاني وتأثيرات أخرى مصرية وحثية ورافدية وإيجية ، وقد صُنّفت هذه المجموعة العاجية كواحدة من أغنى "العاجيات" القديمة المكتشفة حتى الآن (3) .

بعد هذه اللمحة عن مجدّو من عصر النيوليت إلى مطلع عصر الحديد ، يستغل الباحثان "فنكلشتاين" و "أُسشكين " المعركة التي جرت بين الكنعانيين - بقيادة يبين ملك حاصور و قائد جيشه سيسرا - وبين بني إسرائيل عند نهر قيشون - القريب

---

1 - Moran : (E.A) 242 - 246

2 - Finkelstein, Ussishkin P33

3 - أنظر حولها : Ibid, PP 34, 36 ، وأيضًا : Markoe : OP. Cit : P144 -

من مجدو – استناداً إلى قصّة "دبوره وبرق" المذكورة في سفر القضاة ... ويعتبر الباحثان المذكوران أن مجدّو – في هذه المعركة – تدخل الحدث التوراتي بين القرنين 12 و 11 ق.م – أي زمن القضاة حسب الباحثين المذكورين (1) ...

وبدون الدخول في تفاصيل هذه المعركة – التي أتينا على ذكرها في الحديث عن مدينة حاصور – فإن مجدّو غير مذكورة مباشرة ضمن هذا الحدث الذي ساقه كاتب سفر القضاة ضمن أغنية دبوره ، وهي نوع من الأدب الرعوي ، وتحمل مبالغة كبيرة (2) .

ويذكّر فنكلشتاين وأسشكين بشاهد سفر يشوع الذي يؤكّد غزو مجدّو (3) ، كما يذكّران بشاهد سفر القضاة الذي يؤكد عدم احتلال مجدّو من قبل بني إسرائيل (4) ... وهذا التناقض بين سفري يشوع والقضاة دعا الباحثين المذكورين – ومعهم ييجال يادين– إلى التساؤل: متى وكيف سقطت مجدّو بأيدي الإسرائيليين ... ؟ (5) ويفترض هذا التساؤل أن المدينة احتُلّت احتلالاً من قبل الإسرائيليين في وقت ما ، ولكن دون أن يستند هذا التساؤل إلى معطيات ، وقد لاحظنا وأن مجدّو اجتازت شواهد العهد القديم التي تتحدث عن غزو يشوع واحتلال الأسباط لمدن كنعان وأغنية دبوره دون وجود دليل واحد على ذلك في آثار المدينة – كما في آثار

---

1 - Finkelstein, Ussishkin, OP. Cit P36

2 - راجع قصة دبوره في مدينة حاصور .

3 - يشوع 12 : 21

4 - قضاة 1 : 27

5 - Finkelstein, Ussishkin, P36 و أيضًا : Yadin. Yigael : "Megiddo" in (E.A. E. H.L) III, P831

غيرها من المدن الكنعانية ، لذا صبّ الباحثون الإسرائيليون اهتمامهم على عهد "سليمان" - القرن العاشر ق.م - لنسب بعض الأبنية في مجدّو إليه ، مستندين إلى شاهدين ضعيفين جداً من سفر الملوك الأول . الأول يتحدث عن وجود وكيل لسليمان في مجدّو يموّن بيته (1) ... والثاني يتحدث عن بناء سليمان لمعبد يهوه وقصره و سور القدس وحاصور ومجدّو وجزر (2) ...

ويرى كل من الباحثين آلستروم (Ahlström) و بيتر بار (Petter Par) أن سليمان-استناداً إلى الشاهد الأخير قام بإعادة بناء المدن المذكورة أو تحصينها (3) ولكن لا توجد معلومات عن أبنية سليمانية في مجدو بين معلومات العهد القديم ، ولا توجد أية تفاصيل تجعل كلاً من فنكلشتاين وأسشكين - وقبلهما كاثلين كينون - يؤكّد - بثقة - أن بعض قصور مجدّو تجعل منها مدينةً لسليمان ؛ سيما وأنها - أي القصور حسب الباحثين المذكورين - حملت طابع سليمان في عمارة مجدّو (4) ...

ويتحدّث فنكلشتاين وأسشكين عن الأبّهة السليمانية في ثلاثة من قصور مجدّو المكتشفة ، وهي القصور التي حملت الأرقام : 1723 و 6000 و 338 ، ويعتبران أن ما يؤكّد أبّهتها السليمانية هو الواجهات الحجرية المنحوتة ، الملساء والجميلة

---

1 - ملوك أول 4 : 12 ... راجع ما جاء عن هذا الموضوع في مدينة "دور" .

2 - ملوك أول 9 : 15

3 - Ahlström : Royal Administration and National Religion in Ancient Palestine ... OP, Cit P 36.

- Parr : The Levant in the Early First Millennium B.C ... OP Cit P 197

4 - Finkelstein, Ussishkin, OP. Cit P 36

وكنيون : مرجع سبق ذكره ص 79

والمزخرفة بعناية (1)... وهنا يستنجد الباحثان المذكوران بشاهد من سفر الملوك الأول يصف الحجارة التي بُني منها قصر سليمان في القدس ، ذلك القصر الذي بُني بخبرات فينيقية ، ولا أثر له الآن (2) ... وقد جاء في الشاهد الذي يصف الحجارة ما يلي : (كل إله أبنيم يقرت كمدت جزيت مجرروت بمجره مبيت ومحوص وممسد عد هطفحوت ومحوص عد هحصر هجدوله) (3) أي : (تلك البنايات جميعها كانت من حجر ثمين نحتت بالمنشار فصوصًا قدر المقاس ، داخلاً وخارجًا ، من الأسس إلى الطنوف وفي اللواحق حتى الفناء الكبير) (4) .

وعلى أية حال فوصف الحجارة هذا الوارد في الشاهد الأخير يخص قصر سليمان في القدس - استنادًا فقط إلى العهد القديم - وهو قصر مبنيٌّ - كما ذكرنا - بخبرات ومواد فينيقية - استنادًا أيضًا إلى العهد القديم ، ولو كانت قصور مجدّو لسليمان ، ومعاصرةً لقصره في القدس ، وتحمل نفس الأبهة ، فلماذا لم يأت العهد القديم على ذكرها وذكر تفاصيل بنائها ... ؟ وهل بالإمكان تطبيق الوصف الخاص بقصر القدس الضائع على قصور مكتشفة في مجدّو لتأكيد الهوية السليمانية ؟ ... لقد كان الأحرى بالباحثين المذكورين تأكيد الهوية الكنعانية الفينيقية لقصور وأبنية مجدّو ، سيما وأن الحجارة الضخمة المنحوتة - والتي استخدمت بكثرة في أبنية مجدّو - تعكس التقنيات الفينيقية في البناء (5) ، كما أن مخطط القصر رقم 1723 المكتشف في مجدّو يحكي الأسلوب الفينيقي في العمارة ، بل وأسلوب

1- Finkelstein, Ussishkin, P 36

2- حول هذا القصر راجع ما جاء في مدينة القدس ...

3- ملوك أول 7 : 9

4- راجع هذه الترجمة في فنطر : الفينيقيون بناة المتوسط ، مرجع سبق ذكره ، ص 51 .

5- Finkelstein, Ussishkin. OP. Cit, P 36 أنظر أيضًا Markoe : OP Cit, P81. -

بناء قصور سوريا الشمالية ، فلهذا القصر مدخل مقوس يؤدي إلى قاعة استقبال وحجرات خاصة تحيط بالفناء (1) ...

ولكن لا يعني وجود تقنيات البناء الفينيقية في أبنية مجدّو أنها هي التقنيات التي جلبها سليمان – حسب العهد القديم – لبناء القصر والمعبد في القدس حسب الإتفاقية مع حيرم ملك صور ، فهذه معلومة غير دقيقة ولا تنطبق على أبنية مجدّو، استخدمها فنكلشتاين وأسشكين لربط مجدو بمعلومات العهد القديم (2) ...) . وأخيراً واستناداً إلى شاهد من سفر الملوك يتحدث عن مدن العربات ومدن الفرسان (عري هركب و إت عري هفرشيم)التي لسليمان (3) ، زعم الباحثون – استناداً إلى فنكلشتاين و أسشكين – أن الدليل الأثري على الشاهد المذكور موجود في مكتشفات مجدّو ، وتؤكده – ما تمّت تسميته – "باصطبلات سليمان" ، وهذه الاصطبلات – حسب فنكلشتاين وأسشكين – هي بناءان في مجدّو تكوّنا من سلسلة من الأبنية لها جدران مشتركة بينها ، وكل بناء تكون من ثلاث غرف مقسمة بواسطة صفوف من الأعمدة ، وبين هذه الأعمدة أحواض حجرية جُعلت – ربما – معالف للخيول (4) ... ولكن هناك شكوكًا بكون هذه الأبنية اصطبلات خاصة بسليمان أو تعود لعهده (5) ، وترى الباحثة كنيون أنها ليست اصطبلات ، بل ربّما

---

1 – كنيون : المرجع المذكور سابقًا ص 77

2 – Finkelstein, Ussishkin, P36

3 – ملوك أول 9 : 19

4 – Finkelstein, Ussishkin, P 39

5 – Ibid , P 40

تكون مستودعات ، ولا تستبعد كنيون أن يكون قد تم استخدام نموذج عمراني موحّد لأغراض مختلفة (1) .

وختامًا ، فلا بد من الإشارة إلى تعليق الباحث توماس طمسن على العصر المسمّى بعصر سليمان ، معتبرًا إياه قصة توراتية لا وجود لأي دليل عليها ، وهي لا تعبر عن ماضٍ تاريخي ، وإنّما هي تخيلات جعلت من سليمان - وقبله داود وشاول - ملوكًا لملكة وهمية لا أساس لها في الواقع التاريخي والأثري (2) .

---

1 - كنيون : المرجع المذكور سابقًا ص 90 ، 91 .

2 - Thompson : The Bible in History OP Cit P164

47 - مدون :

مدينة كنعانية ذكرت في سفر يشوع على أنها مملكة واسم ملكها "يوبب" (1) ، وقد كانت إحدى الممالك التي انضمّت إلى مملكة حاصور لمحاربة يشوع (2) ، وهي حاليًا خربة مادين في الجليل (3) .

48 - مقدة :

مملكة كنعانية حسب سفر يشوع (4) ، كانت فيها مغارة (معره) اختبأ فيها - حسب السفر - ملوك كل من القدس وحبرون ويرموت ولكيش وعجلون خلال الحرب مع يشوع ، ثم قُتلوا ودُفنوا في هذه المغارة (5) ...

49 - نهلل :

مدينة كنعانية ذُكرت في سفري يشوع والقضاة (6) ، وحسب السفر الأخير ، لم يتمكن سبط "زبولن" من إخراج سكانها الكنعانيين منها (7) ، وهي حاليًا تل النحل جنوبي عكّا (8) .

---

1 - يشوع 11 : 1

2 - يشوع 11 : 1 - 5

3 - خوري . جورج : قاموس الكتاب المقدس ص 829

4 - يشوع 10 : 28

5 - يشوع 10 : 16 .... 27 أنظر مدينة جبعون .

6 - يشوع 19 : 15 ، قضاة 1 : 30

7 - قضاة 1 : 30

8 - صايغ أنيس : قاموس الكتاب المقدس ، ص 981

50 - يافا (يفو) :

مدينة كنعانية فينيقية ذات موقع طبيعي متميّز على الساحل الكنعاني (الفلسطيني) وذلك فوق هضبة خصبة ترتفع نحو ثلاثين متراً فوق مستوى سطح البحر ، وتتوغل في مياه البحر كالرأس الكبير المرتفع (1) .

تبعد يافا حوالي 55 كم عن مدينة القدس وإلى الشمال الغربي منها ، وتربط بين المدينتين علاقة هامة أشار إليها كتاب العهد القديم ، إذ كانت يافا "مرفأ" القدس على المتوسط وصلة الوصل بينها وبين مدن الساحل الفينيقي وخاصة صور (2) .

تعود أهم مخلّفات المدينة إلى عصر البرونز الوسيط وتتمثل في بقايا معمارية منها جدران حجرية وجدران من الطين المكسو بالحجارة ، وأقدم ذكر لاسم يافا جاء بالهيروجليفية من عهد تحوتمس الثالث - منتصف القرن الخامس عشر ق.م - وورد إسمها بصيغة "يبو" ويابو (3) ...

وقد ذكرت يافا أيضًا في حوليات الملك الآشوري سنحريب عام 701 ق.م بصيغة "يابو" (4) .

أما في النقائش الفينيقية ، فقد ذكرت يافا بصيغة "يفي" - أي الجميلة - وذلك في نقيشة "اشمن عزر" ملك صيدا ، تلك النقيشة التي سطرت على تابوته وتعود إلى بداية القرن الخامس ق.م ، وقد وردت فيها معلومات هامة نذكر منها ما يلي

---

1 - موسوعة المدن الفلسطينية ، مرجع سبق ذكره ، ص 783 .

2 - وقد لاحظنا تفاصيل ذلك في "مدينة صور" ... أنظر أيضا "معبد القدس" ...

3 - موسوعة المدن الفلسطينية ص 789 ، أنظر أيضًا :

- Kaplan. Haya, Jacob : "Jaffa" in (E.A.E.H.L) II, P532.

Ibid - 4

بخصوص مدينة يافا : (... وعد يتن لن أدن ملكم إيت دار ويفي أرصت دجن هأدرت إش بشد شرن لمدت عصمت إش فعلت ويسفننم علت جبل ارص لكننم لصدنم لعلم ...) (1) أي : (وأعطانا سيد الملوك "دور" و"يافا" أرض دجن الخصبة التي في سهل "شرن" للأيام العظيمة التي صنعتها ، وضممنا الأرض للحدود لتكون للصيدونيين إلى الأبد ...)

نلاحظ في هذا النص وجود إشارة إلى سيد الملوك (الفارسي) (2) فالنص يعود إلى الفترة الفارسية ، كما يذكر في النص سهل شرن المذكور في العهد القديم بصيغة "شرون" (3) وهو سهل ساحلي في أرض كنعان يمتد بين يافا جنوبًا وجبل الكرمل شمالاً (4).

ويجدر بالذكر أخيرًا أن ميناء مدينة يافا كان منطلقًا لسفن فينيقية تبحر باتجاه ترشيش (5) .

---

1 - (KAI) I, 14

2 - Kaplan : OP. Cit, P. 534.

3 - أنظر حولهُ أخبار الأيام الأول 27 : 29 ، إشعيا 35 : 2 ...

4 - أطلس الكتاب المقدس ص 18 أنظر حوله أيضًا :

- Bordreuil, Chatonnet : OP. Cit. P265

5 - وقد وردت تفاصيل هذا الموضوع في "مدينة صور" ...

الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية

في ضوء العهد القديم :

حوصلة ونتائج :

بعد التعريف بالمدن الكنعانية الفينيقية السابقة في ضوء العهد القديم ، وإعطاء لمحة عنها في ضوء بعض المكتشفات الأثرية ، ودراسة إمكانية الربط بين هذه المكتشفات ومعلومات العهد القديم - وكانت شبه معدومة في بعض المدن كما رأينا وخاصة بعد التدقيق في طروحات وآراء الباحثين الإسرائيليين المسيطرين على مادة البحث الأثري في مدن أرض كنعان - نستطيع تقسيم المعلومات الواردة عن المدن المذكورة إلى أربعة أنواع من المعلومات تفيد في معرفة تفاصيل الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم سواءً بشكل مباشر أو استنتاجًا .

أولاً : المعلومات السياسية : (الحياة السياسية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم) :

بعد دراسة المدن السابقة نلاحظ أنه لا توجد ظروف سياسية معينة أدّت إلى تأسيس هذه المدن ، فالعهد القديم يتحدث عن مدن كنعانية فينيقية ضمن واقع سياسي موجود أصلاً في أرض كنعان والساحل الفينيقي ، وبالإمكان الإطّلاع على هذا الواقع من خلال النقاط التالية :

1 - السياسة الداخلية : وتشمل الحديث عن :

أ -النظام الحاكم والسلطة في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم:

اتّبعت معظم المدن الكنعانية الفينيقية المذكورة في العهد القديم نظام المدينة المملكة ، وقد أشار العهد القديم إلى هذا النظام السياسي صراحةً في حديثه عن خمسٍ وعشرين مدينة من المدن الخمسين السابقة الذكر ، بينما أشار - بشكل غير مباشر - إلى أن بعض المدن كانت تحت سيطرة "ملك كنعاني" مثل "بئر سبع" التي تفاوض الملك الكنعاني أبيملك مع إبراهيم حول بئر حُفرت فيها ، ولم يذكر العهد القديم المملكة التي كان يحكمها أبيملك في الشاهد الخاص بمدينة بئر سبع ، إلاّ أننا نجد إسم أبيملك ملكًا لمدينة "جرر" القريبة من بئر سبع والواقعة مثلها في جنوب أرض كنعان ، فهل كان أبيملك يحكم المدينتين ؟

ومن ناحية أخرى نجد مدينتين من المدن السابقة أشير إلى وجود "حاكم" فيهما دون ذكر رتبته ، وهما شكم (نابلس) التي ذكر العهد القديم أن حاكمها هو "حمور الحوّي" وعسقلان (أشقلون) التي دعا العهد القديم حاكمها بـ العسقلاني (هأشقلوني) .

أما بعض المدن الممالك في أرض كنعان والساحل الفينيقي فلم تذكر على أنها ممالك في العهد القديم مثل أروادة وجبيل المملكتين الفينيقيتين استنادًا إلى الحوليات الآشورية والنقائش الفينيقية ، فبالنسبة إلى أروادة ، ورد في الحوليات الآشورية ذكر ملكين من ملوكها هما "متن بعل" (القرن التاسع ق.م) و"يكينلو" (القرن السابع ق.م) (1) ، أما جبيل فقد ورد ذكر العديد من ملوكها

---

1 - أنظر على التّتالي ما سيأتي في حوليات الملكين شلمنصر الثالث وآشور بانيبال ...

في النقائش الفينيقية المنسوبة إلى القرن العاشر ق.م - مثل "أتبعل بن أحرم" و"يحملك" و "أبيبعل" و "إلبعل" و"شفط بعل" (1) ...

وتذكر بقية المدن في العهد القديم دون الحديث عن حاكم لها أو ملك إلاّ أنها تبدو مستقلة ، وبشكل عام يتضح من أسفار العهد القديم نظام المدن الكنعانية الفينيقية المستقلة التي لم تنضم تحت راية دولة كنعانية فينيقية موحدة ، ومع ذلك فقد لاحظنا في العهد القديم وجود عديد الأمثلة على اتحاد هذه الممالك والمدن في ظروف معينة ، الأمر الذي يمكن الحديث عنه تحت العنوان التالي :

ب : العلاقات السياسية بين المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم :

ارتبط العديد من المدن الكنعانية الفينيقية بعلاقات سياسية مختلفة فجاء ذكر البعض منها في العهد القديم متلازمًا مع البعض الآخر مثل صيدا وعكّا وأحلب وإكزيب وحلبة وأفيق ورحب ، وقد جاء تفسير ذلك - كما رأينا - في حوليات الملك الآشوري سنحريب (705 - 681 ق.م) الذي يذكر بعض المدن السابقة كمدن حصينة تابعة لصيدا ... (أنظر أحلب) ...

وفي العهد القديم إشارات عدة إلى مكانة صيدا بين المدن الكنعانية الفينيقية ، لعل أهمها الإشارة الواردة في الشواهد الخاصة بمدينة لايش "التي لم تجد من ينقذها لأنها بعيدة عن صيدا ..." (أنظر لايش) ومن ناحية أخرى تبدو التحالفات بين المدن الكنعانية الفينيقية سياسةً اتّبعها ملوك أرض كنعان في الأزمات وأثناء التهديد الخارجي وقد وجدنا أمثلة كثيرة على ذلك بدأت في مدينة أريحا التي حُرّرت وضُرب بنو إسرائيل فيها -حسب العهد القديم- بواسطة

---

1 - KAI. I, 1, 4 7

تحالف جمع المؤآبيين والعمونيين والعمالقة في أرض كنعان-بقيادة ملك موآب "عجلون" كما نجد أن الفلستيين - أحد شعوب أرض كنعان - قد اتخذو لهم في مملكة أفق الكنعانية قاعدة لمحاربة بني إسرائيل ، وهذا حلف سياسي ذو أهداف عسكرية - سياسية أصلاً - .

ومن الأمثلة الهامة على التحالفات السياسية - العسكرية تحالفٌ قاده ملك حاصور ضد يشوع ، وقد ضم هذا التحالف مدن حاصور وأكشف ودور وشمرون ومدون، وتحالفٌ قاده ملك القدس لمحاربة جبعون ويشوع بسبب الصلح بينهما ، وقد ضم هذا التحالف مدن القدس وحبرون وعجلون ولكيش ويرموت .

وكما لاحظنا فقد بيّنت لنا هذه التحالفات زعامة بعض الممالك الكنعانية على الممالك الأخرى ، الأمر الذي تؤكده أسفار عدة في العهد القديم من خلال حديثها عن تلك الممالك كالقدس وحاصور . وفضلاً عن ذلك فقد وجدنا في العهد القديم بعض الأمثلة الفردية كهبّة ملك جزر لنجدة لكيش ومساعدتها في محاربة يشوع ولجوء جيش تحالف "القدس" إلى مدينة "عزقة" ثم اختباء الملوك المتحالفين في مغارة بمملكة "مقده" ... وكل هذه المعلومات تؤكد متانة العلاقات السياسية بين المدن الكنعانية الفينيقية وانسجام أجوائها السياسية بل ونظرتها السياسية المشتركة نحو مصير المنطقة ، ونجد أهم الأمثلة على ذلك اشتراك صور وصيدا وغزة - المدينة الكنعانية الفلستية - في بيع اليهود وإخراجهم من المنطقة .

ج- الجماعات المحلية أو "شعوب" أرض كنعان (التركيبة السياسية) :

بعد دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم ، بالإمكان الحديث عن وجود جماعات محلية أو شعوب ضمن التركيبة السياسية لأرض كنعان ، أمادرجة ارتباطها وعلاقتها بالكنعانيين الأصليين - حسب العهد القديم -

فتختلف من شعب إلى آخر حسب الأحداث المذكورة ، وفيما يلي ذكرٌ لتلك الشعوب - أو الجماعات - من خلال المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم :

- الأموريون :

وهم أحد شعوب الشرق الأدنى القديم ، سكنوا بلاد الرافدين وسوريا وأرض كنعان (1) ، وسجّلوا حضوراً هاماً في العهد القديم لاحظناه من خلال دراسة المدن الكنعانية الفينيقية ، ففي الحديث عن مدينة "جبعون" - كما رأينا - وُصف الجبعونيون بأنهم من بقايا الأموريين ، كما وصف العهد القديم ملوك القدس وحبرون ويرموت ولكيش وعجلون - المتحالفين ضد يشوع وجبعون - بأنهم ملوك الأموريين (2) ، وقد ورد عن مدينة "شعلبيم" أنها مدينة كان يسكنها الأموريون ...

---

1 - ونظراً لورود ذكرهم في حوليات الملك الآشوري تجلت فلاصر الأول (1115 - 1077 ق.م) ، سنقوم بتقديم لمحة وافية عنهم في فصل الحوليات الآشورية،أنظر حوليات الملك تجلت فلاصر الأول

2 - يشوع 10 : 5

وللإشارة ، فلا يبدو الأموريون شعبًا غريبًا عن أرض كنعان ، بل أحد الشعوب الذين تكنعنوا ، والعهد القديم نفسه يعتبرهم كنعانيين (1) .

- الآراميون و بنو "إسرائيل" :

الآراميون أحد شعوب الشرق الأدنى القديم ، استقروا في بلاد الرافدين وسوريا في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م ، وقبل ذلك كان الآراميون من القبائل المتنقلة في البادية السورية بين سلسلة الجبال التدمرية وجبل بشري(2) ، وهم

---

1 - تكوين 10 : 15 ، 16 ... وحول الأموريين والكنعانيين أنظر :

- Kenyon. Kathleen : Amorites and Canaanites, London, 1966.

و يجدر بالذكر أن أكثر الدراسات المتعلقة بالأموريين هي الدراسات المعتمدة على مصادر البحث عن الحضارة الرافدية وثائق مدينة ماري السورية ، أنظر على سبيل المثال :

- Clay Albert. T : Amurru : The Land of the Northern semites - Philadelphia 1909.

- Clay. Albert. T : The Empire of the Amorites, New Haven, 1919

- Albright. W. F : Western Asia in the Twentieth Century B.C : The Archives of Mari. (BASOR) 67, 1937

- Klengel. H : Hamurapi Von Babylon und Seine Zeit, Berlin, 1978.

2 - راجع : فرزات محمد حرب : الأدب في التاريخ الآرامي القديم ، مجلّة دراسات تاريخية عدد 21 ، 22 جامعة دمشق 1986 ص 137

حسب بعض الباحثين - متفرعون من قبائل "الأحلامو" المذكورين في رسائل العمارنة بصيغة أحلامو - أرمايا (1) ...

واستناداً إلى دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم ، فقد لاحظنا اتصال الآراميين بأرض كنعان من خلال المعلومات الخاصة بإبراهيم ، فقد ورد عنه أنه أرامي من حرّان اغترب في أرض كنعان وكذلك الأمر بالنسبة إلى إسحق ويعقوب وأبناء يعقوب ، فجميعهم - كما رأينا - ينسبون إلى بلاد آرام ... ونحن إذْ لا يمكننا تأكيد هذه المعلومات - لأنها وردت فقط في العهد القديم - نستطيع الحديث عن هجرة آرامية من بلاد الرافدين إلى أرض كنعان بحثاً عن الإستقرار ، وقد مثّلت قصة إبراهيم إشارةً إلى هذه الهجرة ، ولأن إبراهيم شخصية هامة حسبما لاحظناه في دراستنا لمدن بئر سبع وبيت إل وجرر ، فقد عمد كتّاب العهد القديم إلى اختلاق قصة "إسرائيل" على أنه إسمٌ أطلق على يعقوب حفيد ابراهيم (2) ، وقبل هذه القصة لاحظنا قصة "حلم يعقوب" في بيت إل ، ذلك الحلم الذي تضمّن الوعد اليهواوي بإعطاء يعقوب ونسله أرض كنعان ...

---

1 - حول الأحلامو والآراميين أنظر :

- Brinkman. J.A : A Political History of Post-Kassite Babilonia 1158 - 722 B.C, Rome, 1968

وأيضًا : فرزات محمد حرب ، مرعي عيد : دول وحضارات في الشرق العربي القديم ، دمشق 1994 ، ص 180 .

- أنظر - أيضًا - ما سيأتي حول الآراميين في فصل الحوليات الآشورية .

2 - تكوين 32 : 28

إذًا فكاتب سفر التكوين حشر القصّتين - أي قصة "يهوه" و "إسرائيل" - بشكل مقصود - بل ومفضوح - ضمن أخبار تخص قومًا آراميين حسب سفر التكوين نفسه وبعض الإشارات من بقية الأسفار كسفر التثنية الذي يتحدث عن الآرامي التائه يعقوب ... (أنظر حبرون) ، وقد وردت قصّتا "يهوه" و"إسرائيل" ضمن "أحلام" رآها يعقوب كما روى كاتب سفر التكوين ، ولاحظنا أيضًا في دراستنا لمدينة شكم (نابلس) أن إصحاحًا واحدًا فقط من سفر التكوين يفصل بين إسرائيل - الإسم المُطلق على يعقوب - وبين إسرائيل - الإسم الجغرافي - كما أراده كاتب السفر ، الأمر الذي يؤكّد الحشو والغرض السياسي ، فيعقوب في مدينة شكم نزيل غريب مع أفراد أسرته ، إلاّ أن كاتب سفر التكوين وصف ما حدث بين ابنته دينة وشكم الحوّي بأنه "قباحة في إسرائيل" و"إسرائيل" مازال شخصًا ...

وبهذه البساطة تحوّل إبراهيم - الآرامي المهاجر - إلى جد "لإسرائيل" أو يعقوب - الآرامي التائه - وأضحى بنو يعقوب - آراميو المولد - بني إسرائيل وتنقطع - في سفر التكوين - أخبار تلك العائلة الآرامية لتتحول إلى أخبار عائلة إسرائيلية وصل يوسف - أحد أفرادها - إلى مصر ثم تبعه بقية أفراد العائلة ليعيشوا هناك أربعمائة وثلاثين عامًا (1) قبل الخروج إلى أرض كنعان حسب رواية سفر الخروج .

وهكذا فنحن لا نستطيع تتبّع أخبار أولئك القوم الآراميين بعد الإصحاح الواحد والثلاثين من سفرالتكوين، وربما بعد الإصحاص الخامس والعشرين، أي بعد دفن

---

1 - خروج 12 : 40 ، وانظر قصة التحاق يوسف بمصر بدءًا من الإصحاح التاسع والثلاثين من سفر التكوين .

ابراهيم في حبرون (الخليل) ، إذ نلاحظ تغيراً سريعًا ومفاجئًا في الأحداث قصد منه كاتب سفر التكوين الحديث عن بداية تاريخ "إسرائيلي" لعائلة ابراهيم الآرامية ولكن لا يمكن قبول هذا الأمر ، لأننا نلاحظ انقطاعًا تامًا بين سفري التكوين والخروج فيما يخص تاريخ العائلة المذكورة ، وهذا ما أكّدته الباحثة كاثلين كنيون بنفيها لوجود علاقة بين قصة "الآباء" - أي هجرة ابراهيم - وقصة "الخروج"- أي خروج موسى وجماعته من مصر باتجاه أرض كنعان (1).

وقد جاء في سفري التكوين والخروج أن كل أفراد عائلة يعقوب وعددهم سبعون مع يعقوب (2) - التحقوا بيوسف في مصر : (ويقحو إت مقنيهم وإت ركوشم أشر ركشو بإرص كنعن ويبأو مصريمه ، يعقب وكل زرعو إتو ... بنيو وبني بنيو إتو ، بنتيو و بنوت بنيو وكل زرعو هبيا إت مصريمه) (3) أي : (... وأخذوا مواشيهم وما اقتنوا في أرض كنعان وجاءوا إلى مصر ، يعقوب وكل نسله معه ، بنوه وبنو بنيه ، بناته وبنات بنيه وكل نسله تحولوا إلى مصر ...)

وهكذا ، فاستناداً إلى الشاهد السابق - وشواهد أخرى ذُكرت - فنحن أمام عائلة آرامية وصل عدد أفرادها سبعين شخصًا ، تزعّمهم يعقوب بعد موت أبيه إسحق وجده إبراهيم ، وقد هاجرت هذه العائلة إلى مصر على طريقة البدو الرحّل - حسب الشاهد الأخير - ودون أي رابط - ومن أي نوع - بأرض كنعان التي كانت محطة لا أكثر خلال تنقلاتها وترحالها بدءاً من إبراهيم ... والرابط

---

1 - أنظر كنيون : الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، مرجع سبق ذكره ، ص 29 .

2 - خروج 1 : 5

3 - تكوين 46 : 6 ، 7 .

بين هذه العائلة وبين أرض كنعان هو رابط وهمي اختلقه كاتب سفر التكوين من خلال "أحلام يعقوب" التي أتينا على ذكرها والتي نسج عليها كتّاب العهد القديم - في الأسفار الأخرى - أحلامًا جديدة ، فهل انتهت أحلام يعقوب في أرض كنعان بعد الخروج منها إلى مصر ... هذا ما لا يبدو واضحًا من خلال دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم ، إذ أننا رأينا شواهد تتحدث عن غزو للمدن الكنعانية بقيادة يشوع - العضو في جماعة موسى - فمن هو موسى ؟ لقد سبق وذكرنا أن عائلة يعقوب عاشت في مصر أربعمائة وثلاثين عامًا حسب الرواية التوراتية التي تضيف أن أحد المنتمين إلى هذه العائلة - وهو موسى - أخرج بني إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان ، ولكن انتماء موسى إلى عائلة يعقوب أمر يحتاج إلى إثبات ، وهو موضع شك بالنسبة إلى عديد الباحثين ، إذ يذكر سفر الخروج أن موسى هو ابن رجل وامرأة من بيت "لوي" - أحد أبناء يعقوب - (1) فكيف حافظ بنو يعقوب على نسلهم ما يزيد على أربعة قرون في مصر دون أن يذوبوا في المجتمع المصري ، سيما وأن يوسف - أول مهاجريهم إلى مصر - قد اندمج بالمجتمع المصري وتزوّج من مصرية (2) ، وبين يوسف وموسى أكثر من أربعة قرون لا يتحدث عنها العهد القديم أبدًا ولا يذكر أخبار بني "إسرائيل" خلالها على الإطلاق ... ويضاف إلى ذلك أن موسى مصريٌ حسب سفر الخروج نفسه (3) ...

ولإضفاء الأهمية على شخصية موسى اقتبس كاتب سفرالخروج قصة

---

1 - خروج 2 : 1

2 - تكوين 41 : 45

3 - خروج 2 : 19 .

أكادية(بابلية) للحديث عن مولد موسى مشبّهًا إياه بمولد الملك الأكادي سرجون الأكبر (شروكين) – 2350 – 2284 ق.م – الذي ولدته أمه سرًا ووضعته في صندوق من القصب أغلقت بابه بالزفت ورمته في النهر فتلقفه بستاني ، وأخذه وربّاه وعلّمه البستنة ... ثم وبرعاية "عشتار" التي أحبته دخل شروكين قصر الملك أورزبابا – ملك كيش – وأضحى من رجاله المرموقين (1) .

أما كاتب سفر الخروج فيذكر أن موسى وضعته أمه في سفط من البردي (تبت جما)وطلته بالزفت(زفت)ووضعته في النهرفانتشلته بنت فرعون ثم تبنّته (2) ويذكر الكاتب أن بنت فرعون هي التي أسمته موسى (مُشِه) قائلةً : لأنني انتشلته من الماء (كي من هميم مشيتهو) (3) ، أي أن (مُشِه) يعني المنقَذ أو المنتشل من الماء ، وهذا يفترض أن بنت فرعون كانت تتقن عبرية العهد القديم في حدود القرن الثالث عشر ق.م ... ونقصد من ذلك أن المعنى العبري لاسم (مُشِه)غير منطقي آنذاك في الوقت الذي يحمل فيه نفس الإسم بالمصرية – أي مُشِه)معنى الإبن وهو عادةً يدخل في تركيب بعض الأسماء المصرية مثل تحوتُمس وأحمُس ورعمُس حسب المؤرخ جيمس برستد الذي يؤكد أن اسم موسى (مُشِه) هو إسم فرعوني خالص (4) .

---

1 – أنظر مرعي عيد : تاريخ بلاد الرافدين ، دمشق 1991 ، ص 45 وأيضا : فرزات ، مرعي : دول وحضارات في الشرق العربي القديم ، دمشق 1994 ، ص 108

2 – خروج 2 : 2 – 6 ... لاحظ أن هذه القصة المقتبسة جاءت بعد قصة شروكين بحوالي ألف عام استنادًا إلى عصر موسى المتوقع (القرن 14 ق.م)

3 – خروج 2 : 10

4 – أنظر : الدبش . أحمد صبري : دراسة بعنوان : التاريخ المزيّف لخروج بني إسرائيل ، مجلة العصور الجديدة ، عدد 5 ، 2000 ، ص 81 .

إذًا فالشكوك تحوم حول شخصية موسى من ناحية اسمه ونسبه وجنسيته ، والعهد القديم لا يعطي إجابة قاطعة ، بل ينسبه إلى بني إسرائيل دون أي تأكيد إذ لا يذكر إسميْ أبويه ، وهذا يدعو إلى الإستغراب ، فمن عادة كتّاب العهد القديم ذكر أسماء الأبوين حتى للأشخاص العاديين ، وهذا ما لم يحصل لموسى الذي اختاروه نبيًا وقائدًا ومخلّصًا "لبني إسرائيل" من ظلم المصريين ...

وأخيرًا فإن المعلومات الخاصة بموسى في العهد القديم لا تسمح بالحديث إلاّ عن شخص مصري كان ذا أهمية في البلاط الفرعوني بسبب تبنّي ابنة فرعون له ... ويذكر سفر الخروج أن موسى بدأ حياته بجريمة قتل ... وتطلعنا أحداث هذه الجريمة على أن موسى لم يكن له شأن بين العبرانيين في مصر ، وحسبما جاء في تلك الأحداث فقد قتل موسى رجلاً مصريًا كان يضرب رجلاً عبرانيًا ، وطمره في الرمل معتقدًا أن أحدًا لم يره ، وفي اليوم الثاني حاول موسى التدخّل بين رجلين عبرانيين متخاصمين ، ففاجأه أحدهما قائلاً : ومن جعلك رئيسًا وقاضيًا علينا ؟ ... أتريد قتلي كما قتلت المصري ؟ ... فخاف موسى بسبب انكشاف أمره ، ولما سمع فرعون طلب أن يُقتل موسى ، فهرب إلى "مديَن (1) ... وانطلاقًا من هذا الحدث تبدأ فجأةً قصة نبوّة موسى بظهور "ملاك يهوه" وحديثه معه حول ضرورة العودة إلى مصر لإخراج بني إسرائيل منها موصيًا إياه بسلب المصريين (2) ... وفي طريق العودة إلى مصر يلتقي "يهوه" موسى ويطلب أن يقتله لأنه لم يختن إبنه ، فقامت أمه صفورة - على الفور - بقطع

---

1 - خروج 2 : 11 - 21

2 - خروج 3 : 2 - 22

غرلته بصوّانة (1) ، وهنا نلاحظ أن موسى الذي أضحى نبي بني إسرائيل كان يجهل عادات وتقاليد قومه المزعومين استناداً إلى العهد القديم ، فقد رأينا في دراستنا لمدينة شكم أن أبناء يعقوب اشترطوا على "شكم الحوّي" الختان لكي يتزوج أختهم "دينة" ... وهكذا فإذا كان بنو إسرائيل قد مارسوا عادة الختان في عهد سابق لموسى – كعادة نسبها إليهم كتّاب العهد القديم – فلماذا نسيها موسى "النبي" ، وهو الذي يجب أن يكون مُلمًّا بعادات وتقاليد شعبه – الدينية منها خاصةً – ؟ ... نستنتج من ذلك أنه لم يكن هناك تواصل – أو حتى علاقة – بين بني يعقوب وموسى وأن كلا الطرفين يمثل حكاية مختلفة عن حكاية الطرف الآخر ، الأمر الذي دعا بعض الباحثين إلى التأكيد على أن موسى نبيٌّ مزيّف ، وقد لا يكون خروجه من مصر – ومعه بنو إسرائيل – أكثر من حملة مصرية على أرض كنعان حُرّفت أحداثها – بعد زمن طويل – على يد كتّاب العهد القديم من أجل اختلاق تاريخ لليهود في المنطقة (2) .

ويتمّ الخروج – حسب العهد القديم – وبمبالغات كبيرة منها أن عدد من خرجوا من مصر بلغ ستمائة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد والنساء (3) ، وقد

---

1 – خروج 4 : 24، 25

2 – الدبش : الدراسة السابقة ، ص 82 ، 87 ... وللإشارة فقد تطرّق إلى هذا الموضوع عالم النفس "سجمند فرويد" قائلاً إن موسى لم يكن يهودياً بل كان مصرياً جعل منه كتّاب العهد القديم يهودياً لأغراضهم الخاصة ... أنظر :

- Frued. S: Moses and Monotheism. Translated by : Katherin Jones (?)1940, P29.

3 – خروج 12 : 37

تاهوا أربعين سنة في سيناء... وللإشارة ، فموسى لم يدخل أرض كنعان بل مات في موآب ولم يُعرف قبره حسب العهد القديم (1) .

وبعد موت موسى يخلفه خادمه يشوع (2) الذي قرأنا أخبار غزواته على بعض المدن الكنعانية ولكن دون أن تترك تلك الغزوات أية أدلة أثرية ، الأمر الذي يجعل من تلك الغزوات وهميةً ، أراد من خلالها كتّاب العهد القديم - وخاصة كاتب سفر يشوع - الحديث عن استيلاء "بني إسرائيل" بأسباطهم على هذه المدن أو توزيعها عليهم ، وهذا ما تناقض - كما رأينا - مع معلومات العهد القديم نفسها ... ولكن من جانب آخر أطلعنا الحديث عن تلك الغزوات على معلومات عدة تخص الحياة المدنية .

وهكذا - فيما يتعلّق بالآراميين وبني إسرائيل في أرض كنعان - نلاحظ أن إقامة القبيلة - أو الأسرة - الآرامية التي تزعّمها إبراهيم ثم حفيده يعقوب - لم تطل في أرض كنعان ، فهاجر بها يعقوب إلى مصر وعدد أفرادها سبعون ، وفجأة يتحدث العهد القديم عن شعب يعد مئات الآلاف وينتمي إلى يعقوب ويعود إلى أرض كنعان ، ولكن من هم الذين أتوا إلى أرض كنعان ... ؟

لقد أطلعتنا دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم على أخبار عصابة همجية يقودها شخص إسمه يشوع ، وكل المعلومات التي تخص هذه العصابة تؤكد أنها اتّبعت أساليب التجسّس والقتل والنهب والتخريب وكانت أهم الأمثلة مدن أريحا وأفق وحاصور وعرد وعي ولكيش ، ونلاحظ في ضوء العهد القديم أن دخول جماعة يشوع إلى أرض كنعان يختلف عن دخول ابراهيم

---

1 - تثنية 34 : 6 ، 7

2 - يشوع 1 : 1

إليها ، كما أن ممارسات هذه الجماعة في المدن الكنعانية تختلف عن ممارسات ابراهيم وإسحق ويعقوب ، على الأقل قبل أن يصبح إسم هذا الأخير "إسرائيل" (1) ... لذا يستحيل الحديث عن تاريخ موحّد لبني إسرائيل في أرض كنعان بدءاً من إبراهيم في ضوء العهد القديم، وهو المصدر الوحيد حول هذا الموضوع.

ولكن كيف تطورت الأحداث في العهد القديم ليصبح القادمون مع يشوع "بني إسرائيل" الجدد في أرض كنعان ، وكيف أصبحت لهم مملكة ؟ تطلعنا دراسة سفر القضاة على أن بني إسرائيل قبيلة بدوية يحكمها شيوخ يسميهم السفر المذكور قضاة ، ولعل "دبوره" أفضل مثال ، فقد أطلعتنا دراسة مدينة حاصور الكنعانية على وضع هذه القاضية المتنبّية التي كان مقرها تحت نخلة بين مدينتي الرامة وبيت إل ، وهي - أي دبورة - تعتبر نموذج حكم هذه القبيلة ... إذ كانت تقضي بين بني إسرائيل وتعطي الأوامر من مقرها المذكور (2) ... ومن بين الحكّام القضاة صموئيل أيضاً الذي يطلعنا سفره على أن بني إسرائيل طلبوا منه كنبي أن يجعل لهم ملكاً على غرار شعوب المنطقة (3) ... فوافق صموئيل ومسح شاول ملكاً على بني إسرائيل (4) ... لكن ملكاً للقبيلة المذكورة لا يمكن تصوّره كملوك الممالك القديمة أو كملوك أرض كنعان المذكورين في العهد القديم، إذ يطلعنا سفر

---

1 - وللإشارة ، فهذه العبارة ليست للتهكّم ، إذ لاحظنا أنه بعد إطلاق هذا الإسم على يعقوب اتخذت الأحداث شكلاً عدوانياً واضحاً تجاه الكنعانيين (مذبحة مدينة شكم) .

2 - أنظر قضاة 4 : 4 - 6

3 - صموئيل الأول 8 : 5

4 - صموئيل الأول 9 : 2 ، 15 ، 16 ، 10 : 1

صموئيل الأول على طبيعة الملك شاول وحياته اليومية وذلك من خلال شاهد يؤكّد أن الملك شاول راعي بقر : (وهنه شاول با أحري هبقر من هسده ...) (1) أي : (وإذا بشاول آت وراء البقر من الحقل ...) ... وللإشارة فهذا الشاهد يخص شاول بعد مسحه ملكًا .

وهكذا فمن غير المحتمل أن يكون داود - خليفة شاول - أعلى منه شأنًا ، سيما وأنه كان خادمه (2)، أما سليمان خليفة داود فقد أحيط في أسفار العهد القديم بهالة من التضخيم ناقشناها -خاصةً- في دراستنا لمدن دور وصور ومجدّو(3) وتنقسم المملكة بعد موت سليمان إلى مملكتين واحدة باسم "إسرائيل" ، والثانية باسم يهوذا، وكانت المملكتان متنافستين، وقد أتاحت لنا دراسة مدينة "لايش" الإطّلاع على دور آرامي في المنطقة من خلال علاقة ملك دمشق بملكيْ إسرائيل ويهوذا ، إذ كان ملك دمشق يستغل خلافات المملكتين لتحقيق مصالحه ، الأمر الذي سيبدو أوضح في الفصل القادم - الحوليات الآشورية - ...

كما أتاحت لنا دراسة مدينة صور في ضوء العهد القديم الإطلاّع على واقع بني إسرائيل سواء في عهد المملكة أو في عهد انقسامها ، وأثبتت هذه الدراسة - استنادًا إلى شواهد العهد القديم - الفشل الحضاري لبني إسرائيل - ويهوذا - وعدم تمكنهم من اكتساب الوسائل الحضارية التي كانت بيد الفينيقيين وذلك رغم حديث العهد القديم عن علاقات بين الطرفين ، ... وفي الوقت الذي كانت فيه سفن الفينيقيين تجوب المتوسط والأطلسي كانت سفن بني إسرائيل

---

1 - صموئيل الأول : 11 : 5

2 - صموئيل الأول : 18 : 5 ... راجع مدينة لايش ونقاش الباحثين حول عبارة "بيت داود" ...

3 - أنظر ما سيأتي حول سليمان أيضًا في جزء الحياة الدينية .

ويهوذا قد تحطّمت في خليج العقبة لحظة الإبحار ، فاستمر الطابع البدوي مهيمنًا على حياتهم في أرض كنعان وممزوجًا بتعصّب ديني أجّج عدوانيتهم وأدّى إلى عزلتهم ، الأمر الذي دفع شعوب المنطقة إلى إبعادهم عنها وتفريقهم بيعًا وسبيًا ...

وستتضح في الفصل القادم بقية أخبار بني إسرائيل ويهوذا في أرض كنعان ، وسنحاول في الفصل المذكور إثبات تلازم العهد القديم والحوليات الآشورية في البحث عن الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية والتي من خلالها يمكننا معرفة تاريخ بني إسرائيل كنتيجة من نتائج الأطروحة أفرزتها دراسة المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم ، الأمر الذي يعني أنه لا وجود لتاريخ مستقل لبني إسرائيل في الوثيقة الأهمّ حول اليهود واليهودية - أي العهد القديم - ...

الفلستيون :

أتاحت دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم معرفة المزيد من المعلومات عن الشعب الفلستي - أحد شعوب البحر - الذي استوطن - بادىء الأمر - المدن الساحلية في أرض كنعان وتكنعن .... وقد أعطت المدن الخمس - غزة وعسقلان وجت وعقرون وأشدود تفاصيل هامة عن الفلستيين في أرض كنعان لعل أهمها انصهارهم في المجتمع الكنعاني وعبادتهم للإله الكنعاني دجن وصراعهم الطويل مع بني إسرائيل وانفرادهم بتصنيع الأدوات والأسلحة الحديدية .

واستنادًا إلى العهد القديم لا يمكن حصر الفلستيين في المدن الساحلية الخمس المذكورة ، إذ أنهم سجّلوا حضورهم في معظم المدن الكنعانية والفينيقية مثل

أفق وبيت شان (بيسان) وبيت شمس وبيت لحم وتمنة ودور وعين دور ولبنة – كما رأينا – ... وللإشارة يصف سفر صفنيا أرض كنعان بأرض الفلستيين : (كنعن إرص فلشتيم) (1) ، ويسمّي هذا السفر الفلستيين : سكان ساحل البحر ، "أمة الإقريتشيين" ، كإشارة إلى قدومهم من جزيرة اقريتش : (... يشبي حبل هيّم جوي كرتيم ...) (2) ... ويعتبر الفلستيون المجموعة الأكثر شهرة بين مجموعات شعوب البحر الخمس التي هاجمت مدن الشرق الأدنى ومصر منذ أواخر القرن الثالث عشر ق.م ، وقد قدّمت نقائش مدينة هابو المصرية بعض ملامح شعوب البحر فذكرت منهم الأكَيْوشة Akaiwasha وهم الآخيون ، والشرادنة (السردانيون والدانونيون Danuna والزقالة أو السكالشة (السقوليون) الذين وطدوا أقدامهم على الساحل الكنعاني الفينيقي من دور إلى جبيل ، والتياكيريون Tjékers .

وأقوام أخرى انضمت إليهم قبائل لوبية من شمال افريقيا (3) ، وقد تمكّن رمسيس الثالث (1198 – 1166 ق.م) من التصدي لهم وهزمهم سنة 1191 ق.م (4) ولكن بعد أن دمّروا أهم مدن الشرق الأدنى مثل أوجاريت وحاتوشا

---

1 – صفنيا 2 : 5

2 – صفنيا 2 : 5

3 – أنظر حولهم : فنطر : الفينيقيون بناة المتوسط ، ص: 39 – 41 و أيضاً :

- Singer Itamar : How did the Philistines enter Canaan ? in (BAR) Vol. 18, N.6, 1992 PP44 - 46

4 – حول معارك رمسيس الثالث مع شعوب البحر من خلال نقائش هابو أنظر :

Wilson. John. A : Egyptian Historical Texts, in (ANET), P 262.

(العاصمة الحثية) وكركميش ، ثم صور وصيدا وجبيل التي تمكّنت من النهوض ثانيةً (1) .

ويجدر بالذكر أنه كانت لمجيء شعوب البحر إلى المنطقة نتائج هامة على الصعيدين السياسي والثقافي منها انحسار نفوذ القوى العظمى آنذاك كمصر والمملكة الحثية وبروز المدن الفينيقية وظهور التأثيرات الإيجية في أرض كنعان واستعمال الحديد (2) ... ويرى الباحثان الإنكليزيان Burney و Harden أن شعوب البحر جلبوا إلى الشرق الأدنى عادة الإقبار ترميداً والتي وصلت إلى العالم البوني في القرن السابع ق.م (3) ، كما درج في العالم الفينيقي - بتأثير الفلستيين - استعمال التوابيت الأدمية والمدافن ذات الممرات المؤدية إلى غرف الدفن (4) ...

وأخيراً ، فاسم فلسطين - نسبة إلى الشعب الفلستي - أُطلق على أرض كنعان من قبل الرومان سنة 70 م (5) وذلك من باب إطلاق إسم الجزء على الكل ونظراً لشهرة الفلستيين .

---

1 - فنطر : المرجع السابق ، ص 41

2 - وقد تحدثنا عن هذه النتائج بالتفصيل في مدينة حاصور ، أنظر أيضًا فيما بعد المبحث الخاص بالإله دجن .

3 - Burny : from village to Empire, OP. Cit, P, 117

- Harden : The Phoenicians. OP. Cit. P96

4 - Burney, P. 117

5 - الدباغ مصطفى : بلادنا فلسطين ، ج 1 ، دمشق 1973 ، ص23

- **أقوام أخرى :**

كشفت لنا دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم عن وجود أقوام أخرين عاشوا في أرض كنعان وشكّلوا سكّانها مثل الحثيين - وهم من الشعوب الهندوأروبية - (1) - وهم حسب العهد القديم ينتمون إلى كنعان (2) وقد لاحظنا من خلال دراسة مدينة حبرون الكنعانية (الخليل) أن حثيين كانوا يقيمون فيها وقد اشترى منهم إبراهيم حقلاً ، أي أنهم كانوا جزءاً من المجتمع الكنعاني ...

وبالإضافة إلى ذلك يخاطب حزقيال مدينة القدس قائلاً : أبوك أموري وأمك حثيّة : (... أبيك هأمري وإمك حتيت) (3) ... وفي ذلك إشارة إلى تكنعن الحثيين المقيمين في أرض كنعان كالأموريين والفلستيين .

وبالإضافة إلى الحثيين نجد المؤآبيين والعمونيين والأدوميين والحويين والرفايم والعمالقة والعناقيين واليبوسيين ، وكلهم من سكّان أرض كنعان ، أما ما يجمع بين هؤلاء الأقوام فهو رفضهم لبني إسرائيل وصراعهم معهم حسبما أكّدت لنا دراسة المدن الكنعانية الفينيقية (4) ، ومن جهة أخرى ، فقد لاحظنا عداءً

---

1 - أنظر ما سيأتي حولهم في فصل الحوليات الآشورية

2 - تكوين 10 : 15

3 - حزقيال 16 : 3

4 - راجع مثلاً مدينة أريحا التي دافع عنها المؤآبيون والعمونيون ضد غزو يشوع .

واضحًا من قبل كتّاب العهد القديم تجاه جميع الأقوام المذكورين ، وذلك في إطار عدائهم للكنعانيين وسائر شعوب العالم القديم (1) .

2 - السياسة الخارجية :

تتضح معالم السياسة الخارجية للمدينة الكنعانية الفينيقية من خلال علاقاتها التجارية ، الأمر الذي سنسلّط عليه الضوء في دراسة الحياة الإقتصادية .

ثانيًا : المعلومات العسكرية : (الحياة العسكرية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم) :

أطلعتنا دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم على بعض ملامح الحياة العسكرية في تلك المدن ، فنجد أن معظمها كان محصنًا بأسوار لأغراض دفاعية ، وفضلاً عن ذلك فإن بعض المدن الكنعانية كانت تقوم بدور الحارس لأرض كنعان ضد الغزوات الخارجية ، وذلك حسب موقعها الجغرافي ،

---

1 - ويؤكد العهد القديم في أكثر من شاهد هذا الجانب العدواني الإجرامي الذي حثّ عليه كُتّابه ، فنقرأ في سفر التثنية 20 : 16 : (وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك إياها يهوه نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرّمها تحريما...) ونقرأ في سفر العدد 31 : 17 : فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة ...)

وفي سفر يشوع 6 : 21 : (حرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف) ، وفي سفر صموئيل الأول 15 : 3 : (... أقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعًا ، بقرًا وغنمًا ، جملاً وحمارًا ...) ... فهل هم إذًا - أي بنو إسرائيل - الشعب المختار أم شعب الجريمة ؟ ...

وأهم مثال على هذه المدن هي مدينة "عرد" ، تلك المدينة الكنعانية الواقعة في جنوب أرض كنعان ، والتي تصدّى ملكها لمحاولة تسلل جماعة يشوع من مصر إلى أرض كنعان ، وقد أطلعنا الشاهد الخاص بهذا الحدث على وجود مهام الرصد والإستطلاع في تلك المدينة حيث رصد جيشها الإسرائيليين وهم مازالوا في طريق "أتريم" فحاربهم وسبى منهم سبيًا ... (راجع عرد) ...

وتفيد بعض الشواهد أن أهم أسلحة الجيش الكنعاني كانت مركبات الحديد (ركب برزل) ، وتُذكر هذه المركبات في مدينتي بيت شان وحاصور ، ويبيّن كتّاب العهد القديم خطر هذه المركبات ورعب بني إسرائيل منها ، وخاصة من خلال الحديث عن المعركة التي جرت بين جيش حاصور وبني إسرائيل بالقرب من مدينة مجدو ، تلك المعركة التي جاءت في قصة "دبوره" ، ومن خلالها اطّلعنا على وجود قائد جيش في حاصور إسمه سيسرا .

إلاّ أن أهم وصف للمحارب وتسليحه في أرض كنعان ورد في الشواهد الخاصة بمدينة "جت" الكنعانية الفلستية ، وذلك من خلال وصف المحارب "جلْيَت" ، فتعرفنا على أدواته القتالية وهي الرمح والسيف ، وتجهيزاته الوقائية وهي الخوذة المعدنية والدرع والجزموق والمزراق والترس الذي خُصّص لحمله شخص آخر ...

وأخيرًا ، أطلعتنا الشواهد الخاصة بمدينة صور على أن جيشها كان يضم متطوعين أرواديين وفرس ولوديين (1) ...

---

1 - تحتوي الحوليات الآشورية على معلومات أكثر دقّة عن الجيش في المدينة الكنعانية الفينيقية ، أنظر لاحقًا معركة قرقر ...

3 - المعلومات الإقتصادية : (الحياة الإقتصادية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم) :

- بعد دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم ، بإمكاننا أن نلخّص أهم جوانب الحياة الإقتصادية في المدينة الكنعانية الفينيقية كما تبدو لنا من خلال مدينة صور - تحديداً - فالعهد القديم لا يتحدث الكثير عن هذا الموضوع من خلال مدن أخرى .

ولعلّ الجانب التجاري هو أكثر الجوانب الإقتصادية وضوحًا في الشواهد الخاصة بمدينة صور ، ويبدأ الحديث عنه انطلاقًا من العلاقة التي نشأت بين ملكها "حيرم" وكل من داود وسليمان ...

فمن خلال اتفاقية التعاون التي تحدث عنها العهد القديم بين حيرم وسليمان تمكنّا من التقاط معلومات تخص ازدهار حرف قطع الأخشاب (الأرز والسرو) والنجارة والبناء والأشغال المعدنية والهندسة المعمارية في صور ، وقد اشتغل بهذه الحرف فينيقيون من صور وجبيل وأروادة وصيدا ، ويبدو من الشواهد الخاصة بهذا الموضوع أن صور - المدينة الأم والأكثر ذكراً في العهد القديم - كانت توفر فرص عمل لليد العاملة الفينيقية بسبب علاقاتها التجارية الواسعة . ومن بين الحرف المزدهرة حرفة بناء السفن والإبحار وما يرتبط بها من عمليات الشحن البحري ، وقد أطلعتنا الشواهد على ميناء "عصيون جبر" الذي كان الصوريون يبنون فيه السفن من أجل الأسفار التجارية البعيدة باتجاه افريقيا وسواحل الأطلسي ، وينضم إلى الميناء المذكور ميناء مدينة يافا الكنعانية الفينيقية كمنطلق لسفن تبحر نحو الأطلسي أيضًا (ترشيش) ... وداخل أرض كنعان ، فقد بدا ميناء يافا ميناءً أيضًا لمدينة القدس تُشحن إليها منه برًا بضائع المدن الفينيقية .

وتجدر الإشارة إلى أن المعلومة السابقة هي من أهم المعلومات التي يمكن التقاطها من شواهد العهد القديم لأنها تلقي الضوء على علاقة مدينة القدس بالمدن الكنعانية الفينيقية (الساحلية) ، وبالرغم من ورود هذه المعلومة ضمن الشواهد الخاصة ببناء القصر والمعبد في القدس فهي لا تخص القصر والمعبد فقط ، إنما تؤكد وجود هذه العلاقة بين القدس وميناء يافا ، سيما وأن يافا هي أقرب مدينة ساحلية - على المتوسط - إلى القدس .

وقد أطلعتنا الشواهد الخاصة بالطريق البحرية التجارية من عصيون جبر إلى افريقيا وترشيش أن سليمان لم يفلح في وضع أساس لبحرية إسرائيلية ، سواء من ناحية بناء السفن أو الإبحار بها ، وذلك بدليل إخفاق خلفائه في المملكة المنفصلة - بعد قرن - في بناء أسطول ، الأمر الذي يؤكد - بشهادة العهد القديم - أن فن الإبحار بقي حكراً على الفينيقيين بالرغم من حديث العهد القديم - وعديد الباحثين - عن علاقات تعاون جمعت صور ببني إسرائيل ، ولكن يبدو من هذه العلاقات أنها كانت وقتية وغير مبنية على أسس التعاون الحقيقي بسبب الفارق الحضاري الكبير بين الطرفين ، ذلك الفارق الذي تحدّث عنه العهد القديم بالتفصيل ، بدءاً من استعانه سليمان بالفينيقيين لبناء القصر والمعبد ، وانتهاءً بغضب يوئيل عليهم بسبب بيعهم اليهود رقيقًا .

كما أن نظرة فاحصة لنوع المبادلات التجارية بين صور وبني إسرائيل - في عهود مملكتيهم المتحدة والمنفصلة - تلقي الضوء على مستوى هذه العلاقات وحجم الطرف الثاني - أي بني إسرائيل - ، فصور أرسلت المهندسين والبنّائين والحرفيين الخبراء ومواد البناء على اختلافها . - فيما يتعلّق ببناء القصر والمعبد - ثم قامت ببناء السفن وإرسال البحّارة - فيما يتعلّق بالرحلات البحرية المشتركة - فماذا كان المقابل ... ؟ ...

يتحدث العهد القديم عن شعير وحنطة وزيت وخمر وحلاوى وعسل اعتبرها الباحثون - وأهمهم "شاتوني" - "صادرات إسرائيلية إلى صور ، وكما نلاحظ فهذه "الصادرات" منتجات فلاحية بسيطة لم يتحدث العهد القديم عن إنتاجها بل اكتفى بتعدادها فقط ، لذا - والتزامًا بنص العهد القديم - لا يمكن اعتبارها إنتاجًا إسرائيليًا وخاصة زيت الزيتون ، فتقنية استخراجه في العهد القديم - كما رأينا - هي دوس الزيتون بالأرجل للإستهلاك الفوري - كالدهن - أما المعاصر التي تحدّثت عنها "شاتوني" في لايش وتمنة وبيت شمس وجزر وغيرها من التي ربطتها "شاتوني" بإنتاج زيت إسرائيلي ، فإنما هي معاصر كنعانية وجزء من تقاليد صناعة زيت كنعانية عريقة عرفتها جل المدن الكنعانية الفينيقية .

وفيما يخص علاقات صور التجارية مع البلدان المجاورة فقد ذُكر الآراميون ودمشق ومصر وقبرص والعرب ... أما المناطق البعيدة التي ارتبطت مع صور بعلاقات تجارية فكانت أوفيروترشيش ويَوَن وتُبَل ومشك وبيت توجرمة ، ويبدو من خلال هذه العلاقات اهتمام صور بجلب المعادن الثمينة وخاصة الذهب من أوفير و ترشيش ، الأمر الذي أكّدته بعض روايات المؤرخين الكلاسيكيين والنقائش كنقيشة "تل قسيلة" التي تتحدث عن ذهب أوفير ، ونقيشة "نورا" التي تذكر سردينيا وترشيش وتشهد على اتصال الفينيقيين بغرب المتوسّط في القرن التاسع ق.م .

وأخيرًا قد نلمس بعض الجوانب الإقتصادية في الشواهد التي تتحدث عن الوكيل (التجاري) في كل من دور وتعنك ومجدّو ، إذ اشتُهر من بين الوكلاء (نصبيم) "إبن أبيندب" في مدينة "دور" كمموّن لبيت سليمان .

وهكذا نرى أن مدينة صور هي المدينة الأكثر أهمية فيما يختص بالحياة الإقتصادية في ضوء العهد القديم ، ولكن لا يعني ذلك أن باقي المدن كان غائبًا عن الفعاليات الإقتصادية ، إلاّ أن نوع المعلومات المذكورة عن معظم المدن الكنعانية كان سياسيًا ودينيًا بالدرجة الأولى وقد تقدم الحوليات الآشورية معلومات أغزر حول هذا الموضوع .

4 - المعلومات الإجتماعية (الحياة الإجتماعية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم) :

أدّت دراسة المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم إلى التقاط بعض النواحي الإجتماعية الهامة في مدن أرض كنعان خاصةً نظرًا للأحداث التي جرت فيها من خلال إقامة "الآباء الثلاثة " فيها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أطلعتنا بعض الأسفار على نواحٍ اجتماعية جاء الحديث عنها من خلال روايات العهد القديم عن بني إسرائيل في أرض كنعان وصراعهم مع سكانها وخاصة الفلستيين منهم ...

ولعل أهم هذه النواحي هي مسألة أخلاق الكنعانيين التي هاجمها كتّاب العهد القديم دون مبرّر ، ففي الحديث عن مدينة جرر ادّعى كاتب سفر التكوين أن ابراهيم وإسحق قد يقتلان في المدينة بسبب زوجتيهما اللتين قد تفتكّا من قبل رجال المدينة ، لذا ادّعى كلاهما أن زوجته هي أخته ... ولكننا نجد بين الشواهد أن المرأة المتزوجة في جرر لها احترام وتقدير من قبل رجال المدينة وأن ادعاء ابراهيم واسحق إنما كان لأغراض أخرى حسب سفر التكوين ونلاحظ من خلال دراسة مدينة شكم أن رأوبن بن يعقوب اضطجع مع زوجة أبيه دون أية ردة فعل من قبل أبيه ، فهل يحق لكاتب سفر التكوين الحديث عن مخاوف افتكاك الزوجات في مدن كنعان ؟ ..

وتطلعنا أخبار مدينة شكم من ناحية أخرى على أن عادة الختان لم تكن معروفة في المدينة بدليل اشتراط ابنيْ يعقوب اختتان ابن حاكم المدينة لكي يتزوج من أختهما ...

ومن خلال دراسة مدينة تمنة ، التقطنا بعض المعلومات الهامة عن عاداتها وتقاليدها في الزواج مثل إقامة حفل يستمر سبعة أيام . وتشير دراسة المدن الكنعانية أن كتّاب العهد القديم كانوا يخشون من زواج اليهود بكنعانيات في إطار الحرب المعلنة على الكنعانيين وخوفًا من تضرر عبادة يهوه ، ولعل أكثر ما أغضبهم هو زواج سليمان بكنعانيات وزواج آحاب - ملك السامرة - بأميرة فينيقية (إيزابل) كادت تقضي على عبادة يهوه ...

وتحريم الزواج بكنعانيات بدأ في سفر التكوين حيث نجد -على لسان كاتب السفر - رغبة ابراهيم في عدم تزويج ابنه إسحق من كنعانية وكذلك الأمر بالنسبة إلى يعقوب ابن إسحق حيث أوصاه أبوه بعدم الزواج من كنعانية .

أما مدينة عين دور فقد أطلعتنا على عادة اجتماعية بحديث كاتب سفر صموئيل عن وجود امرأة صاحبة جان فيها ، وتنضم هذه العادة إلى ممارسات الكهانة والتنبؤ والسحر التي سنأتي على دراستها في جزء الحياة الدينية .

الفصل الثاني :

* * * * *

الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء الحوليات الآشورية

الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء الحوليات الآشورية

مقدمة :

تعد الحوليات الآشورية مصادر أساسية للبحث عن الحياة المدنية - خاصة - وبعض جوانب الحياة الدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية .

و الحوليات الآشورية هي حوليات الملوك الآشوريين التي دونت فيها أسماؤهم ومنجزاتهم و حروبهم وحملاتهم الاستكشافية والعسكرية .

وقد سطرت تلك المعلومات على الرقم والتماثيل والمسلّات والأنصاب التذكارية التي عثر على أغلبها في المدن الآشورية .

وللمعلومات التي تقدّمها الحوليات الآشورية أهمية خاصة في بحث الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية ، أولاً لأنها تعكس طابع العلاقات بين بلاد الرافدين ومدن الساحل الفينيقي ، والدور الآشوري في أحداث الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأولى ق.م ، وموقف الآشوريين من التطورات السياسية والإقتصادية في الساحل الفينيقي ، تلك التطورات التي استنتجناها من بين سطور أسفار العهد القديم ...

ولا يكتمل المشهد السياسي في المنطقة دون العودة إلى الحوليات الآشورية ، فالتدخل الآشوري الرسمي في الساحل الفينيقي بدأ في الوقت الذي هدأت فيه عاصفة شعوب البحر وانحسر فيه النفوذ المصري ، بعد اندماج الفلستيين في أرض كنعان واستقرارهم مع سكان المدن الساحلية الجنوبية فيها ، وبرزت فيه أيضًا المدن الفينيقية مدنًا مستقلةً شرعت في إعادة بناء أنظمتها الإقتصادية على نحو متطور تميّز في حركة استيطان نشيطة عبر المتوسط ، كما برزت في سوريا الممالك الآرامية وأنشأت علاقات متميّزة مع المدن الفينيقية (1) ، في الوقت الذي بدأ فيه الآشوريون بالبروز على المسرح السياسي كقوة عسكرية ضخمة خلف نهر الفرات وعلى ضفاف نهر دجلة ...

وفي تلك الأثناء تشير أسفار العهد القديم إلى وجود علاقات تجارية بين مملكة إسرائيل والمدن الفينيقية - ولا سيما صور - وتعكس هذه الأسفار ازدهار المدن الفينيقية وتكدّس الثروات والبضائع فيها (2)... فترتسم بذلك ملامح خريطة جديدة في المنطقة تشمل الأراضي الواقعة بين الفرات والمتوسط وتضم مدنًا وممالك تجمع بينها علاقات حُسن جوار وتبادل تجاري ، ويميزها الإنتعاش الاقتصادي والاستقرار، فينظر الآشوريون إلى تلك الخريطة نظرةً ملؤها الرغبة في الاستفادة من الوضع الجديد والقيام بدور في المنطقة من شأنه أن يزوّد امبراطوريتهم الفتية المحاربة بعوامل استمرارها وهي الثروات التي تمتع بها الساحل الفينيقي .

---

1 - راجع ما جاء حول هذا الموضوع في الفصل السابق .

2 - راجع المبحث الخاص بمدينة صور .

وقد قادت هذه الرغبة ملوك آشور إلى القيام بحملات عسكرية طيلة ثلاثة قرون في المنطقة (1) ، ولم تقتصر هذه الحملات على فرض الجزية وجمع الثروات ، بل أضحت للآشوريين سياسة في الساحل الفينيقي اكتسبوا من خلالها موالين لهم من الحكّام الفينيقيين (2) ، في الوقت الذي حافظوا فيه على المنطقة من عودة التدخل المصري (3) ، ووضعوا حدًا لتزايد عدد سكّان بني إسرائيل في القدس والسامرة

1- وهي فترة العصر الآشوري الحديث (911 - 612 ق.م) ، على أن اتصال الآشوريين بالساحل الكنعاني الفينيقي يعود إلى أقدم من التاريخ المذكور وتحديداً إلى أواخر القرن التاسع عشر ق.م . حيث تشير رسائل الملك شمشي أدد الأول (1815 - 1782 ق.م) إلى أنه وصل إلى البحر المتوسط ولبنان ... حول هذا الموضوع أنظر كلاً من :

- الصفدي . هشام : تاريخ حضارات آسية الغربية ، دمشق 1984 ص 255

- فرزات محمد حرب ، مرعي عيد: دول وحضارات في الشرق العربي القديم ، دمشق 1994 ص 137

- سليم أحمد أمين : تاريخ الشرق الأدنى القديم . بيروت 1990 ص 116

- مرعي عيد : تاريخ بلاد الرافدين . دمشق 1991 ص 82

2 - لاحظ أن العاهل الآشوري سنحريب (705 - 681 ق.م) عيّن حاكمًا فينيقيًا مواليًا للآشوريين على عرش صيدا وهو "أتبعل" (توبالو بالآشورية) ... أنظر :

- Markoe. Glenn E : "Phoenicians". London 2000 P 43.

3 - كان التنافس الآشوري المصري شديداً في الساحل الكنعاني الفينيقي ، وقد عمد المصريون إلى إثارة الفتن ودعم الثورات ضد الآشوريين في المنطقة ، إلاّ أن الآشوريين لم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاههم ، الأمر الذي تطلّب تدخلاً آشورياً مباشراً في الأراضي المصرية وفي أكثر من مناسبة ... أنظر ما سيأتي حول هذا الموضوع وخاصة في حوليات الملكين الآشوريين أسرحدون (680 - 669 ق.م) وآشوربانيبال (668 - 626 ق.م).

بنقلهم من المنطقة (1) بعد إضعاف تجمعاتهم الدينية والعسكرية والقضاء على فكرة تحالفهم مع الفينيقيين والآراميين (2) .

والأهمية الأخرى للحوليات الآشورية - كمصدر بحث عن الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية - هي إدلاؤها بتفاصيل عن الحياة المدنية لم تكن لتتوفر لو لم تأت ضمن بيانات عسكرية للحملات التي كان يشنّها الملوك الآشوريون على المنطقة فالبيان العسكري للحملة يصف الطرق التي سلكتها ذهابًا وإيابًا ، ويذكر أسماء المدن والمناطق التي مرت بها ، فيكشف بذلك طرق التجارة والثروات والمحطات التجارية والتحالفات بين دول المنطقة - مهما كان نوعها ...

و بإمكان الباحثين الإعتماد على معلومات الحوليات الآشورية والبيانات العسكرية للملوك الآشوريين في المنطقة نظرًا لدقّتها ورسميّتها ونظاميّتها ، الأمر الذي اتّصف به الجيش الآشوري وخاصة في العصر الآشوري الحديث (911 - 612 ق.م)، إذ كان الجيش الأول في الشرق الأدنى القديم من حيث تنظيمه وتقنياته الحربية (3).

---

1 - انطوت معظم حملات الآشوريين في المنطقة على ضرب التجمعات الإسرائيلية لا سيما في القدس والسامرة ، وتفريق هذه التجمعات بتوزيعها على مناطق في الشرق الأدنى ، وتلك السياسة لم تُطبق سوى على الإسرائيليين ، أنظر ما سيأتي لاحقًا حول هذا الموضوع بالتفصيل .

2 - كان الملك "آحاب" (874 - 852 ق.م) عضوًا في التحالف العسكري بين الآراميين والفينيقيين ضدّ الآشوريين ، لكن الملك الآشوري شلمنصر الثالث (858 - 824 ق.م) تمكن من زعزعة هذا التحالف في معركة "قرقر" عام 853 ق.م والتي جرت في وادي العاصي بسورية ... أنظر فيما بعد تفاصيل هذه المعركة التي تلقي الضوء على الحياة العسكرية في المدينة الفينيقية وتسليح الجيش الفينيقي .

3 - انظر فرزات ومرعي ، المرجع المذكور سابقا ، ص 191 - 193 وباقر طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج 1 - بغداد 1973 ص 535 - 537 .

وللإشارة ، فقد كانت للنظام العسكري الآشوري إيجابيات على التركة الثقافية للإمبراطورية الآشورية ، إذ استطاع هذا النظام أن يصون التركة سواء بتخليد الإنجازات العسكرية وتدوين مراحلها ، أو حماية التراث الآشوري الرافدي وحفظه تلبيةً لسياسةٍ اتّبعها ملوك آشور (1) .

آشور والآشوريون :

ينسب الآشوريون إلى عاصمتهم آشور التي سُمي بها أيضا إلههم القومي وامبراطوريتهم كذلك ولغتهم هي الآشورية المتفرعة عن الأكادية ذات النظام المسماري المقطعي واسم آشور وارد في المصادر السومرية على هيئة (آ - أوسار) ، وللتعبير عن بلاد آشور بالكتابة المسمارية كانت الصيغة المستعملة هي (مات آشور كي) فالعلامة المسمارية (مات) هي علامة تدلّ على بلاد ، أما (كي) فهي علامة مسمارية تدلّ على الأمكنة (2) .

وفي المصادر الآرامية جاء إسم آشور على هيئة "آثور" (3) ، أما في العهد القديم العبري فقد ورد الإسم على هيئة (آشور) (4) . والآشوريون أحد شعوب الشرق الأدنى الذين - يُعتقَد أنهم - عبروا نهر الفرات قادمين من شبه

---

1 - وأهم هؤلاء الملوك هو آشور بانيبال (668 - 626 ق.م) الذي اشتهرت مكتبته في نينوى كأهم مكتبة في الشرق الأدنى القديم . أنظر حولها مرعي عيد : دراسة بعنوان : "الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين"،مجلة دراسات تاريخية ، العددان 41 ،42 - آذار-حزيران، جامعة دمشق1992 ص36-37.

2 - باقر : مرجع سبق ذكره ص 471 .

3 - نفس المرجع والصفحة.

4 - سفر الملوك الثاني 15 : 29

الجزيرة العربية (1) ، وتوغلوا في منطقة ما بين النهرين واستقروا في أوائل الألف الثالثة ق.م في المنطقة الشمالية من العراق على طول الضفّة اليمنى لنهر دجلة بالقرب من الموصل وأسسوا هناك مدينة آشور (2).

1- جاء في كتاب العهد القديم ، وضمن المعلومات العرقية التي وردت في سفر التكوين ، أن الآشوريين ينحدرون من نسل سام بن نوح (تكوين 10 : 22) ، ويمكن للباحث أن يفيد من هذه المعلومة باعتبارها تشير إلى تواجد الشعب الآشوري في المنطقة ، وذلك دوننا اعتبارٍ للتفاسير التوراتية الخاصة بأصل هذا الشعب أو غيره من الشعوب التي وردت ضمن قائمة الأنساب في سفر التكوين ... وأول من استخدم تسمية "الشعوب السامية" - نسبةً إلى الشعوب المنحدرة من سام التوراتي - هو الباحث النمساوي "شلوتزر" عام 1871 م ، و يرى بعض الباحثين العرب ضرورة استبدال التسمية السابقة بتسمية "الشعوب العربية القديمة" باعتبار أصول هذه الشعوب من شبه الجزيرة العربية ، لكن "شبه الجزيرة العربية" إسمٌ يحمل مدلولاً جغرافيًا سيما وأن "العرب" لم يظهروا في وثائق الشرق الأدنى القديم إلاّ في منتصف القرن التاسع ق.م كأعضاء ثانويين في تحالف شبه دولي ضد الآشوريين في معركة :قرقر" .. وقد ظهر العرب في الوثائق الآشورية بدوًا وأعداء ألدّاء للآشوريين ... (أنظر معركة قرقر ...) ... وفيما لا يجوز استخدام تسمية "الشعوب السامية " نظرا لمدلولاتها التوراتية ، لا يجوز أيضًا استخدام تسمية "الشعوب ألعربية القديمة" لأنها تسمية اعتباطية وتفتقر إلى الشواهد ، لذا نقترح تسمية هذه الشعوب "بشعوب الشرق الأدنى القديم " مع احتفاظ كل شعب باسمه الخاص الذي ورد في وثائقه ، واعتبار الصفات المشتركة بين هذه الشعوب . وختامًا ، فكلمة "سامي" ذات بُعد اصطلاحي لا غير .

2 - حول آشور والآشوريين أنظر أيضًا :

- Postgate Nicholas : The Assyrian Empire in : The Cambridge Encyclopedia of Archaeology. Ed : Andrew Sherratt, London, 1980 P 186. (C E A)
- Oppenheim. A. Leo : Ancient Mesopotamia. Chicago, London 1964 P 163.

- العصور الآشورية :

1 - العصر الآشوري القديم (2000 - 1500 ق.م) : وأشهر ملوك هذا العصر هو "شمشي أدد الأول" (1815 - 1782 ق.م) الذي يعتبره المؤرخون مؤسس الدولة الآشورية القديمة (1) ، فقد تمكّن هذا الملك من توسيع النفوذ الآشوري إلى مدينة ماري السورية (على نهر الفرات) ، وأورارتو (أرمينيا) ، ويمحاض (حلب) والأناضول (تركيا) (2) ، وتمكن - كما رأينا (3) - من الوصول خلال إحدى حملاته - إلى البحر المتوسط.

لكن ابنه وولي عهده "إشمي دجن" لم يستطع المحافظة على مملكة أبيه التي فقدت استقلالها بصعود "حمورابي" (1792 - 1750 ق.م) ملكًا على بابل ... فضُمّت دولة آشور إلى مملكة حمورابي ثم استقلت بعد عهده (4) .

2 -العصر الآشوري الوسيط (1500-911 ق م) : عرف الآشوريون في بداية هذا العصرمرحلة استقلال نسبي بعد التخلّص من السيطرة البابلية ولكن ما لبثوا

---

1 - أنظر فرزات ، مرعي : مرجع سبق ذكره ص 135 و أيضًا : الصفدي : مرجع سبق ذكره ص254.

2 - محيسن سلطان : آثار الوطن العربي القديم - دمشق 1989 ص 300.

3 - راجع الهامش 1 في الصفحة .

4 - باقر : مرجع سبق ذكره ص 480 .

أن وقعوا تحت نفوذ الميتانيين (1) ، وحين احتدم الصراع الحثّي (2) - الميتاني ، تمكّن "آشور أوبلّط الأول" (1365 - 1330 ق.م) من التحرر من الميتانيين ليبدأ بشكلٍ فعلي - العصر الآشوري الوسيط .

انصبّت جهود ملوك هذا العصر على محاربة القوى البارزة آنذاك كالحثيين

1- الميتانيون أو "الحوريون" : دخلوا إلى بلاد الرافدين من المناطق الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي منها وذلك في أواخر الألف الثالث ق.م وأسسوا دولة ميتاني وعاصمتها "واشوكاني" ، وقد بلغوا ذروة قوتهم في القرن الخامس عشر ق.م فامتدت دولتهم ما بين جبال زاجروس والبحر المتوسط ومن بحيرة "فان" في تركية حتى آشور ، وكان لهذه الدولة نفوذ - حتى القرن الرابع عشر ق.م - على سورية الشمالية والوسطى .... وربما كانت لاسم الحوريين علاقة باسم خورادي الذي يعني عسكري - حارس ، وهو إسم ورد في اللغات الحورية والأورارتية والآشورية والأوجاريتية ... (أنظر مرعي : تاريخ بلاد الرافدين ، مرجع سبق ذكره ص 101...) وللإشارة فقد ألّف الحوريون قسماً هاماً من سكّان أوجاريت ، وكانت الحورية لغة معروفة في أوجاريت ... (أنظر شيفمان : ثقافة أوجاريت ، مرجع سبق ذكره ص 122) .

2 - الحثيون من الشعوب الهندو أوروبية ، ظهروا في آسيا الصغرى منذ أواخر الألف الثالث ق.م وأسسوا دولة عاصمتها "خاتي" وهي "بوغاز كوي" الحالية على بعد 165 كم شرقي "أنقرة" ، وقد تمكن الحثيون من حكم سورية الشمالية واصطدموا مع المصريين بقيادة رعمسيس في مدينة قادش (تل النبي مند على نهر العاصي) وذلك في عام 1300 ق.م. أنظر حولهم كلاً من :

- Oates. Joan : Babylon. vol 94. London. 1988 P 22.
- Oppenheim, A. Leo : Ancient Mesopotamia, OP. Cit PP 151, 158.

والكاشيين (1) والمصريين ، ونجحوا في توسيع حدود الدولة الآشورية وتقويتها ، وتجلّى ذلك في عهد "توكولتي نينورتا الأول" (1244 - 1208 ق.م) ثم في عهد "تجلت فلاصر الأول" (1115 - 1077) الذي توجّهت أنظاره إلى سورية ولبنان الغني بأخشاب الأرز والسرو والصنوبر الضرورية لبناء القصور والمعابد ، ففتح الطريق رسمياً إلى هناك (2).

وباغتيال تجلت فلاصر الأول (3) تتراجع قوة الدولة الآشورية وتدخل من جديد مرحلة من الضعف ، تستمر إلى نهاية العصر الآشوري الوسيط عام 911 ق.م.

1- الكاشيون (كاشّو بالأكادية) من الشعوب الهندو أوربية ، ظهروا في شمال بلاد الرافدين خلال القرون الأولى من الألف الثاني ق.م حسب أقدم الدلائل على وجودهم في بابل زمن حكم الملك "سمسو إلونا" (1749 - 1712 ق.م) الذي حاربهم وانتصر عليهم ، إلاّ أنهم تمكنوا من السيطرة على بابل بدءاً من القرن السادس عشر ق.م وحتى منتصف القرن الثاني عشر ق.م ... أنظر حولهم : مرعي : تاريخ بلاد الرافدين ص 93 - 94 ، وأيضا : Oates : Babylon Op.Cit P 86 -

2 - أنظر باقر : مرجع سبق ذكره : ص 488 - 489 .

و يجدر بالذكر أن تجلت فلاصر الأول "هو الملك الآشوري الوحيد - خارج العصر الآشوري الحديث - الذي سنقوم بدراسته وتسليط الضوء على حملته إلى سورية ولبنان نظراً لكونها الحملة الآشورية الرسمية الأولى على المنطقة ، وأيضاً لتزامنها مع التطورات التي شهدها الساحل الفينيقي في مطلع القرن الحادي عشر ق.م .

3- مرعي عيد ، عبد الله فيصل : تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين) دمشق 1996 ص 312

3 - العصر الآشوري الحديث (911 - 612 ق.م) والوضع الدولي :

أضحى الآشوريون في نهاية القرن العاشر ق.م القوة الرئيسية في المنطقة بعد أن عانوا من فترة مظلمة تلت موت "تجلت فلاصرالأول" واستمرّت زهاء مائة وستة وستين عامًا إلى أن بدأ حكم الملك "أددنيراري الثاني" (911 - 891 ق.م) الذي خلّص بلاد آشور من الأخطار التي أحاطت بالدولة ولعل أهمها توصُّل قبائل آرامية إلى تأسيس العديد من الإمارات في بلاد الرافدين واستيطان الكلدانيين - وهم من الآراميين - في "سومر" القديمة ، الأمر الذي جعل بلاد آشور محاصرةً بالآراميين الذين وصل تيارهم إلى شمال سوريا وجنوبها (1) فتقلصت مملكة آشور سيما وأن ملوكها مثل " آشور رابي الثاني" (1010 - 970 ق.م) و " آشور ريش إشي الثاني" (969 - 965 ق.م) و"تجلت فلاصر الثاني" (964 - 935 ق.م) لم يستطيعوا مقاومة القبائل الآرامية ... إلاّ أن عهد "آشور دان الثاني" (935 - 912 ق.م) تميّز بتوطيد

1- شكّل الآراميون عدة ممالك منها بيت عديني وبيت زماني" و"بيت بحياني" في منطقة الخابور والفرات الأوسط وذلك ابتداءً من القرن 12 ق.م ، وفي النصف الأول من القرن 11 ق.م تمكّن "شيخ" آرامي من اغتصاب عرش بابل ، وتشكلت عدة دويلات في مناطق الخابور الأعلى وسفح جبل سنجار وأخرى على الزاب الأسفل ... إلاّ أن الآراميين في بلاد الرافدين لم يتمكنوا من الحلول محل الدول القائمة رغم نجاحهم في شمال سوريا وجنوبها وذلك في حلب وسمأل وحماة ثم في دمشق (آرام دمشق) وآرام صوبا في منطقة حوران وآرام معكة في الجولان وآرام بيت رحوب على ضفاف الليطاني ... أنظر كلاً من : باقر : مرجع سبق ذكره ص 492 ... 496 ... محفل ، محمد : المدخل إلى اللغة الآرامية ، دمشق 1992 ص 15 ، فرزات ومرعي : مرجع سبق ذكره ص 182 - 183 ، وأيضا مرعي وعبد الله : مرجع سبق ذكره ص 315 - 316 ...

أنظر أيضا ما جاء حول الآراميين سابقًا ...

الوضع الداخلي في آشور مما أتاح لهذا الملك مهاجمة بعض القبائل الآرامية المجاورة ودحرها ، فاستعادت آشور قوتها التي تعاظمت أكثر في عهد الملك القوي "أددنيراري الثاني" (911 - 891 ق.م) فاستطاع صد الآراميين ، وسيطر على كل منطقة الخابور مطلقًا على نفسه لقب "ملك جهات العالم الأربع" (1) ، ومفتتحًا عصرًا آشوريًا حديثًا بلغت فيه الدولة من القوة العسكرية مبلغًا عظيمًا مكّن الآشوريين من السيطرة على الشرق الأدنى القديم طيلة ثلاثة قرون كوّنوا خلالها أوسع امبراطورية في تاريخ "العراق" وتاريخ الشرق القديم ...

وقد وجّه أوائل ملوك هذا العصر اهتمامهم إلى القضاء على الخطر الآرامي سواء في جوار بلاد آشور أو خارج حدودها - فيما بعد - مستهدفين الدويلات الآرامية في بلاد الشام (2) .

كما تصدّى أولئك الملوك للأقوام الجبلية في جبال "زاجروس" التي كانت مصدر خطر مستمر على الدولة الآشورية (3) ...

أما في الجنوب فقد دخلت بلاد بابل تحت السيطرة الآشورية بعد أن حلّ الضعف بها وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدولة الحثية التي زالت من الوجود في القرن الثاني عشر ق.م ، والمملكة المصرية التي تراجعت قوتها قبل العصر الآشوري الحديث ، الأمر الذي فسح المجال أمام الآشوريين للتوسع إلى بلاد الشام (4) ...

وكان انتشار استعمال الحديد في الشرق الأدنى - بفضل شعوب البحر - عاملاً هامًا

---

1 - وهو لقبٌ كان يطلقه ملوك سومر وأكاد السابقون على أنفسهم .

2 - أنظر باقر : المرجع السابق ص 498

3 - نفس المرجع والصفحة

4 - نفس المرجع والصفحة .

لتصنيع الآلة الحربية الآشورية وتطويرها مما أسهم في قوة جيش الإمبراطورية وجعلها مرهوبة في الشرق الأدنى ، وقد تألف هذا الجيش من سلاح المشاة المزودين بالرماح والدروع والسيوف والأقواس وخوذ الرأس ، والفرسان ، وسلاح الهندسة المختص بشق الطرق وبناء الجسور وتجهيز أدوات الحصار ووسائله ونقب الأسوار وتسلقها وخرق الأبواب ونصب السلالم وتعليق الحبال ...

وفضلاً عن ذلك طوّر الجيش الآشوري العربات الحربية و"الدبابات" بنماذج تتناسب مع الجبهات التي خاض فيها معاركه ، كما كوّن هذا الجيش فرقًا من الغواصين واستطاع أفراده عبور الأنهار بواسطة عوّامات جلدية فردية .

ومن أهم عوامل نجاح الجيش الآشوري تنظيم البريد والإتصالات بين المناطق البعيدة والمراكز الآشورية ، والاستعانة بالعيون والاستخبارات ، وقد أوجد الآشوريون الجيش الدائم واتّبعوا خطة النفير العام وتجنيد المرتزقة (1) .

و إلى جانب مؤسسة الجيش ، قامت مؤسسة الملكية بدور هام كعامل من عوامل نجاح الإمبراطورية الآشورية وقوتها ، وذلك باستمرار النظام الملكي خلال تاريخ الدولة الآشورية مما هيّأ لها الهدوء والإستقرار .

وبهاتين المؤسستين - أي الجيش والملكية - وسّع ملوك العصر الآشوري الحديث امبراطوريتهم وتمكّنوا من بسط نفوذهم في المنطقة التي كانت تنعم بالإستقرار منذ بداية القرن العاشر ق.م في ظل نهضة فينيقية وتعاون بين دول المنطقة ، وصل إلى حد التحالف .

1- حول الجيش الآشوري أنظر باقر : مرجع سبق ذكره ص 498 ، وأيضا :

- postgate : The Assyrian Empire in (C E A) , PP 188, 189.

وقد حكم دولة آشور خلال الفترة الواقعة بين عامي 911 – 609 ق.م ثمانية عشر ملكًا سنقوم بدراسة حوليات تسعة منهم بالإضافة إلى تجلت فلاصر الأول من العصر الآشوري الوسيط ... ويعتبر الملوك العشرة على علاقة مباشرة بموضوع الحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية ، سيما وأنهم نحتوا ملامح السياسة الآشورية تجاه الساحل الكنعاني الفينيقي (1) ...

1- صدرت منذ مطلع الثمانينات من القرن المنصرم وحتى نهاية التسعينات منه مجموعة من الدراسات والبحوث حول الملوك الآشوريين وسياستهم تجاه الساحل الكنعاني الفينيقي أهمها :

- Mitchell. T.C : Israel and Juda from Jehu until the period of Assyrian Domination (841 - 750 B.C) in the Cambridge Ancient History, Vol III. ed : John Bordman and others, Cambridge, 1982, PP 488 - 510.
-Ussishkin. D : The Conquest of Lachish by Sennacherib, Tel Aviv, 1982.
- Garelli. P : Remarques sur les rapports entre l'Assyrie et les cités phéniciennes, dans : Actes du congrés international des Etudes Phéniciennes et Punique, I, (ACFP),Rome 1983, PP. 61 - 66
- Goncalvés. F : l'Expédition de senncherib en Palestine dans la Littérature hébraïque ancienne. Paris, Gabalda : 1986.
- Graydon. A. K : Assyrian Rulers of the Early First Millenium B.C.I (1114 - 859 B.C), The Royal Inscriptions of Mesopotamia. Assyrian Periods, vol 2,Toronto,1991(RIMA 2)
- Grayson. A. K : Assyrian Rulers of the Early First Millenium B.C. (858 - 745 BC), The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Assyrian periods, vol.3, Toronto 1996 (RIMA3).
- Katzenstein. H. Jacob : The History of Tyre : from the Beginnin of the second Millenium B.C. until the fall of the Neo-Babylonian Empire in 539 B.C.E, Beer Sheva 1997.

وقد انطوت تلك السياسة على تقديم كمٍّ هام من المعلومات التي تخصّ الحياة المدنية سنكتشفها من خلال دراسة كلّ ملك على حدة .

1 - تجلت فلاصر الأول (1115 - 1077 ق.م) :

يرد إسم هذا الملك بالآشورية بصيغة (توكولتي أبيل إيشارّا) التي ترجمها أحد الباحثين في "الآشوريات" إلى (ثقتي هي الإبن الأول لمعبد إيشارا) - وإيشارا هو معبد الإله آشور في مدينة آشور (1) ...

ويرد إسم هذا الملك في بعض أسفار العهد القديم بصيغة (تجلت فلاسر) (2) أما في سفر أخبار الأيام الأول فيرد بصيغة (تلجت فلنسر) (3) ، وقد تكون هذه الصيغة خطأً من الكاتب الأصلي للسفر المذكور .

على أننا نرى صيغة (تجلت فلاصر) هي الأسلم في العربية ... وتجدر الإشارة إلى ملاحظة أبداها أحد الباحثين في "الكتاب المقدّس" مفادها أن "تجلت فلاصر" هو لقبٌ للملك "توكولتي أبيل إيشارا" (4) ... علمًا أن هناك تقاربًا لفظيًا بين الصيغتين .

وبالعودة إلى فترة حكم هذا الملك (1115 - 1077) نجد أنها الفترة التي استتبّت فيها أوضاع سوريا والمدن الكنعانية - الفينيقية بعد سلسلة من الأحداث التي سبّبها مجيء شعوب البحر ... فتتّجه أنظار الملك "تجلت فلاصّر الأول" إلى المنطقة بعد إعادة تنظيم الجيش الآشوري وتقويته وضمان أمن حدود الإمبراطورية الآشورية

---

1 - أنظر مرعي : تاريخ بلاد الرافدين ... ص 108

2 - ملوك ثانٍ 15 : 29 .

3 - أخبار الأيام الأول 5 : 26 ... وتجدر الإشارة إلى أن المقصود بتجلت فلاسر في الشاهدين السابقين هو تجلت فلاصر الثالث ...

4 - أنظر عبد المسيح ، يس : قاموس الكتاب المقدّس ص 219.

الذي تطلّب من الملك القيام بعدّة حملات في المناطق التي ضمّت - سابقا - أراضي المملكة الحثية والمملكة الميتانية ومناطق حيوية بعيدة مثل منطقة "البحر الأعلى" (بحيرة فان) (1)

وقد جاءت أخبار حملته على سوريا والساحل الفينيقي ضمن كتاباتٍ على الصخور والرقم الطينية والأنصاب (2)، تتحدث عن إنجازاته ومنها إعادة بنائه للقصر الملكي في آشور وإعادة بناء معبد "آنو أدد" ، والإصلاحات التي قام بها في معبد عشتار (عشترت) (3) في نينوى ... ونقرأ ضمن الكتابات المختلفة للملك تجلت فلاصر الأول تعريفًا بنفسه : (تجلت فلاصر ، الملك الجبار ، ملك الكون ، ملك آشور ، ملك الجهات الأربع ، الذي زحف بعيداً وهزم أعداءه ....) (4) .

وحول حملته على سوريا والساحل الفينيقي ورد في كتاباته ما يلي : (... بأمر إلهيَّ "آنو" و " أدد" - الإلهين العظيمين - صعدت إلى جبل لبنان وقطعت من هناك

---

1 - مرعي وعبد الله : مرجع سبق ذكره ص 308 ، 309 .

2 - وقد نُشرت ترجمة لهذه الكتابات بالإنجليزية في :

- Luckenbill. Daniel David : "Ancient Records of Assyria and Babylonia", Vol. I, II. Chicago 1926, 1927 ...

ويحتوي هذا المرجع على ا لحوليات الرسمية للديوان الآشوري، وبالإمكان تتبّع حركة التوسع الآشوري فيه ... وسنرمز له بـ ARAB

3 - يرى الباحثون الألمان "إدزارد" و"بوب" و "روليج" أن "عشتار إلهة أنثى معروفة في الديانة السومرية - الأكادية ، والإسم الأكادي "عشتار" مأخوذ من "عشترت" السورية ... أنظر "قاموس الآلهة والأساطير الشرقية " ، تعريب محمد وحيد خياطة ... دمشق 1987 ص 53 ، 54 ... والأصل بالألمانية :

- Dietzotto Edzard, Marvin H.POP, Wolfgang Röllig : Götter und Mythen im vorderen Orient.

4 - ARAB, I, 300 أنظر أيضاً : RIMA 2 : text A.O.87.1, Col.I,1.34-38

أخشاب الأرز لمعبد "آنو" و"أدد" ... وواصلت طريقي إلى أمورو (سوريا) وفتحتها بأكملها ، وتلقّيت الجزية من جبيل وصيدا وأروادة ، ومن أروادة الواقعة على ساحل البحر – أبحرت على متن سفن أروادية إلى "سيميرة" مسافة ثلاث مراحل (حوالي 30كم) ، وخلال مسيري في قلب البحر قتلت "نخيرو" ، ذلك الحيوان الذي يسمّونه حصان البحر ، وفي طريق عودتي أخضعت بلاد حاتي (الحثيين) وفرضت على ملكها "إلي تيشوب" جزية تكونت من أخشاب الأرز) (1).

بعد قراءة هذا النص نلاحظ أن الهدف الأول لحملة الملك تجلت فلاصر الأول هو الحصول على أخشاب الأرز التي احتاج إليها الآشوريون لعمليات البناء المختلفة في آشور ، ونجد أن الملك تجلت فلاصر قد أعطى عملية جلب أخشاب الأرز من لبنان صبغة دينية ذاكراً أنه جلب تلك الأخشاب لصالح معبد "آنو" و "أدد" – وهما إلهان من أصول سومرية أكادية ، فآنو هو الإله الرئيس في مجمع الآلهة السومريين (2) ، أما "أدد" فهو إله الطقس (3) .

وتبدو من النص السابق أهمية أخشاب الأرز بالنسبة إلى الملك تجلت فلاصر الأول ، ذلك أن الجزية التي فرضها على ملك الحثيين . – في طريق عودته إلى آشور – كانت – أيضاً – من خشب الأرز ...

ويطلق تجلت فلاصر الأول على سوريا إسم "أمورو" وتشير هذه التسمية إلى سوريا التي ظهرت فيها ومنذ بداية الألف الثانية ق.م. سلالات أمورية حاكمة وذلك في حلب وقطنة وأوجاريت وجبيل وحاصور ، بالإضافة إلى ماري وبابل وآشور (4) ...

---

1 - ARAB, I, 302 , 306

2 – أنظر ادزارد ، بوب ، روليج : قاموس الآلهة والأساطير ، ص 52

3 – نفس المرجع ص 44

4 – أنظر مرعي : تاريخ بلاد الرافدين ، ص 76

وللإشارة فإن الأموريين بدأوا بالدخول إلى بلاد الرافدين منذ نهاية الألف الثالث ق.م قادمين من بلاد الشام، وقد سُمّوا في المصادر السومرية باسم"مارتو" وفي المصادر الأكادية باسم "أموروم" وتعني هذه الكلمة "الغرب" ، واستناداً إلى الباحث السويدي"ألفرد هالدر"(A.Haldar)، فإن أرض الأموريين تعني أرض الغربيين وتشيرإلى المنطقة الواقعة ما بين نهر الفرات والبحر الأبيض المتوسط(1) وفي سفر التكوين من العهد القديم ورد ذكر "الأموري" على أنه إبنٌ لكنعان : "وكنعن يلد إت صيدن بكرو وإت حت وإت هيبوسي وإت هامري ...) (2) أي : (ولد كنعان صيدون بكره وحثًا واليبوسي والأموري ...)

إذاً فأمورو مصطلح جغرافي حسب المصادر السومرية ، ويشير إلى سوريا استناداً إلى نص الملك تجلت فلاصر الأول ، والأموريون أحد شعوب الشرق الأدنى القديم المنتمين إلى كنعان في ضوء معلومات سفر التكوين ...

ولورود هذا المصطلح في نص الملك تجلت فلاصر الأول ، ومنذ أواخر القرن الثاني عشر ق.م ، أهمية خاصة ذلك أن حوليات ملوك العصر الآشوري الحديث - والذي يبدأ مع نهاية القرن العاشر ق.م - لا تستخدم إلاّ نادراً مصطلح "أمورو" للدلالة على "كل سوريا" ، إذ تحل محله أسماء الممالك التي انتشرت في "سوريا القديمة" ، الأمر الذي يشير إلى تغييرات في الخريطة السياسية للمنطقة نجمت عن الإنتشار القوي للآراميين إبان بروز المدن الفينيقية في الساحل .

---

1 - أنظر : هالدر ألفرد : "الأموريون" ، من هم وما هي مواطنهم ، تعريب شوقي شعث ، حلب 1993 ص 117 والعنوان الأصلي :

- Haldar. Alfred : Who were the Amorites ? Leiden. (S. d)

أنظر أيضاً :

- Muhly. James D : "End of the Bronze Age" in : from"Ebla to Damascus", Op. Cit. P265.

2 - تكوين 10 : 15، 16 .

وقد ورد في النص ذكر أربع مدن فينيقية تلقّى تجلت فلاصر الأول الجزية منها وهي "جبيل" و"صيدا" على الساحل اللبناني، و"أروادة" و "سيمورة" على الساحل السوري وينبغي هنا أن نشير إلى معلومة هامة وردت في النص بخصوص "أروادة" – التي دأبت بعض المؤلفات الحديثة على اعتبارها جزيرة فقط في عرض البحر المتوسط – إلاّ أن نص تجلت فلاصر الأول يذكر أنها واقعة على ساحل البحر ، أي أنها مدينة ... "وهي مدينة لها أطلالٌ في جزيرة تقع قبالة مدينة طرطوس وعلى بعد كيلومترين ونصف من الساحل السوري ..." (1) .

ويذكر تجلت فلاصر الأول في نصّه أنه أبحر على متن سفن أروادية ، الأمر الذي يؤكّد خبرة الأرواديين في الملاحة واشتغالهم بها في المتوسط ، تلك المعلومة التي يؤكدها أيضًا سفر حزقيال في العهد القديم الذي تحدث عن ملاّحي "صيدا" و "أروادة" الذين اشتغلوا لصالح مدينة صور : (يشبي صيدون وأرود هيو شطيم لك ...) (2) أي : (أهل صيدا وأروادة كانوا ملاّحيك" أما "سيمورة" التي وصلها تجلت فلاصر الأول على متن سفن أروادية فهي حاليًا مدينة "سيميرا" (تل الكزل) الواقعة جنوب "طرطوس" ، ومن الجدير ذكره أن "الصمّاري" مذكور في سفر التكوين إلى جانب "الأروادي" كأحد أبناء كنعان ... (وكنعن يلد ... إت هأرودي و إت هصمري ...) (3) كما ورد في رسائل العمارنة مصطلح "صومور (4) كإشارة إلى "الصمّاري" ونسبة إلى سيمورة المذكورة في نص تجلت فلاصر الأول ...

---

1 – أنظر : فنطر محمد حسين : "الحرف والصورة في عالم قرطاج"، تونس 1999، ص 345

2 – حزقيال 27 : 8

3 – تكوين 10 : 18

4 – ARAB, I, P98, Note 1 – أنظر أيضًا : دونان موريس : "تحريات أثرية في منطقة عمريت" ، تعريب س . ع، في الحوليات الأثرية السورية – المجلد 3 – جـ 1 – 2 ، 1953 – ص 19 .

وبالنسبة إلى سيميرا (تل الكزل حاليًا) فقد انطلقت أعمال التنقيب فيها عام 1956 من قبل بعثة سورية فرنسية ترأسها الباحث "موريس دونان" (Mourice Dunand)، وبعد ثلاثة مواسم من التنقيب قدّم الموقع مجموعة متنوعة من الأختام المسطّحة والاسطوانية والأسلحة والتماثيل والأدوات البرونزية والفخّار المحلّي والمستورد ، تغطّي فترة تمتدّ من القرن الخامس عشر إلى القرن الخامس ق.م ، أما الطبقات التي تم الكشف عنها فتشمل أربعة عصور هي "الروماني" و "الهلنستي" و "الحديد" - وإليه تعود بعض المخلّفات الآشورية في الموقع - والبرونز الحديث (1600- 1200 ق.م) (1) ، وتبدو أهمية سيميرا منذ منتصف القرن الخامس عشر ق.م ، إذ ورد ذكرها في حوليات الفرعون تحوتمس الثالث (1468 - 1436 ق.م) - أثناء حروبه في سورية على أن ميناءها كان مرسًى لأسطوله (2).

وقد أحكم ملوك العصر الآشوري الحديث قبضتهم على المدينة ، وخاصة "تجلت فلاصر الثالث" و "سرجون الثاني" و "سنحريب" ، وكان لها في عهودهم دور في الأحداث التي سنتطرّق إليها لاحقًا .

وأخيرًا ، لم تغفل المصادر الكلاسيكية ذكر "سيميرا" ، فوصفتها المصادر اليونانية بالبلدة المحصّنة (خوريون) ، واللاتينية بالحصن (كاستيلّوم) (3) ...

وهكذا نجد أن النص المذكور يطلعنا على معلومات هامة تتعلّق ببعض المدن الفينيقية والسياسة الآشورية "المستقبلية" تجاه الساحل الفينيقي ، ذلك أن تجلت

---

1 - أنظر تنقيبات المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق : دليل آثار متحف دمشق الوطني (مجموعة من المؤلفين) دمشق 1969 . ص 38 - 40.

2 - عبد الحميد محمود : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ، مرجع سبق ذكره ، ص 161 - 162 .

3 - آلايي. جوزيت : "المستوردات اليونانية لتل الكزل (سيميرا) خلال الحكم الفارسي" ، تعريب : عدنان البني في الحوليات الأثرية السورية - المجلّد 36 ، 37 . 1986 - 1987 ص 101.

فلاصّر الأول افتتح الطريق إلى هذا الساحل وأسّس لمشروع سيادة آشور على المنطقة ، الأمر الذي تابعه ملوك العصر الآشوري الحديث الآتي ذكرهم ... ولا بدّ هنا من الإشارة إلى ملاحظة هامة أبداها الباحث الدكتور محمد حسين فنطر حول نص الملك تجلت فلاصر ، ومفادها أن الملك المذكور لم يدخل بلاد كنعان غازياً بل كان يرنو إلى مرتبة سلطان جبّار لا منازع له في كامل الربوع الممتدة من دجلة إلى مدن كنعان الساحلية ، معبّراً عن أحلامه - كما يستشف من النص - في تحقيق هذا المشروع (1) ، الأمر الذي تعكسه - أيضا - العبارة التي عرّف بها نفسه في إحدى كتاباته وهي : تجلت فلاصر سيد الكون - كما رأينا - ... وستكون للملاحظة المذكورة أصداء على الحملات الآشورية إلى الساحل الفينيقي ، تلك التي اصطُلح على تسميتها في معظم الدراسات المتخصصة "غزواً آشورياً للمنطقة" ، في الوقت الذي يمكننا فيه مناقشة هذه المسألة انطلاقاً من أوضاع المدن الكنعانية الفينيقية بدءاً من القرن العاشر ق.م ، الأمر الذي يدفعنا إلى الحديث عن "تدخل آشوري لإعادة ترتيب أوراق المنطقة "التي شهدت منعطفات خطيرة في تاريخها قبل بضعة قرون من ميلاد السيد المسيح (2) .

---

1 - أنظر فنطر محمد حسين : "الفينيقيون بناة المتوسّط" ، مرجع سبق ذكرهُ ص 16 .

2 - وقد لخّصت الباحثة "إيفا ستر ومنجر" هذا الوضع في بحثها المنشور في الكتاب الخاص بمعرض الفن والآثار في سوريا القديمة" - واشنطن ... أنظر : - Strommenger Eva : Assyrian Domination, Aramaean Persistence... in : "From Ebla to Damascus" ed : Harvey Weiss, Washington 1985 PP 322 - 329

على أننا سنقوم بتفصيل هذا الوضع في الصفحات القادمة ، انطلاقاً من المعلومات الخاصة بالحياة المدنية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء الحوليات الآشورية .

2 - آشور ناصر بال الثاني (883 - 859 ق.م) :

قبل تولّي "آشور ناصر بال الثاني" عرش آشور ، كان سلفاه "أدد نيراري الثاني" (911 - 891 ق.م) و "توكولتي نينورتا الثاني" (891 -884 ق.م) قد تمكّنا من صد خطر الآراميين الذين انتهزوا فرصة ضعف الإمبراطورية الآشورية وتغلغلوا في أراضيها لاسيما بعد موت "تجلت فلاصّر الأول" (1115 - 1077 ق.م) (1) كما تمكن هذان الملكان من إحكام السيطرة الآشورية على كل منطقة الخابور وتقوية الدولة الآشورية ليرثها "آشور ناصربال الثاني" وينتهج سياسة توسعية لم يسبقه إليها ملك آشوري ، مسجّلاً بذلك الإنطلاقة الحقيقية للإمبراطورية الآشورية الحديثة (2) تفيد حوليات هذا الملك أنه قام في السنوات الأولى من حكمه بتوسيع مملكة آشور مستخدمًا حنكته السياسية وبراعته العسكرية في ربط المناطق التي فتحها أسلافه بالمملكة الآشورية ، وإضافة مناطق أخرى إليها ... وبقضائه على ثورات الآراميين في منطقة الفرات الأوسط والخابور ، أعاد توطيد النفوذ الآشوري في تلك المنطقة مجبرًا مملكة "بيت عديني" على الإعتراف بسلطته ، كما أخضع عدة قبائل ومدن في جبال زاجروس وقضى على تمرّد نشب في "بيت زماني" ، وأخضع "بيت

(1 - Snell. Daniel C : "The Aramaens" in : "From Ebla to Damascus" OP. Cit P327.

(2 - Oates : "Babylon" ... OP. Cit P 108

وتجدر الإشارة إلى أن السياسة التي رسمها الملك تجلت فلاصر الأول (1115 - 1077) لم تثمر إلاّ بحلول القرن التاسع ق.م إذ شرع - وقتئذٍ - الملك أشور ناصربال الثاني في انجاز مشروع تجلت فلاصر وتحقيق تطلعاته ... أنظر فنطر : الفينيقيون بناة المتوسط ص 16 ...

بحياني" (1) ، وكان هذا مقدّمةً للوصول إلى البحر المتوسط ، ذلك أن تلك الممالك الآرامية التي تكوّنت ابتداءً من القرن الثاني عشر ق.م ، كانت عقبة في وجه التحركات الآشورية نحو الغرب (2) ...

أتت معظم الآثار المسطورة للملك "آشور ناصربال الثاني" من مدينة كلخو (نمرود) ، وهي مدينة تقع على بعد 40 كم جنوب شرق الموصل وعلى الضفّة الشرقية لنهر دجلة ، بناها أولاً الملك "شلمنصّر الأول" عام 1270 ق.م وأعاد بناءها الملك آشور ناصربال الثاني في بداية فترة حكمه وجعلها عاصمة له ومنطلقاً لحملاته العسكرية (3) وبالإضافة إلى آثار "كلخو" (نمرود) ثمة آثار مسطورة في مدينة

---

1 – راجع نصوص "آشور ناصربال الثاني" الخاصّة بحملاته على الممالك الآرامية : "بيت عديني" و "بيت زماني" و " بيت بحياني" في :

- ARAB. I, 459, 466, 474 - 475, 480...

ولمزيد الإطّلاع راجع البحوث والدراسات التالية :

– أبو عسّاف علي : "مملكة بيت بحياني الآرامية "مجلة دراسات تاريخية – عدد 6 أكتوبر 1981 – جامعة دمشق . ص 147 ...... 159 .

- Parr. Peter: "The Levant in the Early first Millennium B.C" PP196 - 199 in (CEA).
- Snell : OP. Cit. PP. 326 - 329...

2 – لاحظ أن تجلت فلاصّر الأول – وقبل خلفه آشور ناصربال الثاني بحوالي قرنين – قام وحده بثمانية وعشرين حملة ضد الآراميين علي طول الجبهة الممتدة من الفرات الأوسط إلى تدمر ...أنظر :

- ARAB, I, 292.

3 – حول العاصمة الجديدة كلخو (نمرود) أنظر :

- Postgate : "The Assyrian Empire"... OP, Cit, P189.

أنظر أيضاً نص إعادة بناء المدينة من قبل آشور ناصربال الثاني في - ARAB, I, 484.

بلَوات (إمجوربل) القريبة من نمرود ، وكان آشور ناصربال الثاني قد شيّد فيها قصراً ومعبداً (1) ...

وبالنسبة إلى النصوص الخاصّة بحملته إلى المتوسط ، فإن أهمها على الإطلاق هو النص الذي عُثر عليه في معبد "أورتا" في كلخو (نمرود) ، وسننقله كاملاً تقريباً - مع شرحه بعد ذلك - لأنه النص الوحيد - من الألف الأولى ق.م - الذي يقدم معلومات نادرة عن طرق المواصلات التي كانت تربط بلاد آشور بسوريا والساحل الفينيقي ، ويرسم بوضوح "الطريق التجارية" الرابطة بين بلاد آشور والمدن الفينيقية من جهة ، وبين الممالك الآرامية - في بلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية و الوسطى - والساحل الفينيقي من جهة أخرى بالإضافة إلى احتوائه على معلومات هامة حول بعض المدن الفينيقية ... وفيما يلي هذا النص :

(في اليوم الثامن من شهر "ألولو" (أيلول - سبتمبر) (2) غادرت مدينة كلخو ، وعبرت نهر دجلة متجهاً نحو كركميش - أرض الحثيين - وحين وصلت إلى "بيت بحياني" أخذت الجزية منها عرباتٍ وجياداً ، فضةً وذهباً ورصاصاً ونحاساً وأوعية نحاسية ثم وصلت إلى بيت عديني وأخذت الجزية منها فضة وذهباً ونحاسا ورصاصاً ، مناضد وأسرّة وكراسي من عاج مرصّعة بالذهب والفضة ، قطعان ماشية وخمراً ... ثم غادرتها ... وبعد ذلك عبرت نهر الفرات - وقت فيضانه - بسفن من جلد ، ولدى وصولي إلى كركميش تلقيت الجزية من سنجارا ملك بلاد الحثيين ، وكانت من الذهب والفضة والبرونز والحديد والخشب والعاج والألبسة الأرجوانية .... وأخذت معي من هناك أيضاً مائتي عذراء وعرباتٍ وفرساناً ومشاةً ... وأخضعت

---

1 - ARAB, I, 535 ، وباقر :مرجع سبق ذكره ص 503.

2 - أنظر قائمة الأشهر الآشورية في : ARAB, II, P 499. -

ملوك البلدان المجاورة وأخذت منهم رهائن معي إلى لبنان جاعلاً إياهم يسيرون في المقدمة ... ثم غادرت كركميش باتجاه مدينة حزازي (أعزاز) - إحدى مدن "لوبارنا" ملك حطينة - وأخذت منها الذهب والملابس ... ثم واصلت طريقي وعبرت نهر أبري (عفرين) وقضيت الليل هناك ... ثم غادرته باتجاه مدينة "كونولو" - مقر الملك لوبارنا ملك حطينة - وقبل أن أشهر أسلحتي الفتاكة ، ركع لوبارنا عند قدميّ خوفًا على حياته وقدّم الجزية فضةً وذهبًا ورصاصًا وحديدًا وماشية وأثواب صوف ملونة وكساوٍ من الكتّان وآرائك من خشب البقس ، مرصّعة، وأسرّة من البقس مرصعة بالعاج ومناضد من البقس والعاج ... وفي ذلك الوقت أيضًا وصلتني جزية "جوشي" (ملك) بلاد ياحاني ، فضةً وذهبًا ورصاصًا وماشية وألبسة من الصوف الملوّن والكتّان ... وبعد ذلك غادرت "كونولو" قاصدًا ضفاف نهر العاصي الذي عبرته وسلكت الطريق الواقعة بين جبل "يراكي" وجبل "ياتوري" ، واسترحت ليلة عند نهر "سنجورة" ، ثم تابعت سيري بين جبال "سراتيني" و "دوباني" ودخلت "أريبو" إحدى المدن الملكية "للوبارنا" - ملك حطينة - فأخضعتها ... ثم أخضعت مدن "لوحوتي" وهدمتها ، وبعد ذلك وصلت إلى جبل لبنان والبحر الكبير (المتوسط) وفي البحر الكبير غسلت أسلحتي وقدّمت قرابين للآلهة وتلقيت جزية ملوك الساحل وشعوبه : شعب "صور" و"صيدا" و"جبيل" و "محلاته" و"ميزا" و"قيزا" و"أمورو" و"أروادة" ، وكانت الجزية فضّةً وذهبًا ورصاصًا ونحاسًا ، أوانٍ نحاسية وألبسة صوفية ملوّنة وألبسة كتّانية وقردة كبيرة وصغيرة وخشب قيقب وبقس وعاجًا ، وحصان بحر ، ... وبعد أن قدّم أولئك الجزية والطاعة لي اتجهت نحو جبل "الأمانوس" وقطعت من هناك أخشاب الأرز والسرو والعرعر والصنوبر ، وقدمت قرابين للآلهة وأقمت نصبًا تذكاريًا لبطولاتي ... أما أخشاب الأرز فقد حملتها إلى

"إيشارًا " - معبدي - حيث شيّدت هناك غرفة مسرّة لِ"سين" و" شمش" إلهيْ النور ...) (1) .

يعتبر هذا النص وثيقة فريدةً من نوعها لاحتوائه على معلومات غاية في الأهمية شملت جوانب سياسية واقتصادية وجغرافية متنوعة ، وأعطت صورة حية عن الوضع في آشور وسوريا والساحل الفينيقي خلال النصف الأول من القرن التاسع ق.م ... وتبدو حملة الملك "آشور ناصربال الثاني" من خلال هذا النص وكأنها تتويجٌ للجهود التي بذلها أسلافه - منذ عهد تجلت فلاصر الأول - لمد السيطرة الآشورية إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط . ولعل النقطة الأكثر أهمية في هذا النص هي خط سير الحملة من "كلخو" - على ضفاف دجلة - إلى الساحل الفينيقي ، ويبدو من خلال دراسة النص أن "آشور ناصربال الثاني" سار وفقًا لمخطّط مسبق وخطة محكمة هدفها الحصول على الثروات والوصول إلى المتوسط ، ذلك أن الطريق التي سلكها من بلاد آشور إلى هذا البحر - وخاصة الساحل الفينيقي - مرت بسوريا الوسطى (الآرامية) كما سنرى ، وذلك استنادًا إلى المعلومات الواردة في النص (أنظر الخريطة ...) : فبعد عبور نهر دجلة انطلاقًا من "كلخو" ، تصل الحملة إلى " بيت بحياني" أي إلى الموقع المسمّى حاليًا "تل حلف" والذي يبعد ثلاثة كيلومترات غربي بلدة "رأس العين" السورية وعلى منابع الخابور - أحد روافد الفرات - وقد افتتح التنقيب في الموقع - أي تل حلف - الآثاري الألماني "ماكس فون أوبنهايم" الذي تمكنت بعثته - ابتداءً من عام 1911 و حتى عام 1929 - من الكشف عن أطلال المدينة الآرامية " جوزن " - عاصمة مملكة بيت بحياني - والتي وردت أول إشارة

---

1 - ARAB, I, 475 , 476 , 477 , 478 , 479.

إليها في حوليات الملك الآشوري أدد نيراري الثاني (911 - 891 ق.م) (1). وبعد "بيت بحياني" تصل الحملة إلى "بيت عديني" أي إلى الموقع المسمّى حاليًا "تل برسيب" ، ويقع هذا التل على الضفة اليسرى لنهر الفرات وإلى الجنوب من مدينة "جرابلس" (كركميش) ، وقد انطلقت الحفريات الأثرية في هذا الموقع عام 1929 على يد بعثة تنقيب فرنسية ، واتضح بعد عامين من التنقيب أن التل كان عاصمةً لمملكة "بيت عديني" الآرامية (2) ...

وتجدر الإشارة إلى أنه ورد ذكر كل من "جوزن" - عاصمة بيت بحياني - و "بيت عديني" في العهد القديم إذ جاء في أحد الشواهد أن "جوزن" تقع على نهر الخابور : (... حبور نهر جوزن) (3) أي الخابور نهر "جوزن" ، وجاء في شاهد آخر : (ههصيلو أتم إلهي هجويم أشر شحتو أبوتي إت جوزن وإت حرن ورصف وبني عدن أشر بتل أسر ؟) (4) أي : هل أنقذتْ آلهةُ الأمم أولئك الذين أهلكهم آبائي : جوزن

---

1 - حول التنقيبات في موقع تل حلف (مملكة بيت بحياني) أنظر :

- أبو عساف علي : مملكة بيت بحياني الآرامية ، مرجع سبق ذكره ص 147 - 159 .

- طوير قاسم : "الصورة التاريخية والحضارية للقطر العربي السوري في العصور الشرقية القديمة" - دراسة منشورة في مجلة دراسات تاريخية العدد السادس - أكتوبر 1981 - جامعة دمشق ... ص 126، 127 .

2 - نفس المرجع ، ص 127 .

3 - ملوك ثانٍ 18 : 11

4 - ملوك ثانٍ 19 : 12 ، إشعيا 37 : 12

وحرّان ورصف وبني عديني الذين في تل آشور ... ؟ (1) .

وبعد "بيت عديني" تعبر حملة آشور ناصربال الثاني نهر الفرات ، وتتجه نحو كركميش - التي كانت واقعة تحت النفوذ الحثّي قبل زوال الدولة الحثية على يد شعوب البحر في مطلع القرن الحادي عشر ق.م - ويبدو من خلال توجّه آشور ناصربال الثاني إلى كركميش - في طريقه إلى المتوسط - أنه كان بحاجة إلى معدات وعناصر بشرية يجتاز بها - ربّما - مشقّة ومخاطر الطريق إلى المتوسط ، الأمر الذي أشار إليه في النص ، وحسب هذا النص ، يكون الملك الآشوري قد استخدم "درعًا بشريًا" في طريقه إلى لبنان مكونًا - بالدرجة الأولى - من ملوك البلدان المجاورة لكركميش ... إلا أن هذه النقطة غير واضحة تمامًا في النص إذ لا يُذكر عدد أولئك الملوك ولا تُذكر أسماء بلدانهم ، ولكن طالما ورد أنهم "رهائن" فلا بد أن الملك الآشوري استغل مكانتهم في البلدان التي قصدها ...

وتغادر الحملة كركميش وتصل إلى مدينة "حزازي" وهي حاليًا بلدة "أعزاز" السورية الواقعة عند السفوح الشرقية لجبل " سمعان " وإلى الشمال الغربي من مدينة حلب (2) ... وقد جاء في النص أنها تابعة لمملكة حطينة" ، وهي مملكة آرامية

---

1 - وقد ورد هذا الشاهد في سفر الملوك على أنه تحذير لبني إسرائيل جاء على لسان "رب شقه" (رئيس السقاة) "الناطق باسم" الملك الآشوري سنحريب (705 - 681 ق.م) أثناء حصاره للقدس ... أنظر الملوك الثاني 19 : 8 ... وانظ ما سيأتي حول هذا الموضوع في حوليات الملك سنحريب .

2 - حول "أرو حزازي" أنظر : فرزات محمد حرب : "العلاقات السياسية بين مملكة أرفاد الآرامية وآشور حتى أواسط القرن الثامن ق.م" ، مجلة دراسات تاريخية - عدد 46/45 جامعة دمشق 1993 ص 133 ... وقد أُعد البحث المذكور للندوة العالمية حول "تاريخ سورية والشرق الأدنى القديم 3000 - 300 ق.م" التي نظمتها جامعة حلب بالتعاون مع جامعة روما من 17 - 20 أكتوبر 1992 .

وُجدت حول حوض العاصي الأسفل (منطقة أنطاكية) ، وورد ذكرها - فيما بعد - في حوليات الملك شلمنصر الثالث (858 - 824) بإسم "عنقي" (1) ...

ويستمر الملك الآشوري في مسيره فيغادر أعزاز (حزازي) غربًا باتجاه نهر "عفرين" ويعبره إلى مدينة "كونولو" - مقر ملك حطينة المذكور في النص ، والتي يعتقد الباحثون أنها موقع "عين دارا" حاليًا إلى الشمال الغربي من حلب (2) - وقبل أن يعبر آشور ناصربال الثاني نهر العاصي يستلم جزية جوشي ملك بلاد "ياحاني" دون أن يسير إليها ... و"ياحاني" مملكة آرامية امتدت من حدود الفرات شرقًا إلى سهل العمق غربًا وجاورتها مملكة "حماة" من الجنوب وكركميش من الشمال وقد صار إسمها "بيت جوشي / أجوشي" نسبة إلى ملكها المذكور ، كما عُرفت باسم مملكة "أرفاد" نسبة إلى عاصمتها " أرفاد" التي كشفت عنها بعثة بريطانية عام 1960 في موقع "تل رفعت" الذي يبعد 35 كم إلى الشمال الشرقي من حلب (3) ...

إذًا فالنقطة الأخيرة التي توقفت عندها الحملة هي مدينة "كونولو" قبل عبور العاصي ... إلاّ أن عبور العاصي وخط سير الحملة بعد ذلك - كما ورد في النص - يكتنفه غموض كبير شكّل أمام الباحثين - والأكاديميين منهم تحديدًا - عائقًا في فهم النص ومعرفة المناطق التي مرّت بها حملة الملك الآشوري في طريقها إلى الساحل الفينيقي ، ويجدر بالذكر هنا أنه لا يوجد - حتى الآن - بين الدراسات العربية المختصة أو المهتمّة شرح مفصّل لحملة الملك آشور ناصربال الثاني ، وجل ما تناولته

---

1 - فرزات ، ص 130 ... راجع أيضًا جدول حملات الملك شلمنصر الثالث في : ARAB, I, 613

2 - Strommenger : Assyrian Domination ... OP, Cit. P323. -

3 - حول مملكة أرفاد أنظر : Ibid -

- فرزات : العلاقات السياسية بين مملكة أرفاد الآرامية وآشور ... مرجع سبق ذكره ص 127 - 139

تلك الدراسات هو الخطوط العريضة للحملة ومحطّاتها التي لا لبس فيها كأسماء الأنهار والمدن التي مازالت شاخصة إلى وقتنا هذا بأسمائها القديمة ... وقد عمد عديد الباحثين إلى اختصار نص الملك المذكور ليقتصر على النقاط الواضحة والجلية فيه (1) ، الأمر الذي يُفقد تلك الدراسات شيئًا من مضمونها ويحرم البحث التاريخي من عنصر الدقّة التي يجب أن يتوخاها الباحثون في دراسة النصوص القديمة فبعد عبور الحملة لنهر العاصي متجهةً من "كونولو" ، يفترض أن يكون خط سيرها في المناطق الواقعة غربي مجرى نهر العاصي - أي بين العاصي وساحل

---

1 - تجدر الإشارة إلى أننا قمنا بجرد معظم الدراسات والأبحاث العربية "المختصّة" بالتاريخ الآشوري و "حملات" الملوك الآشوريين إلى الساحل الفينيقي ، وتكاد جميع هذه الدراسات تتساوى في تناولها "الحدث الآشوري" في المنطقة دون تعمّق ، ولعل الدراسات الأجنبية في هذا الصدد - والتي سبقت الدراسات العربية بفترة طويلة - لم تغطّ "الحدث الآشوري" كما يجب ، بل وأخرجه بعضها من دائرة الأحداث ، لاسيما تلك التي تغطي فترة الدولة الآشورية الحديثة وترتبط مباشرة بوضع سياسي معقّد ساد في سوريا الآرامية والساحل الفينيقي وفلسطين القديمة ... وقد انعكس ذلك على الدراسات العربية ذات الصلة ... ويلخص الباحث السوري "فيصل عبد الله" مسألة عجز الدراسات العربية في مجال " الآشوريات" بإشارته في مقدمة حديثه عن المؤتمر الدولي الثالث والثلاثين لعلماء الآشوريات الذي انعقد في باريس عام 1986 - إلى "غياب العرب التام عن مثل هذه المؤتمرات العلمية" ويتابع الباحث "عبد الله" قائلا : "نحن لم نكتب تاريخنا القديم ... وقد آن الأوان لدخول هذا الميدان الذي يسيطر على قسم كبير منه متخصصون توراتيون وصهاينة متعصّبون ، قصد امتلاكه ونسبته إليهم ، وذلك في إطار معركة صامتة وخطيرة لم يتنبّه إليها الباحثون العرب بعد" أنظر مجلة "دراسات تاريخية" - عدد 27 ، 28 - جامعة دمشق 1987 ص 155 .

المتوسط - ولكن استناداً إلى النص ، فإن المناطق المذكورة بعد عبور العاصي مناطق تابعة لمدينتي "حلب" و "حماة" ، إذ يقول الملك "آشور ناصربال الثاني" إنه سلك الطريق الواقعة بين جبل "يراكي" (laraki) وجبل "ياتوري" (laturi) ...

واستناداً إلى الباحث الفرنسي "ريني دوسو" فإن جبل "يراكي" هو - حاليا - جبل "باريشا" (Barisha) (1) أما "ياتوري" فهو جبل "بركات" (Barakat) أو "الشيخ بركات" (2) ...

وبالإعتماد على دراسات جغرافية وطبوغرافية خاصة بسوريا قام بها كل من "جاك إده" و "جاك ويلرس" و"لويس دوبرتري" و "عبد الرحمن حميدة " (3) ، تمكنّا من تحديد موقعي الجبلين المذكورين . سيما وأنهما ضمن سلسلة من عدة جبال تحيط بمدينة حلب مثل جبل سمعان وعفرين والعلا وعلايا وحارم وريحا وزين العابدين والأربعين بالإضافة إلى جبلي باريشا والشيخ بركات اللذين لا يُذكران في الخرائط .

---

1 - ويتحدث "دوسو" عن وجود قرية تحمل إسم "أروك" أو أروق في منطقة جبل باريشا ... قارن مع يراكي ... وانظر :

- DUSSAUD René : "Topographie Historique de la Syrie antique et médievale", Paris , 1927 PP 238, 239, 241.

2 - Ibid. P. 241

3 - أنظر كلاً مما يلي :

- EDDE. Jacques : Geographie de la Syrie et du Liban Beyrouth 1937, 1938.
- DUBERTRET. L, WEULERSSE. J : Manuel de Géographie : Syrie, Liban et Proche Orient. Beyrouth, 1940.
- HAMIDÉ. Abdul - Rahman : "La Région D'Alep", Etude de géographie rural. Paris. 1959.

وأيضاً : حميدة . عبد الرحمان : "محافظة حلب" دمشق 1992

يقع جبل "باريشا" (يراكي) إلى الغرب من مدينة حلب وإلى الجنوب من نهر عفرين ، ويبعد عن حلب مسافة تقدّر بخمسين كيلومتراً (1) ، أما جبل "الشيخ بركات" (ياتوري) فيطل على بلدة "ديرة عزّة" الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة حلب ، وإلى الجنوب الشرقي من مجرى نهر عفرين ، وتبعد عن حلب مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً (2) ...

وبعد سلوك الحملة لهذه الطريق بين الجبلين المذكورين - والتي تمر ببلدة "سرمدا" الحالية حسب "دوسو" (3) - تصل إلى نهر سنجورة (Sangura) الذي يرى "دوسو" أنه نهر "ساروت" الحالي الذي يصب في العاصي بالقرب من بلدة "شيزر" الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة "حماة" والقريبة منها (4) .

ثم تمر الحملة بين جبلي "سراتيني" (Saratini) و دوباني (Duppani) (5) وتدخل

---

1 - حول موقع الجبل راجع : EDDÉ : OP.CIT P51 -

- HAMIDÉ : OP. CIT. PP 32,37

2 - أنظر HAMIDÉ: Ibid, EDDÉ : Ibid وأيضا :حميدة : محافظة حلب، المرجع المذكور سابقًا ص78.

3 - DUSSAUD : Op.Cit. P241

4 - Ibid ... وحول نهر ساروت أنظر أيضًا المقالة التي نشرها "جبرائيل سعادة" في مجلة :

- Les Cahiers de l'oronte, Beyrouth, N°3, Juillet - Aout 1965, PP. 93 - 105.

وذلك تحت عنوان : L'Oronte cet inconnu ، وأيضًا أنظر نفس المقالة بالعربية : سعادة . جبرائيل : أبحاث تاريخية وأثرية ، ترجمه عن الفرنسية : سلمان حرفوش ، دمشق 1987 ص 153 - 178 والهامش رقم 16 .

5 - لم يورد "دوسو" أي تعليق على إسمي الجبلين المذكورين ولا بد أنهما جبلان صغيران يقعان على جانبي الطريق الواصلة بين "شيزر" في الشمال الغربي من حماة و "رابو" في الجنوب الغربي من حماة أيضًا - حسب دوسو - أنظر DUSSAUD : Loc.Cit

مدينة ملكية (حصنًا) للوبارنا" ملك حطينة سابق الذكر ، وتلك المدينة هي "أريبو" (Aribua) – حسب النص الآشوري – وحسب "دوسو " فهي بلدة "رابو" الحالية إلى الشرق من مدينة "مصياف" وإلى الجنوب الغربي من مدينة حماة القريبة (1) ...

أما مدن "لوحوتي" (Luhuti) المذكورة في النص والتي كانت آخر محطات الملك الآشوري قبل التوجه إلى لبنان ، فتقع إلى الجنوب الغربي من حماة – حسب "دوسو" – (2) ... إذًا ، فمن محطته الأخيرة في الشمال السوري (منطقة عفرين) توجّه آشور ناصربال الثاني جنوبًا ومرّ في المناطق التابعة لحلب وحماة ، ومنطقيًا فنحن أمام احتمالين لكشف الغموض الذي يكتنف ما ورد في النص حول عبور الحملة لنهر العاصي بعد مغادرتها لمدينة "كونولو" ، والإحتمال الأول هو أن يكون مدوّن النص قد استبق الأحداث وذكر عبور العاصي (3) قبل الدخول في المناطق التابعة لحلب وحماة وصولاً إلى لبنان ، فالطريق إلى لبنان من حلب وحماة يتطلب عبور العاصي بالقرب من حماة ... وبالتالي يجب أن تكون الحملة قد عبرت نهر

---

1 – DUSSAUD. OP. Cit. P241 ، أنظر أيضًا خريطته : VIII

2 – Ibid

3 – وقد عمدت عديد الدراسات التي تناولت حملة الملك آشور ناصربال الثاني إلى حذف الفقرة التي يُذكر فيها عبور العاصي علمًا أن نص الملك المذكور هو أول نص تاريخي يذكر نهر العاصي على شكل أرانتو Arantu الذي اشتُق منه اسم " Oronte" ... أنظر (ARAB.I.478) وقد سمّى الجغرافيون العرب ذلك النهر باسم "الأرنط" اشتقاقًا من أرانتو ثم "العاصي" لأن أكثر الأنهر تتوجه ذات الجنوب وهو يأخذ ذات الشمال ... أنظر سعادة : المرجع المذكور سابقًا ص 156 ...

ويبدو أن عبور "العاصي" أضحى كعبور "الفرات" اختبارًا للقوة بالنسبة إلى الملوك الآشوريين .

عفرين لتسير بين جبلي "يراكي" و "ياتوري" الواقعين - كما رأينا - إلى الجنوب والجنوب الشرقي من النهر المذكور ، لتصل إلى حماة ... أما الاحتمال الثاني فهو أن تكون الحملة قد عبرت العاصي من النقطة التي ينعطف فيها نحو الغرب - بالقرب من مدينة أنطاكية - ثم اتجهت شرقًا نحو حلب فجنوبًا نحو حماة وعبرت العاصي مرة أخرى نحو لبنان ... ولكن هذا الاحتمال مستبعد لأنه يتعارض مع الطريق المذكورة في النص والتي يبدو أنها كانت طريقًا تجارية تمر بمناطق يسيطر عليها الآراميون ويدركها جيدًا الآشوريون ، والدليل على ذلك هي الكميّات الكبيرة والمتنوعة من البضائع التي حصل عليها الملك الآشوري في طريقه إلى لبنان .

وقبل الحديث عن مدن الساحل الفينيقي التي وصلت إليها الحملة الآشورية ، تستوقفنا الطريق التي سلكتها الحملة - من "كونولو" في الشمال السوري إلى لبنان - مرةً أخرى ولكن كما تصوّرها الكاتب السوري "فراس السوّاح" - وهو أحد المهتمّين بكتابة تاريخ الشرق الأدنى القديم - إذ يرى "السوّاح أن جبل "يراكي" هو جبل "حارم" غربي حلب ، وجبل "ياتوري" هو "جبل الأقرع" الواقع إلى الشمال من مدينة اللاذقية وعلى بعد 50 كم منها .... أما نهر "سنجورا" فيرى "السوّاح" أنه نهر الكبير الشمالي القريب من اللاذقية أيضًا .... ويتابع "السوّاح" قائلا إن جبلي "سراتيني" و"دوباني" ليسا إلاّ جبل "الزاوية" في الجنوب الغربي من حلب ، وجبال العلويين أو جبال اللاذقية الواقعة بين سهل الغاب - وسط سوريا - والبحر المتوسط . وتبعًا لذلك يرى "السوّاح" أن حملة الملك الآشوري تركت "كونولو" واتجهت جنوبًا فعبرت العاصي إلى منطقة أنطاكية ومنها أخذت الطريق بين جبل يراكي وجبل ياتوري (أي حارم والأقرع حسب السواح) ثم قضت الليل عند نهر سنجورا (الكبير الشمالي حسب السواح أيضًا) وبعد ذلك أخذت الطريق بين جبلي

سراتيني ودوباني(الزاوية والعلويين كما يرى"السوّاح")وصولاً إلى جبل لبنان (1) وهكذا وبعد التدقيق في الطريق التي رسمها "السوّاح" للحملة الآشورية نجد أنه ارتكب عدة أخطاء تاريخية وجغرافية وطبوغرافية، فقد أغفل "السوّاح" المناطق والجبال المنتشرة من كونولو إلى حماة والتي ورد ذكرها في النص الآشوري وأثبت وجودها الباحث "دوسو" من خلال دراسة تاريخية طبوغرافية للمنطقة منذ عام 1927 م ... ، كما جعل "السوّاح" الحملة تسير بين جبال بعيدة جداً عن بعضها ، قسمٌ منها يقع خلف الضفاف الشرقية للعاصي ، والقسم الآخر يطل على البحر المتوسط (2) وهذا التحديد الجغرافي للجبال لا يمكن أن يرد في النص الآشوري ولا يمكن أن يرد إلاّ استناداً إلى خريطة "خاصة" الهدف منها إثارة القرّاء من خلال سهولة الطريق التي سلكتها الحملة الآشورية ووضوحها - وربما جماليتها - كمـــــا

---

1 - أنظر السوّاح فراس:"الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم" دمشق (بدون تاريخ) ص85...91 وللإشارة فهذا الكتاب ألّفه السوّاح ردًا على كتاب الباحث اللبناني كمال الصليبي : "التوراة جاءت من جزيرة العرب" ذلك الكتاب الذي ظهر عام 1985 وبأكثر من لغة ، وحاول السوّاح في كتابه تناول "المفاصل الرئيسية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وأهم مشكلاته" إلاّ أنه تاه في الطرق التي سلكتها الحملات الآشورية .

2 - حول جبال الزاوية والعلويين وحارم والأقرع التي ذكرها "السوّاح" أنظر :

- DUBERTRET, WEULERSSE : OP.Cit, P 16
- EDDÉ : OP.Cit : P50
- HAMIDÉ : OP.Cit : PP 32, 35
- DUSSAUD : OP. Cit : PP 146, 199, 423, 424, 425.

رسمها "السوّاح" دون أن يستند إلى أية معطيات (1) ...

وتصل حملة الملك آشور ناصربال الثاني إلى جبل لبنان والبحر المتوسط الذي يغسل فيه الملك أسلحته اتّباعًا للتقليد الآشوري القديم الرامز إلى القوة ... ويعدّد النص المدن الفينيقية التي أخذ منها الملك الآشوري الجزية وهي صور وصيدا وجبيل وأروادة ومحلاتة (Mahalata) و ميزا (Maisa) وقيزا (Kaisa) و أمورو (Amuru) ...

وحول مواقع المدن الأربع الأخيرة يتحدث الباحث "مسكاتي" قائلاً : إن "أمورو" إقليم لا محل له في قائمة المدن المذكورة وربما يكون إسمًا آخر لمدينة "سيميرا" – المذكورة في نص الملك "تجلت فلاصر الأول" – أما "محلاتة" و "ميزا" و "قيزا" فهي – حسب "مسكاتي" – مدن غير معروفة وتبقى محاولة التعرّف عليها مسألة

---

1 – ونحن نعتبر ذلك خرقًا للمبادىء التي يجب أن يتحلّى بها "كتّاب التاريخ" – طالما هم أرادوا ذلك – ومناسبة "للإشارة إلى أن عددًا كبيرًا جدًا من المؤلفات الخاصة بتاريخ الشرق الأدنى القديم هي مؤلفات غير خاضعة للرقابة العلمية ، تملأ دور كتب المشرق – خاصةً – ومكتباته ، وتجوب معارض الكتب المختلفة في العالم العربي كمواد لاستهلاك القراء – على اختلاف شرائحهم – وتسليط الأضواء على أصحابها على أنهم "مؤرخون" ، في الوقت الذي يقتصر فيه دور الجهات الرسمية على إصدار الكتيّبات و "النشريات السياحية " التي لا تفي بالغرض ، خاصةً فيما يتعلّق بالجديد ... وإننا إذ لا نغفل دور الأكاديميين في تقديم المادة التاريخية الموثوقة للقرّاء ، فإن بعض مؤلفاتهم لا تفي بغرض الباحثين وطلبة التاريخ، نظرًا لطيّها الكثير من الأحداث وإغفالها العديد من المعطيات وتجاوزها للتفاصيل التي بدونها لا تكتمل المعلومة التاريخية ، كما رأينا من خلال نص الملك آشور ناصربال الثاني ، وكما سنرى لاحقًا .

نظرية (1) ... إلاّ أن "دوسو" يتحدث عن إمكانية أن تكون المدن الثلاث أسماء لأحياء تكونت منها مدينة طرابلس اللبنانية قديمًا (2) ، وربما تكون "ميزا (Maisa) هي "إيميز" (Emése) القديمة أي "حمص" الحالية وسط سوريا (3) ...

ثم يغادر الملك الآشوري الساحل الفينيقي متجهًا نحو جبل "أمانوس" لقطع الأخشاب منه ، و"أمانوس" هو جبل "اللكام" بالعربية حسب "دوسو" الذي نقل عن الجغرافي العربي"الاصطخري" من كتابه "مسالك الممالك"-القرن العاشر الميلادي-(4) ويمتد الأمانوس من جبال طوروس - التي تفصل سوريا عن تركيا - باتجاه الجنوب ليتصل بالجبال السورية ويحيط بخليج اسكندرون ، ومن جنوب "أمانوس" يشق نهر العاصي طريقه إلى البحر المتوسط ليصب فيه (5) ... ولا بد أن طريق العودة الذي سلكته الحملة الآشورية من الساحل الفينيقي إلى آشور قد مرّ بمحاذاة المتوسط ، ثم من مدينة أنطاكية - على العاصي - تلك المدينة التي تمتد إليها طرق تعبر جبل أمانوس (6) الذي قصدته الحملة الآشورية .

وهكذا يبدو من النص السابق أن حملة الملك آشور ناصربال الثاني انطوت على إخضاع شمال سوريا ووسطها مع المنطقة الساحلية حتى مدينة صور ، ذلك أن

---

1 - مسكاتي ، سابتينو : الحضارة الفينيقية ، مرجع سبق كره ص 40 ، 41 .

2 - DUSSAUD : OP. Cit. P75

3 - Ibid. P 113

4 - DUSSAUD : OP. CIT P 146

5 - أنظر سعادة : المرجع المذكور سابقا ص 171 ، و حول جبل أمانوس أنظر :

- EDDÉ : OP . Cit. PP 51 , 53 .

6 - أنظر حتّي فيليب : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جـ 1 بيروت 1951 ص 33

الطريق الرابطة بين بلاد الرافدين وسوريا والبحر المتوسط كانت تتحكم بها الممالك الآرامية ، وكان لا بد من إخضاعها من أجل الوصول إلى الساحل الفينيقي ، وكانت الجزية علامة خضوع تلك الممالك التي لم يعمد الآشوريون إلى البقاء فيها طويلاً ... وبالرغم من خضوع تلك الممالك ومن بعدها المدن الفينيقية ، فإنه لم يرد ذكرٌ لقتال أو مقاومة مسلّحة - باستثناء "مدن لوحوتي" التي جاء في النص أن الملك الآشوري هدمها - ويؤكد ذلك الطابع الإقتصادي للحملة ، فقد تمّ التركيز في النص على البضائع التي حصلت عليها الحملة من الممالك الآرامية والمدن الفينيقية تلك البضائع التي تسلط الضوء على أمرين هامين أولهما التجارة والصناعة في المدن الفينيقية ، وثانيهما العلاقات التجارية بين المدن الفينيقية والممالك الآرامية ... فبالنسبة إلى التجارة والصناعة في المدن الفينيقية من خلال نص الملك آشور ناصربال الثاني ، يعدّد النص مكونات الجزية التي قدمتها المدن الفينيقية إلى الآشوريين وهي الفضة والذهب والرصاص والنحاس والألبسة الصوفية الملونة والكتّانية والقردة وأخشاب القيقب والبقس ، والعاج ... وهذه "السلع" منها ما هو مصنّع محليًا كالألبسة المصبوغة والخشب والعاج (1) ، ومنها ما يشير إلى تبادل تجاري مع مصر (الذهب والقردة والكتان) (2) ، ومع قبرص (النحاس) (3)

---

1 - أنظر مسكاتي : المرجع المذكور سابقا ص 41

2 - نفس المرجع والصفحة .

3 - لقد اشتهر الفينيقيون بتجارة النحاس مع قبرص حسب شواهد مدينة "قتيون" ، وقد تفطّن الملك الآشوري سرجون الثاني (721 - 705 ق م) لتلك التجارة فتحكّم بها لسد حاجات دولة آشور من هذا المعدن ، أنظر : Markoe / Phoenicians", OP, Cit P 42 - وما سيأتي لاحقًا ...

راجع أيضا الملحق الخاص بترجمتنا لكتاب ماركو .

وربما مع ترشيش (1) (الفضة والرصاص ...) .

أما بالنسبة إلى العلاقات التجارية بين المدن الفينيقية والممالك الآرامية فتطلعنا عليها مكونات الجزية التي حصل عليها الملك آشور ناصربال الثاني من تلك الممالك ، منذ عبوره الفرات وحتى عبوره العاصي إلى لبنان ، إذ تتشابه السلع الآرامية في النص مع السلع الفينيقية ... وإننا إذ لا نستطيع الجزم بوجود تبادل تجاري آرامي فينيقي - من خلال النص الآشوري ومن خلال تشابه السلع فإننا نستطيع الاعتماد على معطيات أخرى هامة منها أن مدينة صور - المذكورة في النص الآشوري إلى جانب الممالك الآرامية - كانت قد سجّلت في القرن التاسع ق.م توسّعًا كبيرًا في تجارتها ، وخاصةً مع ممالك سوريا الآرامية ، وتحديدًا في عهد الملك "أتبعل" (887 - 856 ق.م) (2) المعاصر -كما نرى- للملك آشور ناصربال الثاني (883-859 ق.م) الأمر الذي قد يبرّر تشابه السلع ويؤكد بالتالي وجود تبادل تجاري فينيقي آرامي في زمن حملة الملك الآشوري ....

ونستطيع أيضًا الاعتماد على معطيات سفر حزقيال في هذا الموضوع والذي جاء في أحد شواهده الموجّهة إلى صور ما يلي : "أرم سحرتك مرب معسيك ...." (3) أي : "آرام تاجرتُك بكثرة منتجاتك ...؟ وبالإضافة إلى هذا الشاهد من السفر المذكور ،

---

1 - راجع ما تقدم حول هذه المدينة في المبحث الخاص بمدينة صور ... أنظر حولها أيضًا : فنطر : الفينيقيون بناة المتوسط ، مرجع سبق ذكره ص 86 ، 87 .

وأيضًا : Markoe, OP, Cit. P 34

2 - Markoe. OP. Cit PP 37, 38 -

3 - حزقيال 27 : 16

نجد قائمة طويلة من ثروات صور وبضائعها تتشابه مع البضائع التي حصل عليها الملك الآشوري من الممالك الآرامية مثل الفضة والذهب والحديد والنحاس والرصاص والعاج والألبسة الأرجوانية والكتانية والصوفية والخمر (1) ...

وأخيراً نلاحظ من خلال النص السابق أن الحملة الآشورية لم تقطع أخشاب الأرز من جبل لبنان بل من جبل الأمانوس وفي طريق عودتها إلى آشور ، إلاّ أن نصّاً آخر للملك آشور ناصربال الثاني يشير إلى قطع أخشاب الأرز وغيره من جبل لبنان ، وهذا النص مسطورٌ على حجرين كلسيين محفوظين في المتحف البريطاني، ويتحدث عن تشييد آشور ناصربال الثاني لمدينة بلوات (إمجوربل) والمعبد الذي بناه فيها ... جاء في النص : (... صعدت إلى جبل لبنان وقطعت أخشاب الأرز والسرو والعرعر ، وسقفت المعبد بألواح الأرز ، وصنعت مغاليق الأبواب من خشب الأرز وغلّفتها بالنحاس) (2) .

ومن بين نصوص الملك آشور ناصربال الثاني الخاصة بحملته إلى المتوسط نص التماثيل المسطورة للحيوانات الضخمة والتي عثر عليها في كلخو - العاصمة الآشورية الجديدة ، وفي هذا النص تكرار لما جاء في النص الأول - نص معبد أورتا - إلاّ أنه يعدّد بعض أنواع الحيوانات التي غنمتها الحملة من المنطقة : (... صعدت إلى جبل لبنان والبحر العظيم ... وتلقيت الجزية من ملوك الصوريين والصيداويين والأموريين والجبليين والحلاتيين (نسبة إلى محلاتة) والقيزيين

1- راجع الاصحاح 27 من سفر حزقيال ... راجع أيضاً البضائع المذكورة في نص الملك آشور ناصربال الثاني .

2- ARAB. I, 535, 538

(نسبة إلى قيزا) والميزيين (نسبة إلى ميزا) ومن أروادة ... وغنمت الدلافين والأسود والنمور والثيران والتيوس والذئاب والحمير الوحشية والطيور ، وجلبتها معي إلى مدينتي كلخو) (1) .

هكذا نلاحظ من خلال النصوص التابعة لحوليات الملك "آشور ناصر بال الثاني" أن حملته إلى الساحل الفينيقي - والتي مرّت بسوريا الآرامية - كانت حملةً مكتملة الجانب الإقتصادي وعكست من نواحي أخرى قوة الدولة الآشورية ، إذ لم تتعرّض هذه الحملة إلى متاعب تُذكر رغم العداوة بين الآشوريين والآراميين ، إلاّ أن السنوات التالية لحكم الملك آشور ناصربال الثاني حملت بعض المتاعب لابنه وخليفته " شلمنصر الثالث" الذي واجه أكبر تحالف عسكري في تاريخ المنطقة ، قاده الآراميون لصد الزحف الآشوري الذي أنهك اقتصاد الممالك الآرامية - خاصّةً - وفرض واقعًا آشوريًا في المنطقة لم يكن في مصلحة الآراميين .

3 - شلمنصر الثالث (858 - 824 ق.م) :

اعتلى شلمنصر الثالث عرش آشور بعد أبيه آشور ناصربال الثاني الذي فتح أمامه الطريق نحو سورية والساحل الفينيقي ، وقام شلمنصر الثالث بدوره بتأمين حدود المملكة الآشورية والسيطرة على معابر الفرات وإضعاف الممالك الآرامية (2) ...

وتفيد حوليات هذا الملك أنه - ومنذ السنة الأولى من حكمه - عبر الفرات ووصل

---

1 - ARAB, I, 514, 518

2 - حول هذا الموضوع راجع كلاًّ من :

- Oppenheim : Ancient Mesopotamia ; OP. Cit. PP. 168, 169.

- Oates, Babylon, OP. Cit. PP 108, 109 .

إلى البحر المتوسط – حيث غسل أسلحته – وقطع أخشاب الأرز والسرو من جبل الأمانوس (1) ...

ويبلغ عدد المرّات التي عبر فيها الملك الفرات خمسًا وعشرين مرة حسبما تشير حولياته (2) ، وكان هدف الحملات التي قادها بنفسه هو الوصول إلى سواحل المتوسط والسيطرة على سوريا الآرامية ، وقد أفلحت جهوده منذ السنوات الأولى ، فتمكن من إخضاع مملكة "بيت عديني" (تل برسيب) وذلك باحتلالها في السنة الثالثة من حكمه وتحويلها إلى مقاطعة آشورية وتغيير إسمها إلى "كارشلمنصر" أي حصن شلمنصر (3) . وقد أضحت هذه المقاطعة موقعًا متقدما للآشوريين علي الفرات لشن هجماتهم على المواقع الآرامية بغية السيطرة عليها وتأمين طرق المواصلات من آشور إلى الساحل الفينيقي .

وتعتبر السنة السادسة من حكم الملك شلمنصر الثالث سنة الأحداث الكبرى في الشرق الأدنى – حسبما تشير إليه الحوليات – وقد تجلّت تلك الأحداث في معركة "قرقر" (4) التي جرت عام 853 ق م بالقرب من مدينة حماة السورية ... وفي

---

1 - ARAB, I, 558

2 - راجع ... ARAB, I, 599

3 - ARAB, I, 602

4 - وموقع قرقر حاليًا هو تل كركور شمالي الغاب وإلى الجنوب من بلدة جسر الشغور ، نقّبت فيه بعثة أميركية في التسعينات دون التوصّل إلى نتائج . أنظر : البنّي عدنان : بحث بعنوان : "أعمال التنقيب السورية في تل سيانو" أُعد للندوة العالمية حول تاريخ سوريا والشرق الأدنى القديم ، 3000 – 300 ق م. التي نظمتها جامعة حلب بالتعاون مع جامعة روما (17 – 20 أكتوبر 1992) ... وقد نشر في مجلة دراسات تاريخية عدد 45 / 46 أكتوبر 1993 جامعة دمشق . ص 162 .

هذه المعركة واجه جيش الملك شلمنصر الثالث تحالف اثني عشر جيشًا من سوريا الآرامية والساحل الفينيقي وأرض كنعان ومملكة إسرائيل والعرب (1) ...

وتقدّم تفاصيل هذه المعركة التي وردت في نص للملك شلمنصر الثالث معلومات هامة عن المدينة الكنعانية الفينيقية تتعلّق بالحياة العسكرية والوضع السياسي فيها ، وفيما يلي هذا النص الذي عُثر عليه في "كلخو" مسطورًا على مسلّة من المرمر عُرفت بالمسلة السوداء ، وأودعت في المتحف البريطاني (2) .

نص معركة قرقر :

{ ... خرجت من نينوى وعبرت نهر دجلة متقدّمًا نحو مدن البليخ ، ثم عبرت الفرات إلى كركميش وأخذت من حاكمها الجزية ، واتّجهت بعد ذلك إلى حلمان (حلب) وقدمت القرابين لإلهها أدد ، ومن حلب توجّهت إلى مدن "إرخوليني" – ملك حماة – ... ثم تحرّكت نحو قرقر التي دمّرتها وأحرقتها بالنار ... وكنت قد واجهت فيها : 1200عربة و 1200 فارس و20,000 جندي لِـ"هدد عزر" ملك آرام (دمشق) ، و700 عربة و700 فارس و 10.000 جندي لِـ "إرخوليني" ملك حماة ، و 2000 عربة و 10.000 جندي لِـ أحاب الإسرائيلي ، و500 جندي من "قوية" و 1000

---

1 – حول معركة قرقر أنظر :

- Mitchell. T.C : OP.Cit P489 .
- Peter. Parr : OP.Cit. P 196.
- ARAB, I, 610, 611
- Stern. Ephraim : "How bad was Ahab?" in (B.A.R) Vol.19, N. 2, 1993 P25.

2 – حول المسلة السوداء (Black Obelisk) أنظر ARAB, I, 553

جندي من "موصري" ، و 10 عربات و 10.000 جندي من عرقاتة ، و 200 جندي لـِ "متن بعل ملك أروادة "، و 200 جندي من " أوشناتو" ، و 30 عربة و 000.{...} جندي لأدن بعل السيني ملك سيانو ، و 1000 جمل لـِ جنديبو العربي ، و 000 {...} جندي لـِ "بعشا بن رحوبي" ، والعموني... ولكن بالقوة الجبّارة التي منحني إياها الإله آشور دحرتهم وقتلت من محاربيهم أربعة عشر ألفًا ، نثرت جثثهم بعيدًا وجعلت دماءهم تسيل في الوديان ومددت أجسادهم جسرًا على العاصي وغنمت منهم عرباتهم وخيّالتهم وخيولهم } (1) .

نلاحظ من النص السابق أن الممالك الآرامية السورية - وبالأخص دمشق وحماة - أرادت وضع حد للتدخل الآشوري في المنطقة بما في ذلك من حملات سنوية وفرض للجزية ، وذلك من خلال تحالف دولي كبير ضمّ ممالك ترتبط فيما بينها بعلاقات سياسية ومصالح تجارية، ويبدو أن الممالك الآرامية قد أعدّت بشكل جيد لهذا التحالف في الوقت الذي لم يكن فيه مفاجئًا للآشوريين الذين زحفوا نحو قرقر للقاء الجيوش المتحالفة ، بعد تقديم القرابين في حلب لإلهها "أدد" - كحركة لإضفاء الشرعية على الحملة - وإخضاع المدن التابعة "لإرخوليني" ملك حماة وأحد أعضاء حلف قرقر .

ويبدو من النص - ومن نصوص أخرى - أن مملكة دمشق هي التي قادت التحالف ضد الآشوريين ، سيما وأن الملك شلمنصر الثالث هاجم دمشق أكثر من مرة بعد معركة قرقر وتمكّن من إخضاعها (2) ... ويُلاحظ أن الملك آحاب الإسرائيلي قد شارك في التحالف بعدد كبير من العربات والجنود إلى جانب دمشق وحماة وبقية

---

1) ARAB, I, 610, 611

2) أنظر ... ARAB, I, 663, 667, 668, 672,

أعضاء الحلف (2000 عربة و 10.000 جندي لآحاب مقابل 1900 عربة و 30.000 جندي لدمشق وحماة و 40 عربة (فينيقية) وحوالي 15.000 جندي لبقية أعضاء الحلف ... الأمر الذي يطرح تساؤلاً كبيرًا ، فمن هو آحاب الإسرائيلي لكي يدفع بجيش كبير العدد والعدة إلى معركة آرامية - آشورية أصلاً ؟ وكيف ظهر إسمه فجأة في حدث هام من أحداث الشرق الأدنى القديم ، في الوقت الذي لم تظهر فيه على ساحة الأحداث سوى أسماء الممالك الآرامية والفينيقية - طبعًا فيما يتعلق بالحملات الآشورية إلى المنطقة - ... ؟

يحيلنا ظهور إسم "آحاب" مع أسماء الملوك الآراميين والفينيقيين المتحالفين ضد الآشوريين إلى مراجعة المعلومات الخاصة بالملك آحاب وعلاقته بالممالك الآرامية والفينيقية في ضوء العهد القديم ، فبدون هذه المعلومات لا يمكننا تفسير ظهور إسم "آحاب" في النص الآشوري ، إذ أن علاقة آحاب بأحداث الشرق الأدنى تنطلق من علاقة زواجه "بإيزابل" الفينيقية إبنة "أتبعل" ملك صور ، تلك العلاقة التي تناولها كتّاب العهد القديم في إطار هجومهم على عبادة الإله بعل وانتشارها بين صفوف بني إسرائيل وحكامهم (1) .

وحسب العهد القديم تولّى آحاب عرش"إسرائيل" في السامرة اثنتين وعشرين سنة (2)،ويقدّر الباحثون في الكتاب المقدّس أن السنة التي تولّى فيها هي سنة 875ق م (3) وذلك استنادًا إلى حسابات خاصة بمعلومات العهد القديم تنطلق

---

1) راجع تفاصيل ذلك في المبحثين الخاصين بكل من الإله بعل والإلهة أشرة في جزء "الحياة الدينية" من هذه الأطروحة ...

2) ملوك أول 16 : 29

3 - أنظر عبد الملك بطرس ، طمسن ، جون : قاموس الكتاب المقدس ص 30 .

من حكم سليمان ثم انفصال المملكة بعده إلى مملكتين . وإذا كانت سنة 875 ق م هي سنة تولّي آحاب عرش السامرة فإن آخر سنة من حكمه - أي سنة 853 ق م - هي السنة التي جرت فيها معركة "قرقر" ... وحسب العهد القديم - مرةً أخرى - فقد قُتل آحاب على يد الآراميين في موقعة "رموت جلعد" (1) شرقي الأردن ، وقد كانت هذه المدينة موضع خلاف بين الآراميين وبني إسرائيل (2) ... إذًا فقد جاء موت آحاب مباشرة بعد معركة قرقر وعلى يد حلفائه في هذه المعركة ، ومما يلفت الإنتباه أن آحاب استُهدف وحده بالقتل من قبل "ملك آرام" في "رموت جلعد" علمًا أنه دخل الحرب ضد الآراميين في الموقعة المذكورة جنبًا إلى جنب مع"يهوشفط"ملك يهوذا (3) وفي ضوء هذه المعلومات نستطيع الحديث عن إمكانية استخدام آحاب من قبل ملك دمشق الآرامي في الحرب ضد الآشوريين ثم تصفيته بعد ذلك في "رموت جلعد" خلال محاولته لاستردادها ، وبذلك يتنصّل ملك آرام (دمشق) من العهود المبرمة مع آحاب ومنها إعطاء بعض المدن لإسرائيل وإقامة علاقات تجارية بين الطرفين (أسواق إسرائيلية في دمشق وأسواق آرامية في السامرة) (4) ويعتمد ملك دمشق في سياسته هذه على استغلال الخلاف المستمر بين مملكتي يهوذا وإسرائيل (5) ، ومع ذلك فحين تصالح "آحاب" و "يهوشفط" أمر ملك دمشق

---

1) حول موقعة "رموت جلعد" راجع الإصحاح 22 من سفر الملوك الأول .

2) ملوك أول 22 : 3

3) ملوك أول 22 : 29 ، 30

4) ملوك أول 20 : 34

5) حول هذا الموضوع راجع ما تقدم في المبحث الخاص بمدينة "لايش"

جنده بقتل آحاب فقط ... وتحمل رواية موت آحاب في العهد القديم بعض المعلومات بين سطورها تدعونا إلى الشك ، فمحاولة آحاب استرداد "رموت جلعد" من الآراميين بالإشتراك مع يهوشفط ملك يهوذا ، كانت لنيل رضا بني إسرائيل وأنبيائهم الذين غضبوا على آحاب بسبب زواجه من أميرة فينيقية واتّباعه عبادة الآلهة الفينيقيين ... فاتفق آحاب مع يهوشفط على أن يرتدي هذا الأخير اللّباس الملكي الإسرائيلي في معركة "رموت جلعد" بينما يتنكّر آحاب ويدخل المعركة ... وبما أن ملك دمشق أمر جنده بقتل "ملك إسرائيل" وحده ، أمسك الجند يهوشفط ... وقبل أن يقتلوه صرخ ، فعرفوا أنه ليس الملك المطلوب ورجعوا عنه ... وفي تلك الأثناء سدّد أحد الجند الآراميين سهمًا تجاه آحاب المتنكّر فأرداه قتيلاً (غير متعمد حسب كاتب السفر) (1) ...

ونحن نرى من هذه الرواية أن كلاًّ من الملكين أراد توريط الثاني في المعركة ليتخلّص منه ويعود منتصرًا إلى "إسرائيل" ... فقام يهوشفط بكشف أمر آحاب وتسبّب في قتله بعد أن كاد يهلك باللباس الملكي ولو لم يكن يهوشفط على علم مسبق بقرار ملك دمشق القاضي بقتل آحاب فقط لما صرخ حين وقع بأيدي الجند الآراميين ، وبالتأكيد دلّهم على آحاب المتنكّر فقتلوه بسهم ... أما كاتب السفر فيذكر أن رامي السهم لم يتعمد قتل آحاب لأن هذا الكاتب متعاطف - برأينا - مع "يهوشفط" ، فيهوشفط بالنسبة إلى كتّاب العهد القديم هو ملك يهوذا "التقي" الذي لم يُغضب يهوه : (ويهي يهوه عم يهوشفط كي هلك بدركي دويد ... ولا درش لبعليم ، ويجبه لبو بدركي يهوه وعود هسير إت هبموت وإت هأشريم ميهوده) (2) أي :

---

1) ملوك أول 22 : 34

2) أخبار الأيام الثاني 17 : 3 ، 6

وكان "يهوه" مع يهوشفط لأنه سار على دروب داود ... ولم يطلب "البعول" ، وتقوّى قلبه في دروب يهوه فأزال "المرتفعات" وتماثيل "أشره" من يهوذا .

وهكذا يؤكد الشاهدان السابقان تعاطف كتّاب العهد القديم مع يهوشفط – ملك يهوذا – في الوقت الذي حورب فيه آحاب – ملك إسرائيل –الذي أدخل إليها عبادة "بعل" و"أشرة" عن طريق زوجته الفينيقية (1) .

وقد وضعت معركة "رموت جلعد" حداً لحياة آحاب بطريقة "شرّعها" كاتب سفر الملوك الأول ، فقد انتهت المعركة بموت آحاب ودفنه في السامرة بعد أن لحست الكلاب دمه (2) ، دون أن يسترد الإسرائيليون "رموت جلعد" من الآراميين ، وليستمر بعد ذلك يهوشفط بحكم يهوذا .

نستنتج مما سبق من معلومات أن ملك دمشق الآرامي كان يستغل الوضع الداخلي في المملكة المنقسمة التي عاصر فيها أكثر من ملك ليهوذا وإسرائيل كما أفاد من استياء المتشدّدين الإسرائيليين من آحاب فربحه حليفاً في معركة قرقر مقابل وعود لم يحققها له ... ومن الجدير ذكره أن العهد القديم لم يتحدث عن معركة قرقر ولم يذكر مشاركة آحاب في قوات التحالف ضد الآشوريين ، ولو جاء ذكر هذه المعركة في العهد القديم لكان بمثابة إعادة الحلقة المفقودة إلى الروايات المتعلّقة بالملك آحاب وعلاقته بآرام دمشق ويهوذا ، تلك العلاقة التي يكتنفها الغموض نوعاً ما ... ويعزو الباحث الإسرائيلي "افرايم سترن" -Ephraim Stern- عدم الحديث عن معركة قرقر في العهد القديم ومشاركة جيش آحاب فيها إلى جانب الآراميين ، يعزوه إلى استنكار الكاتب التوراتي مشاركة آحاب في هذا التحالف ، إلاّ أن "سترن" يشيد – من ناحيته بالملك آحاب – ملك إسرائيل المحتقر حسب تعبيره – ويتحدث

---

1) راجع مبحثيْ الإلهين بعل وأشرة في "الحياة الدينية"

2) ملوك أول 22 : 38

عن موته "البطولي" في معركة "رموت جلعد" قائلا : إن الملك آحاب أبى مغادرة ميدان المعركة (1) .. وتلك قراءة خاطئة لشواهد سفر الملوك . وفيما يخص مشاركة آحاب في التحالف ضد الآشوريين في قرقر ، بقي أن نشير إلى أن علاقة المصاهرة التي ربطته بأتبعل ملك صور من خلال زواجه بابنته "إيزابل" - لم تقدّم فائدة إلى ملك دمشق الآرامي في جهوده لجمع جيوش المنطقة ضد جيش الملك الآشوري "شلمنصر الثالث إذ لم نلاحظ مشاركة جيش صور أو صيدا أو جبيل في قوات التحالف الأمر الذي يؤكد وقوف المدن الفينيقية الكبرى على الحياد في هذه المعركة ويعزّز رأينا السابق في أن آحاب تمّ "استخدامه" في قرقر من قبل ملك دمشق قائد التحالف ... فلو كان الأمر يتعلّق "بمصير مشترك لجميع ممالك المنطقة - بما فيها الممالك الفينيقية الكبرى - لكانت صور وصيدا في مقدمة المشاركين بمعركة قرقر ... إلاّ أن المشاركة الفينيقية اقتصرت على أربع ممالك واقعة في الإقليم السوري - وربّما تحت سيطرة آرامية - وهذه الممالك هي : "عرقاتة" و "أروادة " و " أوشناتو" و "سيانو" - حسب النص الآشوري - وبالنسبة إلى عرقاتة (تل عرقة) فقد شاركت في قوات التحالف بعشر عربات وعشرة آلاف جندي ، وهي مدينة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة طرابلس اللبنانية وعلى بعد 12 كم عن البحر المتوسط ، وقد عرفت المدينة ازدهاراً في النصف الأول من الألف الثاني ق م (2)، واحتل ميناءها الفرعون المصري

تحوتمس الثالث (1468 - 1436 ق م) في آخر حملة له على سورية (3) وتمّ

---

1 - Stern. Ephraim : "How bad was Ahab ?" in (B.A.R) Vol 19, N° 2 1993 P 25

2 - Markoe : Phoenicians, OP. Cit P 204 .

3 - عبد الحميد محمود : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية . مرجع سبق ذكره ص 169

تدميرها في هذه الحملة ، فهُجر موقعها لفترة طويلة ، وقد كشفت التنقيبات الحديثة آثار استيطان في الموقع تعود إلى عصر الحديد الثاني (بدءًا من القرن التاسع ق م وحتى القرن السابع ق م) (1) . وللإشارة فقد ورد ذكر "العرقي" (هعرقي) في سفر التكوين كأحد أبناء كنعان (2) ، أما أروادة التي ورد ذكر ملكها "متن بعل" (3) بين الملوك المتحالفين في قرقر فقد كانت مشاركتها بسيطة في التحالف (200 جنديًا فقط) وذلك على غرار مملكة أوشناتو المذكورة في النص الآشوري ، و"أوشناتو" مملكة كنعانية فينيقية صغيرة تقع في التخوم الجنوبية لمملكة أوجاريت ، كانت ترد في النصوص الأوجاريتية ملازمة لمملكة "سيانو" ، ولم يحدّد الآثاريون موقعها بدقة (4) ... أما "سيانو" التي شاركت في التحالف بثلاثين عربة وحوالي ألف جندي وورد ذكر ملكها الكنعاني الفينيقي "أدن بعل" فهي مملكة كنعانية فينيقية أيضًا تقع جنوبي أوجاريت وشرقي مدينة جبلة السورية وعلى بعد 8 كم منها ، وكانت ترتبط مع أوجاريت بعلاقات وطيدة بدت من خلالها سيانو مملكة تابعة لأوجاريت ، ولكن في النصف الثاني من القرن الرابع

---

1 - Markoe, OP. Cit P 204.

2 - تكوين 10 : 17

3 - يجدر بالذكر أن إسم "متن بعل" هو أحد الأسماء الثيوفورية التي كانت دارجة في العالم الفينيقي والبوني ، كما نجد متن قد اشترك مع إسم الإله كيشر لتركيب أحد أسماء الأعلام في قرطاجة "متن كيشر" (أنظر C.I.S.,I, 3261) .

4 - أنظر حولها البنّي : "أعمال التنقيب السورية في تل سيانو" مرجع سبق ذكره ص 151 .

عشر ق م - ومع ازدياد النفوذ الحثّي في شمال سورية - تحولت سيانو في التبعية من أوجاريت إلى كركميش التي جعل منها الحثيون مركزاً على الفرات للتدخل في الشؤون السورية ، وقد فرض الملك الحثي مرسل الثاني (مرشيليوش) - 1350 - 1315ق م - فرض حدوداً تفصل بين مملكة أوجاريت ومملكة سيانو - ومعها أوشناتو سابقة الذكر - الأمر الذي أضرّ بالخزينة الأوجاريتية ، مما دعا أوجاريت إلى الإحتجاج لدى الحثيين والتلكؤ في دفع الجزية لهم ، سيما وأن جزءاً من مداخيل المملكتين الصغيرتين قد تحوّل إلى كركميش والحثيين ، فتم تخفيض جزية أوجاريت من قبل الملك الحثّي (1) .

ويظهر من خلال بعض المراسلات الحثية الأوجاريتية إسم أحد ملوك سيانو وهو "عبد عناة " ، وعناة { (عنت) إلهة كنعانية معروفة في أوجاريت وفي "أرض كنعان" (2) ... ومن خلال إسم ملك سيانو (أدن بعل) الوارد في النص الآشوري نتعرف على إلهين كنعانيين عُبدا في سيانو ، وفي مطلع القرن الثاني عشر ق م تنهار مملكة أوجاريت ومعظم ممالك الساحل الكنعاني وتختفي ، إلاّ أن سيانو تظهر في القرن التاسع ق م وتحديداً في نص معركة قرقر باسم "شياني" ومعها أوشناتو باسم "أوسنو" (3) .

---

1 - أنظر اللمحة التاريخية عن المملكة في البنّي : المرجع السابق الذكر ص 153 - 157 ..

2 - راجع المبحث الخاص بالإلهة "عناة" في جزء "الحياة الدينية" ...

3 - ARAB, I, 610, 611

ويجدر بالذكر أن سفر التكوين يجعل من السيني (هسيني) نسبةً إلى سيانو - أحد أبناء كنعان (1) .

وأثريًا ، يعد تل سيانو واحدًا من أكبر خمسة تلال أثرية على الساحل السوري ، تبلغ مساحته حوالي عشرة هكتارات ويرتفع عن سطح البحر حوالي 148 مترًا ، وأول من قدّر أنه عاصمة مملكة سيانو - من خلال زيارة استكشافية - هو إميل فورير (E.Forrer) وذلك عام 1934 م ، إلاّ أن أعمال التنقيب لم تنطلق في الموقع إلاّ عام 1990 ، وذلك من قبل بعثة أثرية سورية ترأسها الباحث عدنان البنّي ، ولم تتوصل البعثة خلال ثلاثة مواسم من التنقيب إلى نتائج توائم ما عُرف من تاريخ سيانو من خلال الوثائق الكنعانية والحثية والمصرية والآشورية ، فما أظهرته التنقيبات في المواسم الثلاثة سويتان هما الرابعة - حسب تسمية الباحث البني - والسادسة وقد كُشف في السوية الرابعة جزء أساسي من منشأة حصينة تراوحت سماكة جدرانها بين 210 و 250 م كانت بداية إنشائها في مطلع عصر الحديد الثاني (القرن 8 ق.م) وأضيفت إليها بعض التعديلات في عصر الحديد الثالث (القرن الخامس ق م) ، وحسب البنّي ، فإن نماذج الفخّار المكتشف قد تشير إلى أن المنشأة المذكورة هجرت في القرن الرابع ق م ... أما السوية السادسة - التي تركّزت فيها أعمال التنقيب - فتعود إلى عصر البرونز القديم الثالث والرابع (الألف الثالث ق م) ، وقد قدّمت أوان فخارية جيّدة الشي وذات رنين معدني ، استُخدم الرمل الأبيض في عجينتها ، وتراوحت ألوانها بين الزهري والرمادي والسكّري الفاتح ،

---

1 - تكوين 10 : 17

كما عثر في هذه السوية على فخّار رقيق مائل للحمرة وآخر مزيّن بشرائط سوداء (1) ...

وقد واصلت البعثة السورية أعمال التنقيب في الموقع وتمكنت لغاية الموسم الحادي عشر - عام 2000 - من العثور على قناة مائية حجرية وثلاث معاصر زيت حجرية وتمثالاً عارياً للإلهة عشترت ونصل فأس برونزية تعود إلى أواخر عصر البرونز الحديث (1600 - 1200 ق م) (2) ...

وهكذا نجد من خلال المشاركة الفينيقية الضعيفة في التحالف ضد الآشوريين أن الحملات الآشورية لم تكن تشكّل خطراً كبيراً على الفينيقيين الذين التزموا الحياد في ممالكهم الكبرى تجاه قرقر ، بينما لجأت ممالكهم الصغرى إلى المشاركة الرمزية - وربّما بضغط من ملكيْ دمشق وحماة الآراميين - بسبب وقوع هذه الممالك في الإقليم السوري .

---

1) يجدر بالذكر أننا اعتمدنا دراسة الباحث البنّي لتقديم لمحة أثرية عن الموقع بسبب صعوبة الإطّلاع عن كثب على التنقيبات في الموقع أو حتى على التقارير الأثرية الخاصة بالحفريات التي تقوم بها المديرية العامة للآثار والمتاحف ، سيما وأن مجلة الحوليات الأثرية السورية وهي المجلّة المتخصصة بنشر تقارير الحفريات ونتائجها في سوريا ، هي مجلة متوقفة عن الصدور تقريباً (عدد واحد وخاص خلال سبع سنوات ...) ... أنظر البنّي : المرجع السابق ص 158 - 161 .

2) وردت هذه المعلومات ضمن "خبر أثري" مقتضب نُشر في صحيفة الثورة السورية الرسمية الصادرة بتاريخ 13 - 10 2000 - عدد 11301 ص 5 .

ويثير الإنتباه في نص معركة قرقر أول ذكر "للعرب" في التاريخ القديم (1) من خلال مشاركة جنديبو العربي بألف جمل إلى جانب قوات التحالف ضد الآشوريين، وتشير هذه المشاركة بالجمال إلى طابع البداوة للعرب المذكورين الذين لم يذكر النص الآشوري من أين أتوا ، إلاّ أن الباحث "سترن" يرى أنهم أتوا من شبه الجزيرة العربية (2) (السعودية حاليًا) ومن بين المشاركين في تحالف قرقر ضد الآشوريين ألف جندي من "موصري" (Musri) ، ويرى "سترن" – دون غيره من الباحثين – أن موصري هي مصر (3) أما "قوية" التي شاركت بخمسمائة جندي فتقع على الشاطىء الشمالي للبحر المتوسط (4) .

وأخيرًا فقد ورد بين أسماء المتحالفين إسم بعشا بن رحوبي والعموني ، ورحوبي هو نسبة إلى بيت رحوب ، وهي مشيخة آرامية امتدت ربوعها بين نهري الزرقاء

---

1) هناك إشارة إلى مجتمع شبه الجزيرة العربية وردت في أوديسة هو مروس (القرن التاسع ق م أيضًا) ... وأول ذكر مفصّل عن بلاد العرب ورد عند هيرودوتس في القرن الخامس ق.م ، فعرّف كلمة "أرابيا" على أنها أقصى البلاد المأهولة في العالم من ناحية الجنوب ، وضمّنها – إضافة إلى شبه الجزيرة العربية – كلاً من بادية الشام وسيناء وصحراء مصر الشرقية ... أنظر : العابد مفيد رائف : بحث بعنوان : "حول مصادر تاريخ العرب القديم" ، مجلة دراسات تاريخية – العدد السادس جامعة دمشق 1981 ص 135 .

2) Stern : OP. Cit. P. 25

3) Ibid

4) أنظر حولها : أبو عساف علي : الآراميون ، تاريخًا ولغةً وفنًا" دمشق 1988 ص 55 .

واليرموك (1) (الأردن) ، أما العموني فنسبة إلى عمون الواقعة شرقي نهر الأردن (2) ، وللإشارة فقد ورد ذكر بيت رحوب وعمون في العهد القديم في تحالف ضد داود (3) ...

وختاماً ، فإن القوات التي جمعها ملك دمشق الآرامي في قرقر لم تفلح في وضع حد للتدخل الآشوري في المنطقة وذلك استناداً إلى نتيجة المعركة حسب النص الآشوري ، وإلى مجرى الأحداث بعد المعركة مباشرة وفي السنوات التي تلتها إذ تصاعدت حركة التدخل الآشوري ضد دول التحالف السابق -كما سنرى في بقية الحوليات- .

---

1 - أبو عساف علي : المصادر القديمة في تاريخ دمشق " بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية العددان 41 , 42 جامعة دمشق 1992 ص 73 .

2 - صايغ أنيس : قاموس الكتاب المقدّس ص 640

3 - أنظر صموئيل الثاني 10 : 6 - 19

وتطلعنا الشواهد المذكورة في سفر صموئيل الثاني على علاقة هامة ربطت بين العمونيين أحد شعوب أرض كنعان وبين الآراميين (آرام بيت رحوب وآرام صوبا) ... وهذه العلاقة هي جزء من العلاقات التي ربطت الممالك الآرامية بالكنعانيين والفينيقيين ، الأمر الذي أشارت إليه الحوليات الآشورية بتفاصيل أكثر ...

وقد اشتُهر العمونيون في العهد القديم بحربهم المستمرة ضد بني إسرائيل وعقدهم التحالف تلو الآخر لقتالهم ، فإلى جانب أحلافهم مع الآراميين ، تحالفوا مع المؤابيين والعمالقة وبادروا بالتصدّي لغزو يشوع كما رأينا في الفصل السابق .

ومهما كانت نتيجة المعركة (1) فقد تعرّفنا من خلالها على الوضع السياسي في الشرق الأدنى في منتصف القرن التاسع ق م ولا سيما الحالة السياسية التي كانت تعيشها المدن الفينيقية ، فالكبرى منها تمتّعت باستقلال سياسي - بوقوفها على الحياد - أما الصغرى فيبدو أنها كانت خاضعة لضغوط ملوك المدن الآرامية المسيطرة في سورية . كما تعرفنا على بنية الجيوش - آنذاك - ومن بينها الجيوش الفينيقية ، وفضلاً عن ذلك فقد عرّفنا النص الآشوري - وهو الوحيد حول المعركة - على أربع ممالك فينيقية أثبتت وجودها معطيات تاريخية وأثرية ، وكان لا بد من ذكر بعض التفاصيل لمعرفة أسباب اقتصار المشاركة الفينيقية على أربع ممالك صغيرة فقط .

---

1) يرى معظم الباحثين العرب الذين تناولوا معركة قرقر بالدرس أنها معركة بلا نتائج ، وذلك دون أن يقدّموا مبررات واضحة للحكم على النص الآشوري بهذا الرأي ، علمًا أنهم أقصوا عديد المعلومات من النص ، فقدموه للقارىء على أنه نص معركة بين قوات تحالف آرامية (فقط) ضد الآشوريين . ونحن نرى أن أية دراسة تتناول معركة قرقر دون ذكر القوات المتحالفة الرئيسية فيها وظروف مشاركتها وكيفيتها ، هي دراسة ناقصة وتندرج ضمن إطار الدراسات التي تحجب المعلومات الخاصة بالحدث الآشوري في المنطقة ، وحجب المعلومات - مهما كانت خطورتها - إنما يسيء إلى الهدف من كتابة التاريخ بل ويزيد تلك المعلومات خطورة - إن صحّ التعبير - في حال وقعت عين القارىء عليها صدفة أو تناولها بطريقة غير منهجية ... ونحن نتحدث هنا عن التغطية على مشاركة "آحاب" في التحالف ، فإخراجه من النص الآشوري - ومن قبل معظم الدراسات العربية - يعكس تهرّب الباحثين من مسؤولياتهم تجاه حدث معقّد له جذوروتفاصيل ضمن ملف آرامي فينيقي - توراتي - كما رأينا - ، وقد تبيّن لنا - من خلال دراسة النص الآشوري - أن مشاركة "آحاب" في التحالف لا تشير بالضرورة إلى وجود "علاقات وطيدة" بينه وبين بقية المتحالفين ، وقد لمسنا ذلك من الإستنتاج بأن آحاب تم "استخدامه في المعركة ثم التخلّص منه بعدها بقرار من ملك دمشق الآرامي .

ومن النصوص الهامة للملك شلمنصر الثالث ، نص يعود إلى سنة 842 ق.م أي إلى السنة الثامنة عشرة من حكمه ، وقد جاء في النص : (في السنة الثامنة عشرة من حكمي عبرت الفرات للمرة السادسة عشرة ... وهزمت "حزه إل" ملك آرام (دمشق) الذي تحصّن في جبل سنير (حرمون) (1) المطل على لبنان ، ثم حاصرته في دمشق .... وزحفت نحو جبل حوران ... وتابعت المسير إلى "بعلي رأسي" - وهو رأس في البحر - وأقمت صورتي هناك ، وحينذاك تلقيت الجزية من رجال صور وصيدا ومن "ياهو بن عمري" ...) (2) .

يؤكد لنا هذا النص أن حملات الملك شلمنصر الثالث استمرت على المنطقة رغم المقاومة الآرامية ، وللوصول إلى لبنان كان لا بد للملك الآشوري من إخضاع "حزه إل" ملك دمشق وخليفة هددعزر" (3) ، فتمكن من ذلك وزحف من منطقة حوران - جنوبي دمشق - باتجاه "بعلي رأسي" - وهو رأس الناقورة حاليًا (4) (أنظر الخريطة) ... ومن هذا المكان -حسب النص- تلقّى جزية المدينتين الفينيقيتين صور وصيدا وكذلك جزية ياهو بن عمري ملك إسرائيل في السامرة(842 - 814 ق م)

---

1 - يجدر بالذكر أن إسميْ "سنير" و "حرمون" قد وردا في العهد القديم كإسمين للجبل المطل على دمشق من جهة ولبنان وفلسطين من جهة أخرى ... أنظر سفر التثنية 3 : 9 .

2 - ARAB, I, 672

3 - ورد في سفر الملوك الثاني 8 : 7 - 15 أن "حزه إل" قتل سيده بنهدد (هدد عزر في النص الآشوري) وتولّى عرش دمشق عوضًا عنه .

4 - أنظر أبو عساف : المصادر القديمة في تاريخ دمشق . مرجع سبق ذكره ص 75 .

وللإشارة فالملك "ياهو" هو الملك الذي أباد بيت آحاب وقضى - مؤقتًا - على مظاهر العبادة الكنعانية في السامرة (1) ... وهو معروف في العهد القديم باسم "ياهوبن نمشي) أما "عمري" الذي نُسب إليه "ياهو" في نص شلمنصر الثالث فهو أبو آحاب وسلفه في مُلك إسرائيل في السامرة (2) ...

ويجدر بالذكر أن العهد القديم لا يذكر شيئًا عن الجزية التي دفعها "ياهو" إلى الملك الآشوري .

وأخيرًا ، فاستنادًا إلى النص السابق نلاحظ أن الملك الآشوري لم يكتسح المدن الفينيقية ، بل اكتفى بالحصول على الجزية منها ونقش صورته في رأس بحري (رأس الناقورة) وذلك تخليدًا لحملته وتأكيدًا لقوته ووصوله إلى المتوسط ، ويبدو - حتى الآن - أن أعداءه وأعداء سلفه هم الآراميون الذين ما انفكّوا يواجهون المخطط الآشوري منذ انطلاقته ، من الفرات إلى دمشق ، ونلاحظ أيضًا أن الحملات الآشورية إلى الساحل لم تحد - إلى الآن - عن أهدافها الإقتصادية من أجل دعم الإمبراطورية الناشئة ، ولكن فيما بعد سنلاحظ أن أهداف الحملات ستتعدّد بعد أن أثبت الآشوريون قوتهم وأضحوا أمرًا واقعًا في المنطقة .

---

1 - أنظر الملوك الثاني 10 : 12 - 28 ، وأنظر أيضًا ما سيأتي حول هذا الموضوع في المبحث الخاص بالإله بعل ...

2 - أنظر الملوك الأوّل 16 : 24 ، 26 ، 28 ...

4 - أدد نيراري الثالث : (810 - 782 ق.م) :

توفي الملك شلمنصر الثالث الثالث عام 824 ق.م وخلفه على العرش إبنه شمشي أدد الخامس (823 - 810 ق م) الذي انشغل بالقضاء على الأزمات الداخلية في آشور - ومنها تمرّدُ أخيه "آشوردان أبليّ" - والأزمات الخارجية ، ولاسيما التهديد البابلي (1) ...

وبعد وفاة شمشي أدد الخامس عام 811 ق.م تولّى عرش آشور إبنه أدد نيراري الثالث الذي كان صغيراً في السن فحكمت باسمه أمه "سمورامات" مدة خمس سنوات. وقد عُرفت "سمورامات" في الأسطورة الإغريقية باسم"سميراميس"(2)، تلك الأسطورة التي أوردها ديودورس الصقلّي نقلاً عن قتسياس (Ktesias) القرن 4 ق.م (3) ويتحدث نصب مسطور من الأنصاب الملكية التي عثر عليها في آشور - في موقع قلعة شرقاط حاليًا - عن سمورامات" ، إذ جاء فيه : (نصب سمورامات سيدة قصر الملك شمشي أدد ، ملك الجميع ، ملك آشور، أم أدد نيراري ...) (4) .

وبعد مضي خمس سنوات من حكم سمورامات باسم إبنها تولّى أدد نيراري الثالث العرش فعليًا وسيّر حملةً إلى بلاد الشام ، وقد ورد في حولياته النص التالي : (... انطلاقًا من ضفاف الفرات ، أخضعت بلاد حاتي (الحثيين) وكل بلاد أمورو وصور وصيدا وبيت عمري وإدوم وبلستو ، ... وأخذت منهم الجزية ... ثم أخضعت ملك دمشق في مقره بعد أن حاصرته...) (5) .

---

1 - أنظر مرعي وعبد الله : تاريخ الوطن العربي القديم ، مرجع سبق ذكره ص 336

2 - ARAB, I, P 260

3 - مرعي وعبد الله : المرجع السابق ص 337

4 - ARAB, I, 731

5 - ARAB, I, 739

نلاحظ من خلال هذا النص انعدام المقاومة الآرامية في سوريا التي أخضعها الآشوريون من كركميش على ضفاف الفرات وحتى الساحل الفلستي ثم دمشق – في طريق العودة – ، وإلى جانب صور وصيدا – المدينتين الفينيقيتين – يُخضع الملك الآشوري إسرائيل التي ورد ذكرها في النص بصيغة "بيت عمري" – أحد ملوك السامرة المشهورين – أما "إدوم" فهي أرض سعير الجبلية الوعرة المذكورة في سفر التكوين (1) ، والواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة (2) ... ويجدر بالذكر أن بلستو الواردة في النص الآشوري هي صيغة مشابهة للصيغة الواردة في أسفار العهد القديم والتي تعني الفلستيين (فلشتيم) (3) .

وختاما فإن حصول الملك أدد نيراري الثالث على الجزية من أمورو وصور وصيدا وبيت عمري وإدوم وبلستو ، بدون مقاومة آرامية يعكس نجاح الآشوريين في القضاء على نفوذ الآراميين في سوريا منذ عام 808 ق.م . والمثال على ذلك مدينة جوزن (بيت بحياني) التي أضحت ولاية آشورية بعد إخماد ثورة آرامية فيها على

---

1 – جاء في سفر التكوين 32 : 4 الشاهد التالي : (أرضه سعير سده إدوم) أي أرض سعير بلاد إدوم .

أنظر حولها أيضًا : بطرس عبد الملك قاموس الكتاب المقدس ص 39 ، 40

2 – نفس المرجع والصفحة .

3 – تكوين 10 : 14

راجع ما جاء بشأن الفلستيين في الفصل السابق .

الآشوريين ، وتعيين والٍ آشوري عليها ، ومنذ عهد أدد نيراري الثالث لم تعد هذه المدينة آرامية (1)

5 - تجلت فلاصر الثالث (745 - 727 ق.م) :

حين توفي أدد نيراري الثالث عانت دولة آشور من فترة ضعف مؤقتة في ظل أبنائه الثلاثة شلمنصر الرابع (782 - 772 ق.م) وآشور دان الثالث (772 - 754 ق.م) وآشور نيراري الخامس (753 - 746 ق.م) (2) ... ولكن ابنه الرابع تجلت فلاصر الثالث أسعف الدولة وأعاد إليها هيبتها، فوجّه حملاته الأولى ضد القبائل الآرامية ، ولعل أهم حملة على الآراميين هي الحملة التي سقطت فيها مملكة "أرفاد" بيده ، وذلك في السنة الثالثة من حكمه ، فكان لسقوطها أثر في سورية التي هبّ

---

1 - راجع أبو عساف : مملكة بيت بحياني الآرامية ، مرجع سبق ذكره ص 149 وحول الحضور الآشوري في هذه المملكة راجع :

- A. R. Millard, P.Bordreuil : "A Statue from Syria with Assyrian and Aramaic Inscriptions ", in : (B A) Vol 45 N°3 1982 PP 135 - 141

وتتحدث هذه الدراسة عن تمثال الملك "هد - يسعي" المكتشف عام 1979 في مدينة رأس العين السورية والقريبة من عاصمة مملكة بيت بحياني (جوزن) ، وذلك في تل الفخيرية ... وهو تمثال من الحجر البازلتي بالحجم الطبيعي للإنسان ومسطور بالآشورية والآرامية ويحمل إشارات تتعلق بتاريخ هذه المملكة الآرامية وعلاقتها بالدولة الآشورية .

2 - حول فترة الضعف التي عانت منها دولة آشور في مطلع القرن الثامن ق.م.

أنظر : - Muhly : End of the Bronze Age. Op. Cit P262

ملوكها إلى أرفاد حاملين الجزية له ومنهم ملوك كركميش ودمشق وصور التي ذُكر إسم ملكها حيرم (1) .

وبعد تنصيب والٍ آشوري على أرفاد (2) استمرت حملات تجلت فلاصر الثالث على سوريا والساحل الكنعاني الفينيقي ، وقد جاء في أحد نصوصه : (... أخضعت سيميرا وعرقة وأوسنو (أوشناتو) وسيانو - التي على شاطىء البحر ... وأخذت الجزية من راصونو (رصين ملك آرام - دمشق) (3) ومن منيحيمو (منحم) (4) ملك سامرينا (السامرة) ومن حيرامو (حيرم) ملك صور ومن سيبيتّي بعل ملك جُبلا (جبيل) وبيسيريس ملك كركميش وإنليلو ملك حماة ... وزبيبة ملكة العرب ... وكانت الجزية ذهبًا وفضّة ورصاصًا وحديدًا وجلود فيلة وعاجًا وألبسة صوفية وكتّانية ملونة ، أرجوانية وزرقاء ، وألبسة حريرية ، وأخشاب قيقب ، وأغنامًا وطيورًا وماعزًا ونوقًا وجمالاً ...) (5) .

كما رأينا ، يذكر هذا النص ست مدن فينيقية أربعٌ منها في الساحل السوري هي سيميرا وعرقة وأوشناتو وسيانو - ورد ذكرها سابقًا — واثنتان في الساحل اللبناني هما صور وجبيل - مع ذكر إسمي ملكيهما - ويأتي ذكر هذه المدن إلى جانب المدن الأخرى كدمشق وحماة وكركميش والسامرة - بالإضافة إلى "العربية" - ليؤكد وجود علاقات اقتصادية - على الأقل - فيما بينها ، وتعزّز مكونات الجزية

---

1 - راجع النص الخاص بالسنة الثالثة من حكم الملك تجلت فلاصر الثالث في ARAB, I, 769

2 - Ibid

3 - يجدر بالذكر أن هذا الملك مذكور في العهد القديم : ملوك ثانٍ 15 : 37

4 - أنظر حوله : ملوك ثانٍ 15 :14 - 20

5 - ARAB,I, 772

هذا التأكيد ، فتلك البضائع والمنتجات المذكورة اتّجر بها الفينيقيون والآراميون و"العرب" وتبادلوها فيما بينهم في وقت ما (1) ... وتبدو تلك المنتجات في غالبيتها بضائع فينيقية كالمعادن والألبسة المصبوغة والأخشاب أما البضائع العربية فهي الأغنام والنوق والجمال التي شارك بها -أيضًا - جنديبو العربي في معركة قرقر - كما رأينا سابقًا - ...

وبالنسبة إلى العاج ، فسوريا الوسطى - وحتى القرن الثامن ق.م - كانت مصدر العاج الفينيقي ثم شاركتها الهند والبونت ، إذ شُحن العاج وقتذاك عبر البحر الأحمر (2) ...

أما "مِنَحِم" ملك السامرة الذي ورد ذكره في النص الآشوري ، فهو مثل سلفه "آحاب" مغضوبٌ عليه من قبل كتّاب العهد القديم (3) ، وقد وردت عنه معلومات في سفر الملوك الثاني قد تتقاطع مع ما ورد في النص الآشوري وتكمّلها ... وجاءت تلك المعلومات في شاهدين اثنين من السفر المذكور ، وهما شاهدان على قدر كبير من الأهمية : (با فول ملك آشور عل هارص ، ويتن منحم لفول ألف ككر كسف

---

1 - راجع المبحث الخاص بمدينة صور

2 - نما إنتاج العاجيات في المنطقة وتطور في الفترة الواقعة بين القرنين الثالث عشر والسابع ق م ، وفي القرن الثامن ق م ، انعدم وجود الفيلة في سوريا ، وأضحت افريقيا والهند والبونت مصادر جديدة للعاج ... حول هذا الموضوع أنظر كلاً من :

- Uberti. Maria Luisa : Ivory and Bone Carving. In : "The Phoenicians". OP. Cit P404.
- Burney . Charles : From Village to Empire, London, 1977, P161.
- Harden. Donald : "The Phoenicians", London, 1971. P.146

3 - ملوك ثان 15 : 18

لهيوت يديو أتو لهحزيق همملكه بيدو) (1) ... (ويصا منحم إت هكسف عل يسرال عل كل جبوري هحيل لتت لملك آشور حمشيم شقليم كسف لإيش أحد ، ويشب ملك آشور ولا عمد شم بإرص) (2) أي : (جاء فول (3) ملك آشور على الأرض ، فأعطاه منحم ألف ككر من الفضة لتكون يداه معه ويثبت المملكة في يده ... وأحضر منحم الفضة عن إسرائيل - من جميع القادرين - (جبابرة البأس) ، ودفع لملك آشور خمسين ثقلاً فضّةً عن كل رجل (4) ، فرجع ملك آشور ولم يمكث هناك في الأرض) . وهكذا فالفضة كانت جزءاً من الجزية التي أخذها تجلت فلاصر الثالث من ملوك المدن المذكورة في النص الآشوري - ومنهم منحم ملك السامرة - وحسب الشاهدين السابقين ، فإن العهد القديم يقدّم تفاصيل عن تلك الجزية التي دفعها "منحم" فضةً للملك الآشوري ... وإذا كانت معلومات العهد القديم دقيقةً ، فإننا نستطيع من خلال الشاهدين السابقين إحصاء عدد سكّان "إسرائيل" بشكل تقريبي ... إذ جاء في الشاهدين أن كمية الفضة المدفوعة للملك الآشوري هي ألف وزنة ، مقسّمة إلى خمسين ثقلاً عن كل إسرائيلي ... وإذا علمنا أن الوزنة (ككر) - بمعايير العهد القديم - تساوي ثلاثة آلاف ثقل (شقل) (5) يكون عدد سكان "إسرائيل" ستين ألفًا ... ولكن قد يُفهم من الشاهدين أن أولئك الستين ألفًا هم

---

1 - ملوك ثان 15 : 19

2 - ملوك ثان 15 : 20

3 - فول هو تجلت فلاصر الثالث ... أنظر عبد المسيح يس : قاموس الكتاب المقدس ص 219

4 - أي عن كل شخص ، أنظر صموئيل الثاني 24 : 9

5 - أنظر صايغ ، أنيس ، قاموس الكتاب المقدّس ص 1025 .

القادرون (كل جبوري هحيل) الذين دفعوا الفضة ، إلاّ أن الشاهدين يؤكّدان أن الفضة كانت عن "إسرائيل" أي أن الأغنياء قدّموا الفضة كجزية عن كل إسرائيلي ..
وعدد السكان هذا ورد ضمن معلومات لا تخص إحصاء عدد سكان إسرائيل ، ولو كان الأمر متعلقًا بإحصاء عدد السكّان لوجدنا رقمًا أكبر من ستين ألفًا بكثير ، إذ يتعمّد كتّاب العهد القديم ذكر أرقام خرافية حول تعداد السكّان في إسرائيل ويهوذا لإثبات تفوّقهم الديمغرافي ، فمنذ عهد داود (القرن العاشر) نجد في سفر صموئيل الثاني تعدادًا لا يصدّق لبني إسرائيل ويهوذا (ثمانمائة ألف من إسرائيل وخمسمائة ألف من بني يهوذا تجاوزوا سن العشرين) (1) معنى ذلك أن إحصاءً يشمل من هم دون العشرين أيضًا ، يجعل عدد سكان إسرائيل ويهوذا يفوق المليونين ومنذ القرن العاشر ق م . وهذا رقم مبالغ فيه ، فتعداد "المليون نسمة" في التوزيع العمراني ظاهرة حديثة ، ولم يسجل التاريخ القديم تعدادًا بمليون نسمة (2) على الأقل في الشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض المتوسط - فقرطاجة - مثلاً - والتي قدّر سترابون (63 ق م - 20 م) عدد سكانها بسبعمائة ألف نسمة في مطلع الحرب البونية الثالثة (3) ، جعلت المؤرخين المعاصرين يعترضون على تعداد سكانها بحجة أنه مبالغ فيه (4).

---

1 - صموئيل الثاني 24 : 9

2 - أنظر رأي الباحث مهران ، محمد بيومي في هذا الموضوع : "المدن الفينيقية" ، بيروت 1994 ص 151 .

3 - وارمنجتون، ب . ه : "العصر القرطاجي" من كتاب : "تاريخ إفريقيا العام" ، المجلد الثاني (حضارات إفريقيا القديمة) ، بإشراف : جمال مختار ، اليونسكو 1985 ص 464

4) نفس المرجع والصفحة ، وأيضًا : - Mellersh. H.E.L : Carthage, London, 1963, P53

وهكذا نرى أن ذكر "منحم" إلى جانب الملوك الذين دفعوا الجزية للملك الآشوري أوصلنا إلى معلومات غاية في الأهمية تتعلق بالحياة المدنية في المدينة الكنعانية .
فالسامرة - التي يعتبرها العهد القديم عاصمة لمملكة إسرائيل - مدينةٌ كنعانية تعرفنا من خلال النص الآشوري وشواهد العهد القديم على ظروفها السياسية والسكّانية وطبيعة التواجد الإسرائيلي فيها ، ذلك التواجد الذي قدّم إلينا بعض مفاتيح المعلومات عن الحياة المدنية وليس المعلومات نفسها .
وفي نص آخر للملك تجلت فلاصر الثالث نتعرف على تفاصيل أكثر حول الوضع في المدينة الكنعانية الفينيقية ، وهو نص يذكر المدن التي تلقى منها الملك الآشوري جزيةً ...
جاء في النص : (تلقيت الجزية من سيبيتي بعل ملك جبيل (جُبلا) وإنليل ملك حماة ... ومتن بعل ملك أروادة وسنيبو ملك بيت عمون وسلمانو ملك موآب وميتينتي ملك عسقلان وآحَز ملك يهوذا ... وحانو ملك غزّة ... وكانت الجزية ذهبًا وفضّةً ورصاصًا وحديدًا وقصديرًا وألبسة صوفية ملوّنة وألبسة أرجوانية وكل شيء ثمين من خيرات البحر والأرض ...) (1) .
نلاحظ من خلال هذا النص الذي يعود إلى سنة 734 ق.م (2) -استنادًا إلى بعض المعطيات - أن الملك الآشوري أخضع ممالك كنعانية فينيقية مثل جبيل وأروادة وممالك ضمن أرض كنعان ، مثل عمون وموآب ، وممالك كنعانية فلستية مثل عسقلان وغزة ، بالإضافة إلى حماة الآرامية و"يهوذا" ... وتقع هذه الممالك - كما نرى - ضمن المنطقة السورية اللبنانية الفلسطينية ، أي أن حملة الملك الآشوري

1- ARAB, I, 801

2- Ovadia. Asher : "Gaza" in (I.A.E.H.L) P, 408 -

كانت شاملة في المنطقة ولم تلق مقاومة - استنادًا إلى النص - ... وتأتي أهمية هذا النص من تقاطع بعض معلومات العهد القديم معه ، إذ جاء في سفر الملوك الثاني ما يلي : (ويقح آحز إت هكسف وإت هزهب هنمصا بيت يهوه وبأصروت بيت هملك ويشلح لملك آشور شحد) (1) أي : (أخذ آحز الفضة والذهب الموجود في بيت يهوه وفي خزائن بيت الملك وأرسلها لملك آشور "هدية" (2) ...) والمقصود بملك آشور في هذا الشاهد هو تجلت فلاصر الثالث ، فسفر الملوك الثاني يتحدث عن نجدةٍ طلبها آحز ملك يهوذا من تجلت فلاصر ملك آشور لينقذ مدينة القدس من حصار ضربه حولها "رصين"ملك آرام دمشق و"فقح إبن رمليهو" ملك إسرائيل (3) ، ومقابل هذه النجدة يقدّم آحز لتجلت فلاصر"هدية" من الذهب والفضة كما رأينا (4) ... إلاّ أن النص الآشوري يتحدث عن جزية أخذت من آحز كما أخذت من غيره ، ولعل ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني يوضّح الأمر أكثر ، إذ يذكر هذا السفر أن تجلت فلاصر أخذ الفضة والذهب من آحز ولم يساعده في

---

1 - ملوك ثانٍ 16 : 8

2 - تُرجمت ....ש....ח....ד.... (شحد) في النسخة العربية للعهد القديم إلى "هدية" ولكن حسب اللغوي "ربحي كمال" فهذه الكلمة تعني رشوة (....ש....ח....ד.... = شُحد = السُّحْت والسُّحُت :.ما خبث وقبح من المكاسب) أنظر كمال ربحي : المعجم الحديث - عبري عربي - بيروت 1975 ص 470 ... ويجدر بالذكر أن "الرشوة" هي - ربما - الكلمة المقصودة في الشاهد استنادًا إلى أحداث أخرى سنذكرها ...

3 - ملوك ثانٍ 16 : 5 - 7

4 - ملوك ثانٍ 16 : 8

الوقوف بوجه تحالف "رصين" وفقح" (1) ... إذًا فالنص الآشوري وما تقاطع معه من شواهد سفري الملوك الثاني وأخبار الأيام الثاني يقدم لنا مفاتيح معلومات هامة تتعلق بمدينة القدس الكنعانية ووضعها السياسي في أواخر القرن الثامن ق م . إذ يبدو أن التدخل الآشوري شملها - مع بقية المدن الكنعانية الفينيقية والكنعانية الفلستية - في الوقت الذي كانت تعاني فيه من صراع المصالح حولها ... وفضلاً عن ذلك يتيح لنا النص الآشوري المتقاطع مع شواهد سفري الملوك والأخبار معرفة بعض المعلومات عن محتويات معبد القدس التي قدّم آحز قسمًا منها لتجلت فلاصر الثالث (2) . وليس صحيحًا - على الإطلاق - ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن تجلت فلاصر الثالث قَبِل "هدية" آحز مقابل فك حصار القدس الذي ضربه حولها ملكا دمشق والسامرة (3) ، ذلك أن دمشق والسامرة والقدس وغيرها من المدن الآرامية والكنعانية الواردة في النص الآشوري والعهد القديم ، كانت هدفًا لحملة الملك الآشوري ، فأخضعها وأخذ الجزية منها ، بل إنه - أي تجلت فلاصر الثالث - اقتاد الملوك الخاضعين إلى دمشق - التي احتلّها - ليقدّموا له فروض الطاعة - ومن بينهم آحز (4) - ، وبذلك يكون الباحثون المذكورون قد تبنّوا شواهد سفر الملوك

---

1 - أخبار الأيام الثاني 28 : 20 ، 21

2 - ملوك ثانٍ 16 : 17 ، 18 ، أخبار الأيام الثاني 28 : 21 ، راجع أيضًا ما سيأتي حول "معبد القدس" في الحياة الدينية ..

3 - وهؤلاء الباحثون هم : عبد الملك بطرس ، طمسن جون : قاموس الكتاب المقدس ص 2 وأيضًا : عبد الله فيصل : تاريخ الوطن العربي القديم ، مرجع سبق ذكره ص 346 وأيضا السوّاح فراس : الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم . مرجع سبق ذكره ص 105 ، 106 .

4 - ملوك ثان 16 : 10

الثـاني دون العـودة إلى شـواهد سـفـر أخـبـار الأيام الثـاني التي تكمّل -في غـالب الأحيان - شـواهد سفر الملوك وتأتي بالتفاصيل .

ونجد في حـوليـات الملك تجلت فـلاصر الثـالث بقايا نصـوص تقدم تـفاصيل أكثـر عن حملتـه إلى المنطقة وتذكر مدنًا أخرى ، جاء فـيـها : (........ أخضـعت مـدن "جـبـيل" و "سـيـمـيـرا" و "عـرقـة" و "زيمارا" و "أوشنـاتو" و "سـيـانـو" و "رعـرابـا" و "رعـسـيـسـو" ، وعيّنت ستّةً من موظفيّ حكّامًا عليها ، وجعلت ضمن حدود "آشـور" مـدينـة "رشـبـونا" - التي على شـاطـىء البـحـر الأعلى - وبـعض مـدن "بـيت عـمـري" .... وأرض "نـفـتلي" الواسـعة ، ونصبت علـيـها حاكمًا من قبلي ، "حانو" حاكم "غـزّة" نجا بـنفسه وهرب إلى مصـر ..... أمـا أرض بيت عـمـري فـقد نقلت كل سكّانها - مع ما يملكون - إلى آشـور ، كما خلعت ملكها فَقَحَا (فـقح) ونصّبت بدلاً منـه "هوشـع" ، وحملت جزية من الذهب والفضـة إلى آشـور ... وكنت قد أرسلت إلى "صـور" من قـبـلي "رئيس السـقـاة" (رب شاقو) وتسلّمت من حاكمها "مـيـتينا" مائة وخمسين وزنة من الذهب (1) ...

يضيف إلينا هذا النص - الموزّع على بـعض القُصـافـات - أسـمـاء مـدن جديدة ذكرت مع المدن الفـيـنـيـقـيـة التي عـرفـنـاها أو تعرفـنـا عليـهـا من خـلال النصـوص الآشـورية ، وهذه الأسماء هي "زيمارا" (Zimara) رعرابا (Ria - raba)ورعسيسو (Ria - sisu) "ورشـبـونا" (Rashpuna) ... ولكن لم يتم الكشف أو التـعـرّف على إحـدى هذه المدن ، وذلك اسـتـنـادًا إلى البـاحـث سـابـتـينـو مـسكاتي الذي يـرى إمـكـانـيـة أن يكـون بـعض هـذه "المـدن" مـركـزًا لإقـامــة الحـكّـام الآشـوريين (2) وحـسـب مـواقـع هذه المدن في النص ، يبدو أنها مدن كانت قائمة على الساحل السوري بين عرقة وأوجاريت ..

ويبدو من خلال النص حدوث تطور في السياسة الآشورية تجاه المدن الفينيقية ، إذ

---

1 - أنظر على التتالي : ARAB,I, 815, 816 , 803

2 - مسكاتي : الحضارة الفينيقية ، مرجع سبق ذكره ، ص 44 - 45 .

نلاحظ أنها وقعت تحت سيطرة آشورية رسمية من خلال تعيين حكّام آشوريين عليها ولعل الملك تجلت فلاصر الثالث اتّبع أيضًا سياسة ضم المدن والأقاليم إلى "آشور" وتبديل التركيبة السكّانية في "بيت عمري" (إسرائيل) بنقل سكّانها إلى آشور أيضًا معتمدًا في سياسته تلك على أحد المتعاونين وهو "هوشع" المذكور في النص المذكور - أيضًا - في العهد القديم ضمن بعض شواهد سفر الملوك الثاني التي يبدو أنها تعطي تفاصيل على تعاون "هوشع" مع تجلت فلاصر الثالث ، فالنص الآشوري يذكر أن تجلت فلاصر الثالث خلع "فقح" ونصّب بدلاً منه "هوشع" ، أما شاهد سفر الملوك الثاني فيذكر أن هوشع تآمر على فقح وقتله وملَك عوضًا عنه : (ويقشر قشر هوشع عل فقح ويكهو ويميتهو ويملك تحتيو ...) (1) أي : (حاك هوشع مؤامرة ضد فقح وضربه وقتله وملك عوضًا عنه) .

ويجدر بالذكر أن حملة الملك تجلت فلاصر الثالث على "إسرائيل" كانت بداية النهاية لهذه "المملكة) إذ لم يستمر هوشع في حكم "السامرة" سوى بضع سنوات قبل تسليمها إلى خلفاء تجلت فلاصر الثالث (2) - كما سنرى لاحقًا - ويرد في النص الآشوري السابق ذكر أرض "نفتلي" (شمال فلسطين) من ضمن الأراضي التي سيطر عليها الملك الآشوري ، وهي مذكورة في شاهد من سفر الملوك الثاني مع بضع مدن كنعانية سيطر عليها تجلت فلاصر الثالث...وقد جاء في الشاهد : (بيمي فقح ملك يسرال با تجلت فلاصر ملك آشور ويقح إت عيون وإت آبل بيت معكه وإت ينوح وإت قدش وإت حصور وإت هجلعد وإت هجليله كل إرص نفتلي ويجلم أشوره) (3)

---

1 - ملوك ثان 15 : 30

2 - ملوك ثانٍ 17 : 1 - 6

3 - ملوك ثانٍ 15 : 29

أي : (في أيام فقح ملك إسرائيل جاء تجلت فلاصر ملك آشور وأخذ عيون وآبل بيت معكه وينوح وقادش وحاصور وجلعد والجليل وكل أرض نفتلي وسباهم إلى آشور) (1) .

وأخيرا ينبغي أن نشير إلى أمرٍ هامٍّ جداً نكتشفه من خلال النص الآشوري السابق وبعض شواهد العهد القديم هو أن الملك تجلت فلاصر الثالث أفرغ أرض كنعان من بني إسرائيل باقتلاعهم من المدن الالكنعانية ونقلهم إلى آشور ، بينما لم يفعل ذلك مع المدن الفينيقية التي اكتفى بتعيين حكّام آشوريين على عدد منها فقط ، إذ نلاحظ أن صور - مثلاً - قدّمت جزية للملك الآشوري دون احتلالها أو تعيين والٍ آشوري عليها وهذا دليل على استقلالية كبيرة تمتعت بها المدينة رغم حالة الحرب التي وضع الملك الآشوري المنطقة فيها .

وختامًا ، فلعلّ أهم إشارة تحملها المعلومات الخاصة بسبي بني إسرائيل إلى آشور هي إشارة تتعلّق بعددهم الذي يبدو أنه كان قليلاً ، الأمر الذي مكّن الملك الآشوري من ترحيلهم ، وأكّد - من جهة أخرى - حديثنا السابق حول تعداد بني إسرائيل في أرض كنعان ولئن لم يتم سبي الجميع ، فإن خطوة الملك تجلت فلاصر الثالث نحو "مملكة إسرائيل" في أرض كنعان ، كانت الخطوة ما قبل الأخيرة لتلاشي هذه المملكة - كما سنرى - .

6 - شلمنصر الخامس (727 - 722 ق م) :

لم يترك هذا الملك - خلال فترة حكمه القصيرة - كتابات تؤرخ عهده باستثناء قُصافة مسطورة من بقايا اسطوانة تذكارية حُفظت في المتحف البريطاني وجاء

---

1 - راجع ما جاء حول بعض هذه المدن في فصل "المدن الكنعانية الفينيقية" ، راجع أيضًا :

- Yadin. Yigael : "Hazor" in (E.A.E.H.L) P.494

فيها بعض المعلومات عن الملك شلمنصر الخامس بأنه ملك الجميع ، ملك جهات العالم الأربع ، ملك سومروأكاد ، ملك آشور (1) ...

لكن أهمية هذا الملك تنبثق من ورود ذكره في العهد القديم وتحديداً فيما يخص مدينة السامرة التي عيّن عليها الملكُ تجلت فلاصر الثالث "هوشع" كحاكم موالٍ لآشور بعد خلع فقح أو مقتله على يد هوشع ...

ولنستعرض فيما يلي شواهد العهد القديم المتعلقة بالملك "شلمنصر الخامس" و"هوشع" ومصير مدينة السامرة الكنعانية بعد التدخل الآشوري : (... ملك هوشع بن إله بشمرون عل يسرال تشع شنيم ... عليو عله شلمناسر ملك آشور ويهي لو هوشع عبد ويشب لو منحه ، ويمصا ملك آشور بهوشع قشر أشر شلح ملاكيم إل سوا ملك مصريم ولا هعله منحه لملك آشور كشنه بشنه ، ويعصر هو ملك آشور ويأسرهو بيت كلا ، ويعل ملك آشور بكل هارص ويعل شمرون ويصر عليه شلش شنيم ، بشنة هتشيعيت لهوشع لكد ملك آشور إت شمرون ويجل إت يسرال أشوره وشب أتم بحلح وبحبور نهر جوزن وعري مدي (2) ... أي : (... ملك هوشع بن إلة على إسرائيل في السامرة تسع سنين ، وصعد عليه شلمنصر ملك آشور فصار له هوشع عبداً ودفع له جزية و أحسّ ملك آشور بمؤامرة من هوشع لإنه أرسل مبعوثين إلى "سوا" ملك مصر ولم يدفع له جزية ككل سنة ، فقبض عليه ملك آشور وزجّ به في السجن ، وصعد ملك آشور على كل الأرض ، وحاصر السامرة ثلاث سنين ، وفي السنة التاسعة لهوشع استولى ملك آشور على السامرة وسبى "إسرائيل" إلى آشور وأسكنهم في حلح (ما بين النهرين) وعلى ضفاف الخابور - نهر جوزن - وفي مدن مادي (في إيران حالياً) ...

---

1 - ARAB, I, 828 829, 830

2 - ملوك ثانٍ 17 : 1 6

بعد الإطّلاع على الشواهد السابقة نجد أنها تؤكد بعض ما جاء في حوليات الملك الآشوري السابق تجلت فلاصر الثالث وفي شواهد سابقة من سفر الملوك الثاني وتكمّلها وذلك فيما يتعلّق بتعيين "هوشع" ملكًا على السامرة ، وكما نلاحظ فإن تلك الشواهد تعلن نهاية "مملكة إسرائيل" التي جعل بنو إسرائيل من المدينة الكنعانية -السامرة - عاصمةً لها ، وكان السبب المباشر لنهاية هذه المملكة هو امتناع "هوشع" عن دفع الجزية للآشوريين بتحريض -ربما - من "سوا" ملك مصر الذي أرسل إليه "هوشع" مبعوثين ويتابع الملك الآشوري سياسة سلفه فينقل بقية بني إسرائيل إلى آشور ومناطق أخرى يسيطر عليها الآشوريون (1) ، وبذلك يُنهي الآشوريون -قبيل نهاية القرن الثامن ق .م - التواجد الإسرائيلي في جزء هام من أرض كنعان ويلتفت ملوكهم اللاحقين إلى إخضاع مملكة يهوذا التي اتخذت من القدس مقرًّا لها - كما سنرى - .

وتؤكّد شواهد في سفر الملوك الثاني نهاية المملكة في السامرة ويحمّل كاتب السفر بني إسرائيل مسؤولية سقوطها لأنهم لم يتّبعوا إلههم "يهوه" بل آلهة الكنعانيين وديانتهم (2)، كما يشير الكاتب إلى أن سبط يهوذا بقي وحده (3).

وأخيرا فإننا إن لم نستطع تأكيد ما جاء حول الملك شلمنصر الخامس في سفر الملوك الثاني من العهد القديم - نظراً لعدم وجود حوليات لهذا الملك - فإن مجريات

---

1 - يؤكد العهد القديم في أكثر من شاهد أن شلمنصر الخامس هو الذي استولى على السامرة وسبى بني إسرائيل إلى آشور (ملوك ثانٍ 17 : 1 .....6 ، 18 : 9 ....11) ولكن يظن بعض المؤرخين أن شلمنصر الخامس حاصر السامرة بينما تابع خلفه سرجون الثاني المهمة ... (أنظر حتي : مرجع سبق ذكره ص 213 ، وباقر : مرجع سبق ذكره ص 511)

2 - ملوك ثان 17 : 7 ..... 17 ... وحول هذا الموضوع أنظر ما سيأتي في جزء "الحياة الدينية" ...

3 - ملوك ثانٍ 17 : 18 .

الأحداث السابقة واللاحقة لهذا الملك والمتوفرة في حوليات الملوك الآشوريين ، تؤكد صحّة معلومات العهد القديم الخاصة بهذا الملك ، وتعتبر هذه المعلومات الحلقة الضائعة من تاريخه كأحد الملوك الآشوريين الذين أسهموا في معرفتنا لمعلومات تتعلق بالوضع السياسي لجزء من أرض كنعان والمدينة الكنعانية بشكل خاص في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م .

7 - سرجون الثاني (722 - 705 ق م) :

يرى بعض الباحثين أن سرجون الثاني قد يكون مغامرًا استولى على عرش آشور بواسطة الإنقلاب (1) ، الأمر الذي يفسّر قصر فترة حكم سلفه شلمنصر الخامس ، لكن الباحث عيد مرعي يرى أن سرجون الثاني هو أخ لشلمنصر الخامس (2) ، ومع ذلك فهذا لا ينفي إمكانية قيامه بانقلاب ضد أخيه سيما وأننا نقرأ في نص من حولياته انتقادات شديدة لشلمنصر تتعلق بفرض هذا الأخير ضرائب ثقيلة علي الشعب الآشوري (3) ... ومهما يكن من أمر فقد أطلق سرجون الثاني على نفسه هذا الإسم وأصله بالأكادية "شرّوكين" أي الملك الصادق ، وذلك تشبّهًا بالملك الأكادي شرّوكين المشهور بسرجون الأكادي (2350 - 2284 ق م) مؤسس الإمبراطورية الأكادية (4).

وينبغي أن نشير إلى ملاحظة تتعلق باسم هذا الملك ، أبداها الباحث مرعي ، وهي أن إسم "سرجون" مأخوذ من "التوراة" وأضحى اليوم غير

---

1 - أنظر باقر : مرجع سبق ذكره ، ص 511 ، وعبد الله فيصل : مرجع سبق ذكره ص : 351 .

2 - مرعي : مرجع سبق ذكره ص 119 .

3 - ARAB, II, 134

4 - باقر : ص 511

مقبول علمياً (1) ... إلاّ أننا لا نتّفق **مع الرأي** المذكور ، لأن ورود إسم "سرجون" بهذه الصيغة في العهد القديم يشير إلى أنها الصيغة المتعارف عليها - آنذاك - لإسم الملك على الأقل في "أرض كنعان" - وقد تكون هذه الصيغة آشورية أيضًا ، فالآشورية لهجة من لهجات الأكادية - كما رأينا - وليست الأكادية عينها ، وإذا كانت أصول الأسماء الآشورية أكادية ، فلا بدّ أنها اتخذت شكلا آخر في النطق تبعا لنظام اللهجات ، ونحن إذا رفضنا صيغة العهد القديم - أي سرجون - فإننا نقر بوجود لغة أو لهجة خاصة ببني إسرائيل . وهذا ينافي المعلومات التاريخية واللغوية التي تؤكد أن بني إسرائيل تحدثوا الكنعانية في الأرض التي تسرّبوا إليها وذلك باعتراف كاتب سفر "إشعياء" الذي يسمّي هذه اللغة (شفة كنعن) (2) كلغة تحدثها بنو إسرائيل ، وللإشارة فالسفر المذكور هو السفر الوحيد الذي ذكر إسم "سرجون" (3) فيما أشارت إليه بقية الأسفار باسم ملك آشور ... ويجدر بالذكر أن التغيير صوتي بين سرجون وشروكين ، على أساس نطق الجيم .

أسس سرجون الثاني سلالة حاكمة عرفت بالسلالة السرجونية ، وتكونت من ابنه سنحريب وحفيديهما أسرحدون وآشور بانيبال الذين حكموا آشور في آخر عهودها (4) ، وبنى سرجون الثاني مدينة "دور شروكين" أي "حصن شروكين" لتكون عاصمة جديدة للإمبراطورية وتحل مكان كلخو وقد أقيمت هذه المدينة في تل خورسباد شمال نينوى (5) .

---

1 - مرعي : ص 45 ، هامش 20

2 - إشعيا 19 : 18

3 - إشعيا 20 : 1

4 - باقر . ص 511

5 - أنظر حولها : محيسن : آثار الوطن العربي القديم ، مرجع سبق ذكره ص 308

وتعود معظم كتابات هذا الملك إلى مدينة خورسباد ، ومنها ما يعود إلى مدن أخرى كنينوى وكلخو (1) .

ونلاحظ من تلك الكتابات أن سرجون الثاني تابع سياسة أسلافه في المنطقة ، ونقرأ في نص يعود إلى سنة حكمه الأولى ما يلي : (... في بداية حكمي ... أجليت 27.290 شخصا من السامرة التي أعدت بناءها بشكل جيد وأسكنت فيها أناسًا من مناطق أخضعتها سابقًا وعيّنت فيها حاكمًا من لدني ...) (2) ... وقبل التعليق على هذا النص نورد شاهدًا من سفر الملوك الثاني جاء فيه : (ويبا ملك آشور مببل ومكوته ومعوا ومحمت وسفرويم ويشب بعري شمرون تحت بني يسرال ويرشو إت شمرون ويشبو بعريه ...) (3) أي : (جلب ملك آشور أناسًا من بابل و"كوث" (4) و "عوا" (5) و"حماة" وسفرويم(6) وأسكنهم في مدن السامرة عوضًا عن بني إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها) ... وهكذا نلاحظ من خلال النص الآشوري أن سرجون الثاني أكمل مهمة سلفه شلمنصر الخامس في السامرة بإجلاء

---

1 - ARAB, II, P ; 1

2 - ARAB,II, 4

3 - ملوك ثان 17 : 24

4 - كوث مدينة في بابل القديمة ، وهي اليوم "تل ابراهيم" إلى الشمال الشرقي من بابل ، أنظر عقّاد فؤاد : قاموس الكتاب المقدس ص 795 .

5 - عوا مدينة تابعة للدولة الآشورية لا يعرف مكانها بالضبط حسب صايغ ، أنيس : قاموس الكتاب المقدس ص 648 .

6 - يرى الباحثان لبيب مشرقي ومنيس عبد النور أن "سفرويم" ربما تكون بلدتيْ "سفارة" ، الواقعتين على ضفّتي الفرات جنوب غرب مدينة بغداد ، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص 469 .

بقية بني إسرائيل منها أو -ربما - كان هو المقصود في شواهد العهد القديم التي تحدثت عن نهاية إسرائيل وإجلاء بنيها إلى آشور (1) ... ويأتي شاهد العهد القديم الأخير ليتقاطع مع نص سرجون الثاني حول القوم الذين أسكنهم في السامرة عوضاً عن بني إسرائيل ، وتطلعنا هذه المعلومات على تغييرات ديمغرافية أحدثها الملك الآشوري في مدينة السامرة الكنعانية ، فالسكّان الجدد الذين جلبوا إليها ينتمون إلى مناطق متقاربة في الشرق الأدنى (بابل وسوريا الوسطى) أما بنو إسرائيل فقد نقلوا - حسب شواهد العهد القديم - إلى مناطق متباعدة في الشرق الأدنى (منطقة ما بين النهرين وإيران) وهي مناطق تقع تحت السيطرة الآشورية المباشرة أي أن الآشوريين تعمّدوا وضع بني إسرائيل تحت مراقبتهم ولم يكتفوا بأخذ الجزية منهم وهم في أرض كنعان كما في السابق ... وهذا يؤكد لنا تطور سياسة الآشوريين تجاه المنطقة الكنعانية الفينيقية خلال قرنين من الزمن ، فالملوك الآشوريون الأولون اكتفوا بالجزية لدعم الإمبراطورية الناشئة ، أما الملوك اللاحقون فقد أضحت لهم نظرة سياسية إلى جانب النظرة الإقتصادية من خلال الحملات ، فماذا يعني - بالنسبة إليهم - إفراغ المدن الكنعانية من بني إسرائيل ؟ ... لا شك أن في الأمر تطلّعاً آشورياً إلى منطقة "لا وجود فيها لكيان إسرائيلي مهما كان حجمه ، فقد تنبه الآشوريون - تحديدا - ومن خلال اتصالهم المباشر بالمنطقة ، إلى قوم غرباء عن المنطقة يشاركون الآراميين والفينيقيين فيها حياتهم الإقتصادية وكانت عبادة أولئك القوم "ليهوه" وتعصّبهم الشديد له عاملاً هامًا في نظرة الآشوريين إليهم كغرباء وكمصدر خطر على التطلّعات الآشورية في المنطقة فقاموا بترحيلهم منها وتفريقهم في مناطق بعيدة ... وكان ترحيل بني

---

1 - راجع الملوك الثاني 17 : 1 6

إسرائيل من المدن الكنعانية ضربة قاصمة لعبادة "يهوه" ، في الوقت الذي عرفت فيه تلك المدن عبادة آلهة جديدة لم تكن معروفة في أرض كنعان ، جلبها القوم الذين أحلّهم ملك آشور مكان بني إسرائيل ، وذلك حسب الشواهد التالية من سفر الملوك الثاني : (وأنشي ببل عسو إت "سكوت بنوت" وأنشي كوت عسو إت "نرجل" وأنشي حمت عسو إت "أشيما" ... وهعويم عسو "نبحز" وإت "ترتق" وهسفرويم سرفيم إت بنيهم بآش "لأدر ملك" و"عنملك" إله سفريم) (1) أي : (عمل أهل بابل "سكوت بنوت" وأهل كوت عملوا "نرجل" وأهل حماة عملوا "أشيما" ... والعويون عملوا "نبحز" و"ترتق" أما السفاريون فقد أحرقوا بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهيْ سفارة ...)

نرى من خلال هذا الشاهد أن القوم الذين أسكنهم سرجون الثاني في السامرة ومدنها – وهم من بابل وحماة – أقاموا تماثيل لآلهة كانوا يعبدونهم في المدن التي أتوا منها وهم "سكوت بنوت" الإله الذي كان معبوداً في بابل والذي يرى بعض الباحثين أنه هو نفسه الإله "أكاد" المعروف لدى البابليين أو أنه – أي الإسم – صيغة عبرية لإسم إلهة بابلية كانت تدعى "صربنيتو" – لفظًا – (2) ويرى الباحثان "إدزارد" (Edzard)و "روليج" (Röllig) أن "صربنيتو" هي "ذر بنيتو" بالبابلية أي خالقة النسل ، وهي إلهة بابل الرئيسية ، والمختصة بشؤون الحمل والولادة ، وقرينها الإله "مردوك" رئيس مجمع الآلهة البابليين (3) .

أما الإله "نرجل" الذي أدخله أهل "كوت" البابليون إلى أرض كنعان ، فهو إله

---

1 – ملوك ثان 17 : 30 ، 31

2 – أنظر مشرقي ، لبيب ، عبد النور منيس : قاموس الكتاب المقدس ص 472 ، 473 .

3 – أنظر إدزارد ، بوب ، روليج : قاموس الآلهة و الأساطير ، مرجع سبق ذكره ص 109 ، 126 .

سومري الأصل عُرف في الديانة الأكادية بنفس الإسم ، وهو يجسد صفات إله الشمس والحرب ، وكانت "كوت" مركزًا لعبادته في بابل (1).

ونجد بين الآلهة أيضًا الإلهة السورية أشيما (2) التي أدخل عبادتها أهل حماة إلى السامرة ، وأيضًا "نبحز" و "ترتق" اللذين أدخلهما أهل عوا ، و"نبحز" من أصل عيلامي حسب أحد الباحثين (3) .

و بالنسبة إلى "أدرملك" و "عنملك" - الإلهين اللذين أدخلهما أهل سفارة البابلية إلى السامرة نلاحظ أن "ملك" دخل في تركيب كل منهما ، وقد تكون تلك إضافة من كاتب سفر الملوك الذي ذكر أن السفاريين أحرقوا بنيهم "لأدرملك" و"عنملك" ، ذلك أن "ملك" إله مذكور في العهد القديم ترتبط به شعيرة حرق البنين - حسب العهد القديم - (4) .

إذًا فقد عرفت أرض كنعان عبادات جديدة من جراء التدخل الآشوري الذي حدّ - أيضًا وبشكل كبير - من عبادة "يهوه" التي ارتبطت بوجود جماعة دينية - لا أكثر - في أرض كنعان ... ونجد كاتب سفر الملوك يقرع ناقوس الخطر من تقلّص عبادة يهوه مستخدمًا أسلوب الخرافة وقائلاً عن القوم الذين حلّوا في السامرة ومدنها : (ويهي بتحلت شبتم شم لا يرأو إت يهوه ، ويشلح يهوه بهم إت هأريوت ويهيو هرجيم بهم ...) (5) أي : (وفي بداية إقامتهم هناك لم يتّقوا يهوه فأرسل عليهم

---

1 - قاموس الآلهة والأساطير ص 133

2 - أورد الباحثان بطرس عبد الملك وجون طمسن أنها إلهة سورية فقط، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص 87 .

3 - أنظر صايغ ، أنيس : قاموس الكتاب المقدس ص 953 .

4 - أنظر ما سيأتي حول هذا الإله في جزء الحياة الدينية .

5 - ملوك ثانٍ 17 : 25

السّباع تفتك بهم ...) ... وهكذا ، فبدخول سرجون الثاني السامرة ينتهي العمل بشريعة يهوه ، ويؤكد ذلك كاتب سفر الملوك قائلاً : (عد هيوم هزه ... إينم يرايم إت يهوه و إينم عسيم كتوره وكمصوه آشر صوه يهوه إت بني يعقب أشر سم شمو يسرال) (1) أي (إلى هذا اليوم ... لا يتقون يهوه ولا يعملون حسب الشريعة والوصية التي أمربها يهوه بني يعقوب الذي جعل إسمه إسرائيل) .

- معركة قرقر 2 :

في سنة حكمه الثانية التقى سرجون الثاني بقوات تحالف قادها ملك حماة "إلوبعدي" وضمت كلاً من "أرفاد" و "سيميرا" و "دمشق" و "السامرة" ، فانتصر عليهم في "قرقر" ... ثم تابع سرجون مسيره باتجاه غزة التي استعانت بجيش مصري يقوده سيبئو (Sib'u) (2) فتغلب عليه سرجون في معركة طالت مدينة رفح التي دُمّرت حسب النص الآشوري (3) .

ونلاحظ من خلال النص السابق انتعاش المقاومة الآرامية في وجه الآشوريين من جديد وبقاء المدن الفينيقية على الحياد -باستثناء سيميرا الواقعة في إقليم سورية الآرامية - لكن هذه المقاومة لم تعد كما كانت من قبل لاسيما بعد أن أصبح الآشوريون أمراً واقعاً في المنطقة ، ولكن يظهر طرف جديد ، هو مصر التي أضحى تدخلها ضدّ الآشوريين مباشراً في المنطقة وخاصّة في المدن الكنعانية الفلستية ، فسيطرة الآشوريين على تلك المدن تشكّل خطراً على مصر القريبة ، لذا تنبّه

---

1 - ملوك ثان 17 : 34

2 - أو سيبئي (Sibé) ...

3 - ARAB,II,5, 55

المصريون لهذا الخطر الداهم واتخذوا إجراءات دفاعية سبقها - في عهود سابقة - تحريض الفينيقيين والفلستيين على الثورة ضدّ الآشوريين ...

ويطلعنا التدخل العسكري المصري ضدّ الآشوريين في المنطقة على بعض فصول العلاقة بين مصر والساحل الكنعاني الفينيقي تلك العلاقة التي اتسمت بسيطرة مصرية على المدن الكنعانية الفينيقية في الألف الثاني ق م. إلى أن تلقّى المصريون الضربة الأولى من الفلستيين في النصف الثاني من الألف الثاني ق م (1) ، ثم تلقوا الضربة الثانية من الآشوريين في النصف الأول من الألف الأول ق م ، وبموجب هذه الضربة تُرفع يد مصر عن المنطقة نهائيًا كما سنرى أيضًا في حوليات آخر ملكين آشوريين .

ونقرأ في نصوص متفرقة من حوليات الملك سرجون الثاني معلومات هامة عن جزيرة قبرص التي خضعت لسرجون وفيما يلي تلك النصوص : (... جلبت اليميّين (القبارصة) من بحر غروب الشمس (المتوسط) كالأسماك ، وأخضعت سبعة ملوك من أرض "يا" (Ia) إحدى مناطق أرض "يتنانا" (Iatnana) التي تبعد مسيرة سبعة أيام في البحر (2) ... والتي لم يسمع بها أحدٌ من أجدادي الملوك بسبب بعدها ... وحين سمع الملوك السبعة ما فعلته في بلاد حاتي ارتجفت قلوبهم خوفًا ، فسبقتني جزيتهم إلى بابل وكانت من الذهب والفضة وخشب البقس (3) ... وفي ذلك الوقت أقمت نصبًا لي ووضعت شعارات آلهتي العظماء... (4)).

---

1 - أنظر ما جاء بشأن الفلستيين في هذه الأطروحة .

2 - ARAB, II, 80

3 - ARAB, II 186

4 - ARAB, II, 187

حظيت النصوص السابقة – المتعلّقة بقبرص – باهتمام الباحثين والدارسين وفي مقدمتهم Luckenbill الذي فسّر تسمية "اليميّين" (lamanean) بالقبارصة (1) ، ورأى أيضًا في إسم "يتنانا" (latnana) إشارة إلى قبرص (2) ، وفيما يتعلق بالنصب الذي أقامه سرجون لنفسه في قبرص فقد نشر Luckenbill معلومات حول هذا النصب المعروف باسم نصب "لارنكا (قتيون القديمة) ، وهذا النصب معروف بالنسبة إلى المختصين منذ عام 1845م، وهو يعود إلى سنة 707 ق.م ومحفوظٌ في متحف برلين (3) .

ويبدو من النصوص السابقة أن قبرص كانت بمثابة اكتشاف هام بالنسبة إلى سرجون الثاني ، فحملات أسلافه لم تصل إلى المستوطنات التي تواجد فيها الفينيقيون – ومنها قبرص التي يعود الحضور الفينيقي فيها إلى القرن الحادي عشر ق م (4) ، أما قتيون – التي أقام سرجون الثاني فيها نصبه – فهي أقدم مستوطنة فينيقية في قبرص تم تأسيسها في منتصف القرن التاسع ق.م من قبل مدينة "صور" (5) ، ويرى الباحث "ماركو" أن الملك سرجون الثاني تنبّه إلى تجارة الفينيقيين بالمعادن عبر المتوسط فأراد التحكم بتجارة النحاس مع قبرص (6) ... وبالفعل ، فعديد المستوطنات في قبرص خُصّص لصناعة النحاس مثل "أماثوس" وباكوس و"لابيثوس" ، كما أن إشتغال الفينيقيين بتجارة النحاس في قبرص

---

1 - ARAB, II, 80

2 - ARAB, II, 186

3 - ARAB, II, 179

4 - Markoe : "Phoenicians" OP. Cit P170

5 - Ibid

6 - Ibid . P 42

أثبته عدد من المواقع التي تحمل التأثير الفينيقي مثل "تاماسوس" و "جولجوي" و"إداليون" و"مينيكو" و"ألاسّا" ، وهي مدن قبرصية تقع عند سفوح سلسلة جبال "ترودوس" الغنية بالنحاس (1) .

وختاما ، نلاحظ أن عهد الملك سرجون الثاني كان عهداً جديداً - مقارنة بعهود أسلافه - بشأن منجزاته وسياسته في المنطقة ، فعلى المستوى السياسي أضحى سرجون سيد الموقف بتكريسه لخضوع بلاد الشام وإزالة الكيان الإسرائيلي من الوجود والتصدي للتدخل المصري المباشر في المنطقة ، وعلى المستوى الديني دخلت في عهد سرجون عبادة آلهة جديدة إلى أرض كنعان وقُضي جزئيًا على عبادة يهوه . أما على المستوى الإقتصادي ، فقد أتاح سرجون للدولة الآشورية الإستفادة من تجارة النحاس مع قبرص ، ومن جهة أخرى ، فإن خضوع حكّام قبرص له يعني أن طرق التجارة في شرق المتوسط أضحت تحت سيطرة الدولة الآشورية وحمايتها ، ولم تعد بأيدي الفينيقيين وحدهم (2) .

8 - سنحريب (705 - 681 ق م) :

تولّى سنحريب عرش آشور بعد وفاة أبيه عام 705 ق م وعاد إلى العاصمة القديمة نينوى بعد أن أدخل عليها بعض التحسينات ، ويرى الباحث "مرعي" أن إسم سنحريب مكوّن من ثلاثة أقسام وهي : سن أخّي إريبا أي : سن عوضني إخوة (3) ... و"سن" هو إله القمر في الديانة الرافدية (4) .

---

1 - Markoe, PP 170, 171 ... راجع أيضًا ترجمتنا لكتاب الباحث ماركو .

2 - أنظر ملاحظة الباحث مسكاتي في هذا الموضوع في كتابه : الحضارة الفينيقية ، مرجع سبق ذكره ص 46 .

3 - مرعي : تاريخ بلاد الرافدين ، مرجع سبق ذكره ، ص 119

4 - أنظر حوله : ادزارد ، بوب ، روليج : قاموس الآلهة والأساطير ص 47 وما بعدها .

وكما يبدو ، فقد حكم سنحريب فترة طويلة إلاّ أن السنة الرابعة من حكمه - أي 701 ق م - هي سنة الأحداث الهامة فيما يتعلق بالمدن الكنعانية الفينيقية ، وذلك كما جاء في حولياته التي تقاطع مع بعض معلوماتها عديد المعلومات من العهد القديم .

ويعتبر نص حملته الثالثة الموجهة إلى المنطقة السورية الفلسطينية من أهم النصوص التاريخية الآشورية ، وهو إلى جانب شواهد العهد القديم المتعلقة بتلك الحملة ، يرسم صورة واضحة لوضع بعض المدن الكنعانية والفينيقية لعل أهمها مدينة القدس ... وقد رأينا سابقًا كيف تم القضاء على الكيان الإسرائيلي في السامرة في زمن الملكين شلمنصر الخامس وسرجون الثاني ، أما في عهد سنحريب فقد بدأت المحاولات الآشورية للقضاء على مملكة "يهوذا" التي استوطن أفرادها بعض المدن الكنعانية ...

وفيما يلي نص الحملة الثالثة لسنحريب : (في حملتي الثالثة توجهت إلى "سوريا" ... "لولي" ملك صيدون أبحر بعيداً خوفًا مني - حيث مات - ، صيدون الكبرى وصيدون الصغرى ، بيت زطّي (Bit-Zitti) ، زَربِتو (Zaribtu = سربتا) ، محلّيبا (Mahalliba) ، أوشو (Ushu) ، أكزيب (Akzib) و عكّا ، مدنه المنيعة المحصّنة والمزوّدة بمشارب ومعالف حامياته - خضعت بقوة أسلحة ربي آشور وركعت عند قدميّ ... ووضعت على العرش - ملكًا عليهم - توبالو (أتبعل) الذي فرضت عليه تقديم الهدايا إليّ والجزية دون انقطاع ... كما أخذت الجزية والهدايا من عبديليتي "الأروادي" وأُرو ملكي "الجبيلي" ومِتِنْتي "الأشدودي" وبودو إلو "البيت عموني" وكموسونادبي "الموآبي" ومليك رامّو "الأدومي" ... لكن "صدقا" ملك عسقلان رفض الخضوع لي فاقتدته إلى آشور هو وكل بيت أبيه ، ونصّبت على عسقلان بدلاً منه "شرُولوداري" الذي التزم بدفع الجزية ... وخلال حملتي هذه حاصرت "بيت دجن"

و "يافا" و "بني برقة" و "أزور" – مدن صدقا – التي فتحتها وجنيت منها الغنائم ... أما مدينة "عقرون" فقد سلّم مسؤولوها ملكهم "بادي" – الموالي لآشور – إلى حزقيّا اليهودي بسبب عهده معنا ، فقام حزقيا بسجنه وعامله معاملة العدو ، إلاّ أنه خاف من فعلته هذه فطلب مساعدة مصر وأثيوبيا اللتين أنجدتاه (أي حزقيا) بقوات كبيرة ، وبجوار مدينة التقو (إلتقيه) نازلتهم بجيش ربي آشور. وهزمتهم وأسرت أمراء جند المصريين والأثيوبيين وفرسانهم ، ثم يممت وجهي شطر مدينة "عقرون" وقتلت مسؤوليها المجرمين وعلّقت جثثهم على أعمدة المدينة ، ثم أطلقت الملك "بادي" من "القدس" وأعدته سيدًا على عرش عقرون ليدفع لي الجزية كما كان ... أما حزقيا اليهودي فقد حاصرت ستًا وأربعين مدينة من مدنه الحصينة بالإضافة إلى مدن صغيرة أخرى ، وأسرت العديد من السكان وغنمت خيولاً وبغالاً ، جمالاً ومواشٍ لا تحصى ... وحزقيا نفسه ، أضحى كعصفور في قفص ضمن القدس – مقره الملكي – بعد أن أحطته بالمتاريس والحفر ... أما المدن التي أخذتها منه فقد أعطيتها لمِتِنْتي" ملك أشدود ، و "بادي" ملك عقرون و "سِلِّبعل" ملك غزة ، وبذلك أنقصت مساحة أراضيه وضاعفت جزيته السنوية ، أما القوات التي جلبها لمساعدته على فك حصاري للقدس فقد اختلّت صفوفها وتقهقرت ، فلم يجد مفرًا من إرسال الجزية إلى نينوى ، وتكوّنت تلك الجزية من ثلاثين وزنه ذهب وثمانمائة وزنة فضة وكميات من الأحجار الكريمة والمجوهرات والعاجيات والجلود والأخشاب والنفائس ، بالإضافة إلى بناته و "حريمه" وموسيقييه من الجنسين) (1) .

نلاحظ من خلال النص السابق أن حملة سنحريب اجتازت الأراضي السورية وصولاً إلى "صيدون" ، ونتيجة لذلك هرب ملكها "لولي" عن طريق البحر ... وفي نصوص

1- ARAB,II,239, 240

أخرى من حوليات الملك سنحريب نجد تفاصيل حول هرب "لولي" - وهو نفسه إيلولايوس في المصادر الإغريقية - (1) فنقرأ في نصين من تلك الحوليات أن "لولي" هرب من "صور" إلى "قبرص" ومات فيها ... وقد ورد إسم قبرص في ذينك النصين بصيغة "يدنانا" (2) (قارن مع "يتنانا" الواردة في حوليات سرجون الثاني) ...

تصويريًا ، دُوِّن حدث هرب لولي في لوحة أشورية منحوتة تصوّر "لولي" يركب سفينة ، وعُثر على هذه اللوحة في قصر سنحريب "بُنينوى" ، وتعود إلى مطلع القرن السابع ق م (3) .

ونلاحظ من خلال النصين المذكورين أن لولي هرب من "صور" ، وهو - حسب المؤرخ يوسف من القرن الأول الميلادي - ملك صور (4) ، الأمر الذي دعا الباحث "مسكاتي" إلى القول إن عبارة "ملك صيدون" التي وُصف بها "لولي" في نص سنحريب لا يمكن أن تعني غير امتداد سلطانه إلى هذه المدينة - أي صيدا - (5)

ولكن ، نحن لا نعرف بدقّة لماذا لم يوصف لولي "بملك صور" في حوليات سنحريب ، وهل كان المقصود "بصيدون" الإشارة إلى مجموعة المدن الفينيقية على غرار ما ورد في كتاب العهد القديم من أن الصيدونيين (صدنيم) هم إشارة إلى الفينيقيين (6) ؟

---

1 - Markoe : Op. Cit. P43

2 - ARAB, II, 309, 326

3 - Markoe : Op. Cit. P44, 45

4 - أنظر مسكاتي : الحضارة الفينيقية ، مرجع سبق ذكره ، ص 47 .

5 - نفس المرجع والصفحة .

6 - راجع المبحث الخاص بمدينة صيدا ضمن المدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم .

ويطلعنا النص السابق على أسماء مدن فينيقية تابعة للملك "لولي" وهي صيدون الكبرى وصيدون الصغرى اللتان يرى الباحث منير الخوري أنهما قِسما مدينة صيدا ، واحدٌ على شاطىء البحر والثاني قريب إلى الجبل (1) ، أما "بيت زطّي" (2) و "سربتا" و"محليبا" (3) و "أوشو" و "أكزيب" (4) و عكّا (5) ، فيرى الباحث "ماركو" أنها مدن تابعة لمدينة صيدا (6) ، وقد جاء في النص الآشوري أنها مدن محصّنة ، وحسب "ماركو" ، فقد كشفت التنقيبات عن موقعين في صيدا يظهران تحصينات ، الأول في منطقة "مارالياس" الواقعة في الضواحي الجنوبية الشرقية للمدينة ، والثاني هو تلّة ساحلية مرتفعة في منطقة "براك التل" التي تبعد 10 كم إلى الجنوب من صيدا (7) . وبالنسبة إلى "**سربتا**" (زَربتو في النص الآشوري) فهي "صرفند" الحالية التي تقع بين صور وصيدا على طول الساحل الفينيقي الجنوبي ، وقد قامت بالكشف عنها بعثة من جامعة "بنسلفانيا" بين عامي 1969 و 1974 ، ويذكر الباحث ماركو أنها - أي سربتا - أول مستوطنة فينيقية من عصر الحديد يتم التنقيب فيها (8) . وفيما يتعلّق بـ "**أوشو**" المذكورة في

---

1 - راجع الخوري ، منير : صيدا عبر حقب التاريخ ، بيروت 1966 ص 29

2 - لم يكشف بعد عن موقعها الحالي

3 - لم يكشف بعد عن موقعها الحالي... قارن مع "أحلب" و "حلبه" في قضاة 1 : 31 ، 32

4 - راجع الفصل الخاص بالمدن الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم

5 - راجع المبحث الخاص بالمدينة ...

6 - Markoe : Op. Cit P 200 راجع أيضاً قضاة 1 : 31 ، 32

7 - Ibid

8 - Ibid P 199

النص الآشوري ، فهي القسم "البرّي" من مدينة صور التي كان قسم منها جزيرة في البحر ، وقد دُعيت "أوشو" في المصادر الكلاسيكية "صور القديمة" ، واعتمدت عليها صور الجزيرة اعتماداً كلياً حتى أن "أوشو" كانت مصدر مياه الشرب لصور بالإضافة إلى كونها مجراً للمواد الخام من المنطقة المحيطة ونقطة امتداد لصور نحو الجنوب في سهل عكّا والجليل . وبالنسبة إلى موقع "أوشو" حالياً ، فهو غير محدّد بدقة بالرغم من الإعتقاد السائد بأنه - أي الموقع - هو "تل الرشيدية" ، ذلك التل الصغير الذي يقع على بعد 4 كم إلى الجنوب من صور وبالقرب من نبع رأس العين (1) .

وهكذا نرى أن المنطقة التي كان يسطر عليها ملك صور - أو صيدون كما ورد في النص الآشوري - كانت كبيرة وشملت صور وصيدا وضواحيهما بالإضافة إلى مدن في شمال فلسطين . وكان تعيين "أتبعل" من قبل سنحريب ملكاً على هذه المنطقة إنجازاً هاماً لهذا الملك الآشوري - على الأقل في حملته الثالثة - وقد مكّنه هذا الإنجاز - كما رأينا في النص - من إخضاع مدن فينيقية أخرى مثل "أروادة" و "جبيل" و "يافا" ، ومدن كنعانية فلستية مثل "أشدود" و "عسقلان" و"بيت دجن" و "عقرون" (2)، ومدن أخرى "كبني برقة" و "آزور" (3) ، ومناطق في أرض "كنعان" مثل "بيت عمون" و "موآب" و"أدوم" ...

إن إخضاع تلك المدن من قبل سنحريب ضيّق الخناق على مملكة يهوذا التي يبدو أن سنحريب - في حملته الثالثة - كان زاحفاً إليها ، وقد جرت أول معركة بين

---

1 - Markoe : PP 197, 198

2 - أنظر ما جاء حول هذه المدن في فصول ومباحث سابقة .

3 - بني برقة أو بني براق و آزور مدن مجاورة لمدينة "يافا" ، أنظر : Kaplan Haya, Kaplan Jacob : "Jaffa" in (I.A.E.H.L) P 532

سنحريب وحزقيا اليهودي (حزقيهو أو حزقيه في العهد القديم) (1) في مدينة التقو (التقيَةْ في العهد القديم) (2) وكان سببها المباشر كما ورد في النص الآشوري - احتجاز "بادي" - ملك عقرون الموالي لآشور من قبل حزقيا في سجن بمدينة القدس (أروسليمو في نص سنحريب) ... فربح سنحريب المعركة التي شاركت فيها إلى جانب حزقيا قوات من مصر وأثيوبيا (Meluhha"ملوحة" في النص الآشوري) ، ثم تابع سنحريب هجومه على يهوذا وحاصر واحتل العديد من مدن حزقيا ووضعها تحت سيطرة ثلاثة من ملوك الفلستيين الموالين لآشور وهم ملوك أشدود وعقرون وغزة ، ثم شدّد سنحريب الحصار على "القدس" إلاّ أنه لم يحتلها منهياً بذلك حملته عند أسوار القدس ومقرراً العودة إلى نينوى ولكن بجزية ضخمة من حزقيا - كما رأينا في النص وبالطبع لا يمكن أن تكون الجزية الضخمة سبباً في تراجع سنحريب عن فتح القدس والقضاء نهائياً على مملكة يهوذا ، وفيما يرى الباحث طه باقر ذلك (3) ، فإن النص الآشوري لم يذكر أسباباً لفك الحصار عن القدس ، كما لا يمكننا قبول رواية العهد القديم حول أسباب تراجع سنحريب إذ جاء في سفر الملوك الثاني : (ويهي بليله ههوا ويصا ملاك يهوه ويك بمحنه آشور مئه شمونيم وحمشه ألف ويشكيمو ببقر وهنه كلم فجريم متيم ... ويسع ويلك ويشب سنحريب ملك آشور ويشب بنينوه) (4) أي : (وكان في تلك الليلة أن "ملاك يهوه" خرج وضرب من جيش

---

1 - أنظر مثلا ملوك ثان 18 : 9 ...

2 - يشوع 19 : 44 ، والتقية حالياً هي "خربة المقنع" بالقرب من عقرون ، أنظر عبد الملك طمسن : قاموس الكتاب المقدس ص 103

3 - باقر : مرجع سبق ذكره ، ص 516

4 - ملوك ثانٍ 19 : 35 ، 36

آشور مائة وخمسة وثمانين ألفًا ، وفي الصباح الباكر كانوا جميعًا جثثًا هامدة ، فانصرف سنحريب ملك آشور وأقفل راجعًا إلى نينوى) .

ويعزو المؤرخ اليوناني "هيرودوتس" تراجع سنحريب إلى أن حشودًا من الجرذان قضمت جلود وحبال الجيش الآشوري (1) ، أما الباحث فيصل عبد الله فيرى أن الطاعون تفشّى بين جنود سنحريب مما أدى إلى عودته إلى نينوى (2) ... ونحن نرجّح هذا الإحتمال لأن العهد القديم نفسه يؤكد أن "سنحريب" قَبِل جزية "حزقيا" أثناء حصار القدس لكنه لم يفك الحصار عنها إلاّ بعد سلسلة من الأحداث جرت خلال هذا الحصار وانتهت بما ذهب إليه كاتب سفر الملوك من أن "ملاك يهوه" فتك بالجيش الآشوري ومستغلاً بتلك الرواية الخرافية - ربما - المرض الذي تفشّى بين صفوف الجيش الآشوري ...

وتجدر الإشارة إلى أن شواهد سفر الملوك الثاني حول حملة سنحريب على مدن "يهوذا" وحصاره للقدس ، هي شواهد غاية في الأهمية والطرافة بنفس الوقت ، فهي من جهة تؤكد ما جاء في حوليات الملك سنحريب ، وتعطي تفاصيل عن حملته وتقدّم معلومات هامة عن مدينة القدس الكنعانية من جهة أخرى ... وفيما يلي تلك الشواهد : (وبأربع عسره شنه لملك حزقيه عله سنحريب ملك آشور عل كل عري يهوده هبصروت ويتفسم . ويشلح حزقيه ملك يهوده إل ملك آشور لكيشه لأمر حطاتي شوب معلي إت أشر تتن علي إسا ويسم ملك آشور عل حزقيه ملك يهوده شلش مئوت ككر كسف وشلشيم ككر زهب . ويتن حزقيه إت كل هكسف هنمصا

---

1 - باقر : المرجع السابق ص 516

2 - عبد الله : تاريخ الوطن العربي القديم ، مرجع سبق ذكره ص 362

بيت يهوه وبأصروت بيت هملك بعت ههيا قصص حزقيه إت دلتوت هيكل يهوه وإت هأمنوت أشر صفه حزقيه ملك يهوده ويتنم لملك آشور . ويشلح ملك آشور إت ترتن وإت رب سريس وإت رب شقه من لكيش إل هملك حزقيهو بحيل كبد يروشلم ويعلو ويبأو يروشلم ويعلو ويبأو ويعمدو بتعلت هبركه هعليونه أشر بمسلت سده كوبس ويقراو إل هملك ويصا إلهم إليقيم بن حلقيهو أشر عل هبيت وشبنه هسفر ويواح بن آسف همزكير . ويامر إلهم رب شقه أمرو نا إل حزقيهو كه أمر هملك هجدول ملك آشور مه هبطحون هزه أشر بطحت ؟ أمرت أك دبر شفتيم عصه وجبوره لملحمه عته عل مي بطحت كي مردت بي ، عته هنه بطحت لك عل مشعنت هقنه هرصوص هزه عل مصريم أشر يسمك إيش عليو وبا بكفو ونقبه كن فرعه ملك مصريم لكل هبطحيم عليو (1) ... وإيك تشيب إت فني فحت أحد عبدي أدني هقطنيم وتبطح لك عل مصريم لركب ولفرشيم (2) ... ويامر إليقيم بن حلقيهو وشبنه ويواح إل رب شقه : دبرنا إل عبديك أرميت :كي شمعينم أنحنو وإل تدبر عمنو يهوديت بأزني هعم أشر عل هحمه . ويامر إليهم رب شقه : هعل أدنيك وإليك شلحني أدني لدبر إت هدبريم هأله هلا عل هأنشيم هيشبيم عل هحمه لإكل إت حريهم ولشتوت إت شينيهم عمكم . ويعمد رب شقه ويقرا بقول جدول يهوديت ويدبر و يامر : شمعو دبر هملك هجدول ملك آشور. إل يبطح إتكم حزقيهو إل يهوه لامر هصل يصيلنو يهوه (3) ... ههصل هصيلو إلهي هجويم إيش إت أرصو ميد ملك آشور ... كي هصيلو إت شمرون ميدي ...مي بكل إلهي هأرصوت أشر هصيلو

---

1 - ملوك ثانٍ 18 : 13 - 21

2 - ملوك ثانٍ 18 : 24

3 - ملوك ثانٍ 18 : 26 - 30

إت أرصم ميدي كي يصيل يهوه إت يروشلم ميدي (1) .... ويشب رب شقه ويمصا إت ملك آشور نلحم عل "لبنه" كي شمع كي نسع ملكيش . وشمع إل ترهقه ملك كوش لامر هنه يصا لهلحم أتك ويشب ويشلح ملاكيم إل حزقيهو لامر : ... إل يشاك إلهيك أشر أته بطح بو لامر لا تنتن يروشلم بيد ملك آشور (2) ...) أي : (في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا صعد سنحريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا المحصنة وأخذها ، فأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك آشور في لكيش يقول : أخطأتُ إرجع عنّي ومهما جعلتَ عليَّ أحملُ ففرض ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاثمائة ككر من الفضة وثلاثين ككرًا من الذهب ، فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت يهوه وفي خزائن بيت الملك . وآنذاك قشّر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل يهوه وعن الدعائم التي غشّاها حزقيا ملك يهوذا و دفعه لملك آشور . ويرسل ملك آشور قائد الجيش (3) والرئيس (4) وكبير السقاة من لكيش إلى الملك حزقيا بجيش عظيم إلى القدس ، فصعدوا وأتوا إليها ، ووقفوا عند قناة البركة العليا التي في طريق حقل الصبّاغ ، ونادوا للملك فخرج إليهم "إليقيم بن حلقيهو"

---

1 - ملوك ثانٍ 18 : 33 - 35

2 - ملوك ثانٍ 19 : 8 - 10

3 - ورد قائد الجيش في العهد القديم العبري باسم "ترتن" و"تورتان" بالآشوري هو قائد الجيش ، وهي رتبة أوجدها الملك شلمنصر الثالث (859 - 824 ق م) أنظر فرزات ، مرعي : دول وحضارات في الشرق العربي القديم ، مرجع سبق ذكره ص 185 ، 190 .

4 - ورد في العهد القديم العبري باسم "رب سريس" ، وحسب الباحث في الكتاب المقدس مرقس داود ، فرب سريس لقب أكادي الأصل (رب شريشو) بمعنى الرئيس هو الرأس . أنظر قاموس الكتاب المقدس ص 398 .

المشرف على البيت و "شبنه" الكاتب و"يواح بن أسف" أمين السر ، فقال لهم كبير السقاة قولوا لحزقيا هكذا يقول الملك العظيم ملك آشور : أي اتكال هذا الذي اتّكلت ؟ قلتَ إنما كلام الشفتين هو مشورة وشجاعة للحرب . والآن على من اتّكلتَ حتى عصيتني ؟ ها إنك الآن قد اتكلت على عكّاز هذه القصبة المرضوضة مصر التي إذا اتّكأ أحد عليها دخلت في كفّه وثقبتها . هكذا هو فرعون ملك مصر ، لجميع المتكلين عليه ... فكيف ترد وجه أحد الولاة من عبيد سيدي الصغار وتتكل على مصر لأجل عربات وفرسان ... فقال إليقيم بن حلقيهو وشبنه ويواح لكبير السّقاة : حدّث عبيدك بالآرامية لأننا نفهمها ولا تحدثنا باليهودية في مسامع الشعب الذي على السور . فقال لهم كبير السقاة : وهل إلى سيّدك وإليك أرسلني سيدي لأقول هذا الكلام أليس إلى الرجال الجالسين على السور ليأكلوا برازهم ويشربوا بولهم معكم ؟ ... ثم وقف كبير السقاة ونادى بصوت عظيم ، تكلّم باليهودية قائلاً : إسمعوا كلام الملك العظيم ملك آشور ... لا يجعلنّكم حزقيا تتكلون على يهوه قائلاً : إنقاذاً ينقذنا يهوه ... هل أنقذ آلهة الأمم أرض أحد من يد ملك آشور ؟ ... هل أنقذوا السامرة من يدي،مَن من كل آلهة الأراضي أنقذ أرضه من يدي حتى ينقذ يهوه القدس من يدي ؟ ..... ورجع كبير السقاة ووجد ملك آشور يحارب "لبنة" إذ سمع أنه غادر لكيش . وسمع خبراً عن "ترهقة" ملك كوش أنه خرج "ليحاربك" ، فعاد وأرسل رسلاً إلى حزقيا قائلاً : لا يخدعك إلهك الذي أنت متكل عليه قائلاً : لا تُدفع القدس إلى يد ملك آشور) .

نلاحظ من خلال الشواهد السابقة تشابهًا كبيراً مع ما جاء في نص سنحريب إلاّ أن النصين لا يسميان المدن التي نُسبت لحزقيا باستثناء "القدس" بالنسبة إلى النصين و "لكيش" و "لبنة" ، بالنسبة إلى نص العهد القديم و "لكيش" مملكة كنعانية مذكورة منذ القرن الرابع عشر ق م في رسائل العمارنة وقد ترك فيها سنحريب

حامية أشورية قبل مغادرته إلى آشور (1) ، أما "لبنة" فمدينة كنعانية تقع بالقرب من لكيش ، والمدينتان قريبتان من غزّة (2) ويبدو من خلال الشواهد السابقة أن حصار الآشوريين للقدس تم بعد إخضاع بقية المدن - تماماً كما جاء في نص سنحريب - ويبدو أيضًا أن الجزية دُفعت لسنحريب قبل بدء الحصار وحين كان الجيش الآشوري في مدينة لكيش ، الأمر الذي ينفي اكتفاء الملك الآشوري بجزية حزقيا وإعراضه عن اقتحام القدس بسببها ، وقبل اقتحام المدينة - الذي كان هدف الحملة الآشورية - جرت مفاوضات بين قادة سنحريب والقائمين على شؤون بيت حزقيا ، كان الهدف منها - كما استنتجنا - إنذار المحاصرين في القدس إنذاراً أخيراً لتسليمها ، وقد لاحظنا من خلال الحوار الذي تم بين الطرفين استهزاء الآشوريين بمصر التي كانت تساند "يهوذا" وتدعم هذا الكيان عسكريًا - حسب النص الآشوري أيضًا - وذلك حين وصف كبير السقاة الآشوري مصر بعبارة هقنه هرصوص : "القصبة المرضوضة" ... وحين تحدث عن مساعدة مصر ليهوذا بالعربات والفرسان الذين تمّ أسرهم حسب النص الآشوري .

كما لاحظنا من خلال شواهد العهد القديم أن اللغة الآرامية كانت مستعملة في القدس بالإضافة إلى الكنعانية التي سمّاها كاتب سفر الملوك "اليهودية" ولاحظنا أيضًا أن الآشوريين - أو على الأقل رجال الإدارة والساطرون لدى سنحريب - كانوا يتقنون اللغتين .

وتتحدث هذه الشواهد عن إرسال مصر لجيش بقيادة "ترهقه" ملك كوش لمحاربة الآشوريين ، ويذكر الباحث في تاريخ مصر القديمة محمود عبد الحميد أن ترهقه (طهرقا في النصوص المصرية) أرسل جيشًا إلى الحدود مع "فلسطين" لكن سنحريب

---

1 - Ussishkin. David : "Lachish" in (I.A.E.H.L) Vol III P735

2 - راجع ما جاء سابقًا عن المدينتين ...

انسحب بسبب تفشي الطاعون بين صفوف الجيش الآشوري (1) ، أما "كوش" المذكورة في الشواهد فهي بلاد النوبة العليا (2) .

وأخيراً يشير أحد نصوص حوليات الملك سنحريب أنه جلب بحّارة فينيقيين لبناء أسطول من السفن في نينوى : (السوريون الذين أسكنتهم في نينوى ، بنوا ببراعة سفناً كبيرة ... وقد أمرت البحّارين الصوريين والصيداويين والقبارصة بالسير بتلك السفن في نهريْ دجلة والفرات لحمل الأسلحة الثقيلة والمحاربين ...) (3) يطلعنا النص المذكور على خبرة الفينيقيين بصناعة السفن والملاحة ، تلك الخبرة التي ميّزتهم بين شعوب المنطقة ... ولأول مرة في الحوليات الآشورية نجد رغبة ملك آشوري في استخدام النموذج الفينيقي من السفن ، ذلك النموذج الذي حقّق بالتأكيد قفزة نوعية في "البحرية" الآشورية التي كانت تعتمد على العوّامات الجلدية لقطع الأنهار غالبًا - كما رأينا - ، أما بالنسبة إلى البحارين الفينيقيين ، فذلك النموذج يعدّ تجربة جديدة لهم في الملاحة النهرية ولأغراض عسكرية كما ورد في النص .

وختامًا ، فقد أطلعتنا حملة الملك الآشوري سنحريب إلى المنطقة على أوضاع عديد المدن الكنعانية والفينيقية والفلستية ضمن وضع دولي عام برزت فيه قوة الدولة الآشورية وقد أحكمت سيطرتها على مدن الساحل الكنعاني الفينيقي وتوغلت داخل أرض كنعان لتضم إلى سيطرتها المدن الفلستية محجِّمةً بذلك كيان بني يهوذا -

---

1 - عبد الحميد محمود : "دراسات في تاريخ مصر الفرعونية " مرجع سبق ذكره ص 235

2 - نفس المرجع ، ص 233 .

3 - ARAB, II, 319

الذين حوصروا نتيجة حملة سنحريب داخل أسوار القدس - ومهددةً الدولة المصرية التي ما انفكّت تدعم حكّام المنطقة ضد التدخل الآشوري ...

ولئن لم يقدّر لسنحريب القضاء نهائيًا على بني يهوذا (1) فقد تمكّن إبنه وخليفته "أسرحدون" من جعلهم كيانًا صغيرًا تابعًا "لنينوى" في الوقت الذي وضع فيه حدًا لنفوذ المصريين باحتلال مدنهم - كما سنرى -

9 - أسرحدون (680 -669 ق م) :

بعد اغتيال سنحريب على يد أحد أبنائه (2) ، تولّى ابنه أسرحدون العرش ، وأسرحدون بالآشورية ("أشور أخو إدينا" أي : الإله آشور أعطاني أخًا) (3)، وقد ورد إسمه في العهد القديم بصيغة "أسرحدن" (4) .

اهتمّ أسرحدون في بداية فترة حكمه بإعادة الهدوء والنظام إلى بلاد بابل التي دمّرها أبوه (5) ، إلاّ أنه - وفي مطلع سنة 677 ق م - توجه إلى الساحل

---

1 - وقد أنجز هذه المهمة الملك البابلي نبوخذ نصر عام 586 ق م . حين فتح القدس واقتاد آخر ملوك يهوذا - وهو صدقيا - إلى بابل بعد قتل أبنائه وسمل عينيه وسبي بني يهوذا المتبقين في القدس . حول القضاء على مملكة يهوذا وفتح القدس أنظر : إرميا 39 : 8 - 10 ، 52 : 12 - 30 أنظر أيضًا : - Oates : "Babylon". OP. Cit PP 128 - 130

2 - أنظر Oppenheim : Ancient Mesopotamia" OP Cit P 169 -وملوك ثانٍ 19 : 37

3 - أنظر مرعي : تاريخ بلاد الرفدين ، مرجع سبق ذكره ، ص 120

4 - ملوك ثانٍ 19 : 37

5 - أنظر باقر : مرجع سبق ذكره ص 519

الفينيقي لإخماد تمرد مدينة صيدا على الدولة الآشورية . فجاء في حولياته هذا النص الهام عن حملته إلى صيدا : ("عبدي ملكوتي" - ملك صيدا - الذي لم ترهبه جلالتي ولم يكترث بكلامي ، والذي وثق بالبحر المخيف وحرّر نفسه من عبوديتي ... "صيدا" مدينته البحرية المحصّنة ، دمّرتها حطمت أسوارها ورميتها في البحر ، ومحوتها عن وجه البسيطة ... والتقطتّ "عبدي ملكوتي" كسمكة وألقيت القبض عليه وقطعت رأسه وغنمت زوجته وبناته وأبناءه وحاشية قصره ورعيته وممتلكاته من أحجار كريمة ومتاع وملابس صوفية ملونة وعاج وأخشاب قيقب وبقس وكنوز متنوعة ومجوهرات وذهب وفضة وماشية ودواب لا يُحصى عددها ... كلّها نقلتها إلى آشور ... وجمعت ملوك سوريا والساحل كلهم ، وفي مكان آخر جديد شيّدتُ مدينة ودعوتها مدينة أسرحدون (1) ... استوليت على المدن المحيطة بها ، مدن الجبل والبحر، وعينت عليها حاكمًا آشوريًا وفرضت عليها جزية أكبر... أما مدنه الأخرى : معرُب (2) وسربتا فقد أعطيتها لـِ"بعلي" ملك صور وأضفت إلى الجزية المعتادة هدايا سنويّة إضافية) (3) .

يتضمن هذا النص - كما رأينا - وقائع هامة ومعلومات عدة حول مدينة صيدا إذ يبدو أنها كانت تحت سيطرة الآشوريين ثم تمرّدت ... وقد لقي ملكها عبدي ملكوتي نفس مصير "لولي" ملك صور الذي فرّ بحراً إلى "قبرص" أيام الملك

---

1 - وفي نص آخر وردت باسم "كار أسرحدون" (كار آشور أخا إدينا) ... أنظر ARAB, II, 527

وأيضا : Markoe : "Phoenicians'. OP Cit P43 -

2 - لم يُعرف مكانها بالضبط

3 - ARAB, II, 511, 512 , 527

سنحريب ، وقد وصفت صيدا بالمدينة المحصّنة ذات الأسوار ، أما ثرواتها فقد عدّدها النص بالتفصيل ، وهي لا تختلف عن ثروات المدن الفينيقية المذكورة في نصوص آشورية سابقة ... ومن ناحية أخرى يطلعنا النص على "مدن أخرى" كانت تابعة لصيدا ومنها "سربتا" التي انتقلت إلى سيادة صور و ملكها المذكور باسم "بعل ... وقد رأينا في حوليات الملك سنحريب أنه أخضع المدن التابعة لصيدا - ومنها سربتا - ووضع على عرشها "أتبعل" ... لذا فإعادة إخضاع سربتا ونقل السيادة عليها إلى صور من قبل "أسرحدون" يشير إلى أمر هام جداً وهو أن عدم وجود الجيش الآشوري بشكل دائم في المدن الفينيقية - التي شكّلت أهدافًا لحملات الملوك الآشوريين - أدّى ببعض هذه المدن إلى الثورة والعودة بالأوضاع إلى ما كانت عليه ، ويفسّر ذلك ما جاء في نص الملك "أسرحدون" الذي دمّر مدينة صيدا نتيجة تمرد ملكها ، وقام ببناء مدينة جديدة مكانها - أو بالقرب منها - حملت إسمه .

وبشكل عام يبدو أن الإجراءات التي كان ملوك آشور يتخذونها في المدن الفينيقية لم تكن جذرية بل مؤقتة تهدف إلى ضمان إرسال الجزية لاسيما أن معظم نصوص الحوليات السابقة الذكر تعدّد أصناف الثروات الفينيقية والتي تكونت منها الجزية إلى الدولة الآشورية .

وفي نص آخر من نصوص الملك أسرحدون نجد معلومات عن "تسخير" ملوك أرض كنعان والساحل الفينيقي الفلستي وقبرص من قبل أسرحدون لإعادة بناء قصره في نينوى ، وذلك بدعوتهم إلى نينوى وتزويده بالمواد اللازمة للبناء ، ومنها أخشاب الأرز والصنوبر وقد وردت في النص أسماء الملوك الآتين : ("بعل" ملك صور ، "منسّا" ملك يهوذا ، "قوشجابري" ملك إدوم ، "موصوريّ" ملك موآب ، "سلبعل" ملك غزّة ، "متنتي" ملك عسقلان ، "إكوسو" ملك عقرون ، "ملكي أشابا ملك جبيل ، "متن بعل" ملك أروادة ، "بُدإل" ملك بيت عمون ، "أحيملك" ملك أسدود ، ... وعشرة

ملوك من قبرص وهم : "إقشتورا" ملك إديال (1) ، "بيلا جورا" ملك قِتروسي ، "قيسو" ملك سيلاّ ، "إتُندار" ملك بابًا ، "إرسو" ملك سيلّو ، "دَماسو" ملك كوري ، "أتمِسو" ملك تاميسو (2) ، "داموسي" ملك قرت حدشت (Kartihadasti) (3) ، "أوناساجوسو" ملك ليدير ، "بوسوسو"ملك نوري ، ...) (4) .

تكمن أهمية النص السابق في أنه يقدّم أسماء المدن الكنعانية الفينيقية - بما فيها المدن الفلستية والقبرصية - الخاضعة للآشوريين في النصف الأول من القرن السابع ق م ، وجميع هذه المدن ذات نظام ملكي (ممالك مدن) . ولعل أهم ما في النص هو ذكر المدن القبرصية بالتفصيل ، وبعض هذه المدن مواقع حالية في قبرص تم الكشف عنها وأثبتت وجود التأثير الفينيقي (5) .

وتجدر الإشارة إلى ملاحظة أبداها الباحث "ماركو" تتعلّق بتصدُّر بعل ملك صور قائمة

---

1 - قارن مع "إداليون" الحالية في قبرص والتي تحمل التأثير الفينيقي وأنظر حولها : Markoe : Op Cit P 171

2 - قارن مع "تامسوس" الحالية في قبرص وانظر حولها : ... Ibid

3 - أنظر ARAB, II, 690 وقد تحدث الباحث "ماركو" عن "قرت حدشت" في قبرص كمنشأة فينيقية ورد ذكرها في المصادر الآشورية وفي نقيشة قبرصية عُثر عليها في "ليماسول" تشير إلى الحاكم الصوري لقرت حدشت - في عهد حيرم الثاني - وتلك النقيشة المؤرخة في منتصف القرن 8 ق م - حسب ماركو - مسطورة على طبقين برونزيين ، ويرجّح "ماركو" أن تكون "قرت حدشت" القبرصية هي قتيون (لارنكا) : أنظر : Markoe : OP Cit PP 170, 171

4 - ARAB, II : 690, 697

5 - أنظر الفقرة الخاصة بجزيرة قبرص في كتاب الباحث "ماركو" : "Phoenicians" OP Cit PP 170, 171 ... أنظر أيضًا ترجمتنا لهذا الكتاب (ملحق) .

الملوك المذكورين في النص الآشوري ليعتبر - أي ماركو - أن صور كانت تتزعم اتحاد الممالك المذكورة (1) .

أما فيما يتعلّق بمدينة القدس ، فقد لاحظنا أنها لم تذكر في النص السابق ، وجاء ذكر الملك "منسّا" كملك ليهوذا ، وهو ابن وخليفة "حزقيا" (2) الذي سقطت المدن الكنعانية المحتلّة - في عهده - بيد الملك سنحريب ، بينما بقيت القدس مدينة محتلّة إلى عام 586 ق م كما رأينا .

و من بين نصوص الملك "أسرحدون" نص يحمل معاهدة بين بعل ملك صور وأسرحدون ملك آشور ، ويعتبر هذا النص فريداً من نوعه بين نصوص حوليات الملوك الآشوريين ذوي الصلة بالساحل الكنعاني الفينيقي ، لأنه النص الوحيد الذي يقدّم تفاصيل تتعلق بآلهة الكنعانيين الفينيقيين ، وذلك بالإضافة إلى بنود المعاهدة التي يحملها ، والتي تلقي الضوء على علاقة الدولة الآشورية بمدينة صور ، زعيمة مدن الساحل الفينيقي ... ونظراً لتشوّه عديد السطور في النص ، سنقتصر على ذكر النقاط البارزة فيه : تبدأ المعاهدة بذكر مجموعة من الآلهة الرافديين والكنعانيين كشهود على المعاهدة وضمانٍ لتنفيذ بنودها (3) - خاصّةً من قبل الطرف الفينيقي - والآلهة

---

1 - Markoe, P43

2 - أنظر سفر الملوك الثاني 20 : 21 ، 21 : 1 .

3 - ونجد مثالاً آخر على معاهدة يشهد على إبرامها آلهة وهي المعاهدة التي تمت بين حنّبعل - القائد القرطاجي - وفيليبُس المقدوني عام 215 ق م ... أنظر حولها :

- Fantar M'hamed : "Carthage" (2) Tunis 1993 P 241

وأيضاً : فنطر : "الحرف والصورة في عالم قرطاج" مرجع سبق ذكره ص 317 .

هم "عشترت " (1) ، جولا" (2)، الآلهة المحاربون "بيت إل" (3) و "عناة (4) ، آلهة السماء والأرض ، آلهة آشور وأكاد ، بعل شميم وبعل ملقة ، بعل صفن (5) ، ملقرت (6) ، إشمن (7) ... وربّما يسمي نص المعاهدة وظيفة مشتركة لكل من "بعل شميم" و "بعل ملقة" و"بعل صفن" بذكره أن أولئك الآلهة سوف يثيرون ريحًا صرصراً على سفنكم – أي سفن الفينيقيين–... الأمر الذي يتعلق بالعاصفة وهي إحدى صفات الإله بعل . أما "ملقرت" و"إشمن" فقد ورد في نص المعاهدة أنهما سيسلّمان "أرضكم" للخراب ويعملان على زوال طعام "أفواهكم" وملابس "أجسادكم" وزيت أدهانكم ، وتلك أمور ترتبط بوظائف الخصوبة .

أما بنود المعاهدة فقد نصّت – حسبما تبقى من النص – على ما يلي :

– إذا تحطمت سفينة لبعل ملك صور أو لأهل أروادة في "المياه الإقليمية" الفلستية أو

---

1 – أنظر المبحث الخاص بها في جزء الحياة الدينية .

2 – ويعني إسمها في اللغة السومرية الكبيرة ، وكانت معروفة لدى الأكاديين كإلهة شفاء ... أنظر ادزارد ، بوب ، روليج : "قاموس الآلهة والأساطير ، ص 43 – 44 .

3 – يرى كل من "بوب" و"روليج" أن هذا الإسم المركّب هو إسم إله نظراً لاستعماله في الأسماء الثيوفورية ... ويضيف الباحثان المذكوران أن "بيت إل" صيغة آرامية لإسم إله رافدي ... أنظر كتابهما السابق : ص 204 ... وللإشارة "فبيت إل" إسم مكان في أرض كنعان مذكور مراراً في العهد القديم .

4 – أنظر المبحث الخاص بها في جزء الحياة الدينية

5 – أنظر المبحث الخاص بالإله بعل في جزء الحياة الدينية .

6 – ورد في النص الآشوري بإسم ملكيلي ، ويرى مسكاتي أن ملقرت مذكور في نص المعاهدة بين أسرحدون وبعل صور ، أنظر مسكاتي : الحضارة الفينيقية ، مرجع سبق ذكره ، ص 74

7 – ورد في النص الآشوري باسم "ياسومونو" . أنظر ARAB, II, 586 - 590

في أي مكان تابع للآشوريين فإن محتوياتها تغدو ملكًا لأسرحدون دون التعرّض لملاّحيها ...

- يمنح أسرحدون لخادمه بعل - ملك صور - حق رسو سفنه في موانىء "عكّا" و"دور" في الإقليم الفلستي ... وفي المدن الساحلية التابعة لآشور ، وفي جبيل ... والمدن الجبلية ......) (1)

كما نرى من البندين السابقين فإن المعاهدة تؤكد سيطرة أسرحدون على الساحل الفلستي بشكل خاص ، وتبدو مدينتا "عكّا" و"دور" ضمن الإقليم الفلستي مما يشير إلى أن هذا الإقليم الساحلي اتسع باتجاه الشمال واقترب من صور .

ويرى كل من الباحثين "مسكاتي" و"ماركو" أن تلك المعاهدة التي نظمت التجارة البحرية لصور كانت معاهدة تبعية للدولة الآشورية ، أرهقت صور ودفعتها إلى التمرّد والتحالف مع "طهرقا" ملك مصر (2) - الذي سبق وأن أرسل جيشًا لمساندة بني يهوذا إبّان حصار سنحريب للقدس - لذا ، قرّر أسرحدون - إلى جانب تأنيب صور مهاجمة مصر نفسها ليضع حدًا لتدخلها في شؤون الساحل الفينيقي ، فتمكن من دك أسوار مدينة "منف" - المقر الملكي لطهرقا - والإستيلاء عليها عام 671 ق م ، فأعلن حكام الأقاليم المصرية خضوعهم للملك الآشوري ودفعوا الجزية له (3) ... وقد خلّد أسرحدون انتصاره هذا على نصب تذكاري وُجد عند نهر الكلب بالقرب من بيروت يروي خبر الإستيلاء على منف (ممفيس) (4) ، وفي نصب آخر عُثر عليه

---

1 - حول المعاهدة أنظر : ARAB, II, 586 - 590

2 - أنظر مسكاتي : مرجع سبق ذكره ص 50 وأيضًا : Markoe : OP Cit : P46 -

3 - عبد الحميد : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ، مرجع سبق ذكره ص 236 وأيضا : مسكاتي : المرجع السابق ص 50 .

4 - ARAB, II, 582 - 585

في "زنجرلي" (سمأل القديمة شمالي سورية) ظهر أسرحدون واقفًا وممسكًا بحبل ربط به بعل ملك صور وطهرقا ملك مصر من الأنف (1) ...

ويرى الباحث "ماركو" - في تعليقه على النصب المذكور - أن الشخص الذي يظهر في النص إلى جانب ملك صور هو "أوشاناهورو" إبن طهرقا وليس طهرقا نفسه (2) ، أما الباحث المصري "محمد بيّومي مهران" فينفي وقوع طهرقا في الأسر واصفًا النصب السابق بأنه "للدعاية والتفاخر الكاذب" (3) ... مع العلم أن النص المسطور على النصب يعطي تفاصيل عن اقتحام مدينة منف من قبل أسرحدون ويُذكر فيها أن طهرقا أصيب بجروح بليغة وأُلقي القبض على زوجته وحريمه وأبنائه (4) ...

ومهما يكن من أمر الشخص المقصود إلى جانب ملك صور ، أكان طهرقا أم إبنه (5) ، فالنصب يؤكد تحالف صور مع مصر ضد الآشوريين ، وتعارض المصالح الآشورية والمصرية في الساحل الكنعاني الفينيقي .

وختامًا ، فقد قدّمت لنا حملة الملك أسرحدون معلومات عن المدينة الكنعانية الفينيقية تتعلّق بسيطرة مدينة صور ، وذلك على حساب صيدا التي دُمّرت ، وتبعية معظم ممالك الساحل الكنعاني الفينيقي - بما فيها الممالك الفلستية والقبرصية - للدولة الآشورية ، ولاحظنا أن بني يهوذا - الذين بقيت بعض فلولهم في مدينة

---

1 - أنظر حول هذا النصب : ARAB, II, 573 وأيضًا : Markoe : OP Cit PP 46 , 47 (Fig.7) -

2 - Ibid

3 - أنظر مهران : "المدن الفينيقية" ، بيروت 1994 ص 255

4 - ARAB, II, 580

5 - يؤكد المؤرخ Luckenbill أن "طهرقا" هو الذي يظهر في النصب أما أن يكون ابنه أوشاناهورو بدلاً منه فذلك مجرد احتمال ، أنظر : ARAB, II, 573

القدس الكنعانية تحت زعامة منسّا – قد ضَعُف شأنهم و تراجع في حوليات الملك أسرحدون ولم يُذكروا ضمن مدينة ...

وقد ألقت حوليات الملك أسرحدون ضوءاً هامًا على علاقة المملكة المصرية بمنطقة الساحل الكنعاني الفينيقي ، ولعل أهم إنجاز لهذا الملك هو نقل الصراع الآشوري المصري إلى الأراضي المصرية ، الأمر الذي تعامل معه خليفة أسرحدون بنجاعة ، فكرّس سيطرة الآشوريين على الموقف في الساحل الكنعاني الفينيقي ، وجعل مصير الحكّام المصريين بيد "نينوى" سنواتٍ عدة ، فانعكس ذلك ايجابًا على المدن الفينيقية – كما سنرى –

10 – أشور بانيبال (668 – 626 ق م) :

تولى آشور بانيبال عرش آشور مباشرةً بعد وفاة أبيه أسرحدون الذي كان يعد لحملة أخرى على مصر عام 669 ق م ، فتوفي في الطريق إليها ، و"آشور بانيبال" بالآشورية هو (آشور باني أبلي) أي الإله آشور خالق الإبن الوريث (1) ... ومباشرةً بعد توليه العرش أرسل آشور بانيبال جيشًا كبيرًا إلى مصر فاكتسح منف وطيبة وأخمد بعض الثورات وأرسل الأمراء الثائرين إلى نينوى (2) ... وقد ساندته في تلك الحملة بعض المدن الفينيقية بالأسطول – حسب الباحث ماركو الذي لم يسمّ تلك المدن (3) ، إلاّ أن نص آشور بانيبال الخاص بحملته الأولى إلى مصر يذكر

---

1 – مرعي : تاريخ بلاد الرافدين ، مرجع سبق ذكره ص 120

2 – عبد الحميد : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ، مرجع سبق ذكره ، ص 236 ، 237 ... أنظر أيضًا ARAB, II, 770-771

3 – Markoe : OP Cit P 46

أن اثنين وعشرين ملكًا من ساحل البحر والبر قدموا له الولاء والهدايا ودعموا جيشه بسفنهم ، ويجدر بالذكر أن أولئك الملوك هم الملوك الذين سخّرهم أسرحدون - أبوه - لإعادة بناد قصره في نينوى ، وقد ذكرناهم سابقًا (1) .

وفي عام 665 ق م تمرّدت كل من صور وأروادة على الآشوريين مستغلتين انشغالهم بإعادة بسط النفوذ الآشوري على مصر ، مما اضطر آشور بانيبال إلى إعادة إخضاع المدينتين ، وقد جاء في حولياته النص التالي : (في حملتي الثالثة زحفت نحو بعل ملك صور الذي يعيش في وسط البحر ... ولأنه استخفّ بأوامري ولم يُطعْني حاصرته بالسدود الترابية وقطعت عليه الطرق البرية والبحرية وحوّلت حياته إلى جحيم ... فأخضعته لعبوديتي ، وقدّم لي ابنته وبنات إخوته ليكنّ سريّاتٍ لي ، وكذلك إبنه يحيملك الذي لم يركب البحر بعد - جلبه لي ليخدمني ، إلاّ أنني عطفت عليه وأعدته إليه (2) ... وبالنسبة إلى "يكينلو" ملك أروادة الساكن وسط البحر ، والذي لم يخضع لآبائي الملوك ، فقد أخضعته ... وقد جاءني بابنته إلى نينوى ومعها بائنة ضخمة لتكون سُرِّية لي (3)... وبعد وفاة يكينلو ملك أروادة جاءني أبناؤه "عزيبعل" و"أبيبعل" و"أدنبعل" و"شفط بعل" و"بد بعل" و"بعليشب" و"بعل حنون" و"بعل ملك" و"أبيملك" و"أحيملك" ، جاءني جميعهم بهداياهم الثمينة وقبّلوا قدميّ ، فأثنيت على عزيبعل" ونصبته ملكًا على أروادة ، أما أخوانه التسعة فقد ألبستهم ألبسةً فاخرة ووضعت في أصابعهم خواتم من ذهب وصففتهم أمامي (4) ...)

---

1 - ARAB,II, 771, 876 و ARAB,II,690, 697

2 - ARAB,II, 779

3 - ARAB,II, 780

4 - ARAB, II, 783 أنظر أيضا ARAB,II, 847, 848

ينطوي النص السابق - كما نلاحظ - على أهمية كبيرة حسب المعلومات الواردة فيه ، ومن هذه المعلومات أن صور لازالت - وخلال النصف الأول من القرن السابع ق م المدينة الفينيقية الأم و الأقوى ، فقد مارست - حسب ماركو - نوعًا من التعمية السياسية مع الآشوريين من خلال لفتتها الوديّة بالوقوف إلى جانبهم في مهاجمة مصر ثم استغلال انشغال الملك الآشوري هناك لتعود إلى التمرّد (1) ... وهذا يشير إلى أن صور كانت تتطلع دومًا إلى الإستقلال وتنتهز الفرصة السانحة لتعلن ذلك ، ويبدو من خلال النص السابق أنها - أي صور - قطعت شوطًا هامًا في إقناع الآشوريين بنزعتها الإستقلالية ، لكن الأمر بات محرجًا للملك الآشوري الذي توغل في مصر ، ولم يكن بوسعه خسارة حلفائه الفينيقيين ، وقد انعكس ذلك على سياسته تجاه المدينة المتمرّدة صور ، إذ لم نجد في نصّه عبارات إحراق أو تدمير للمدينة بل نجده اتّبع أسلوب الحصار لا أكثر كضغط على الملك الصوري ليخضع مجددًا ، فتمّ ذلك ، وعطف آشور بانيبال علي ملك صور فأعاد إليه إبنه الصغير ... وهذا إنجاز سياسي هام للصوريين ...

سياسة اللين الآشورية هذه ، أفادت منها أيضًا أروادة - حسب النص — فهي لم تُعاقب على تمردها . إذ نجد من خلال النص أن ملكها صالح الملك الآشوري بهدية ثمينة - كما رأينا - وبعد وفاته - أي ملك أروادة - توجه أبناؤه العشرة إلى الملك الآشوري ضمن مراسم ملكية تُوّج بموجبها الأخ الأكبر "عزيبعل" ملكًا على أروادة خلفًا لأبيه .... وتقودنا هذه المعلومة إلى الإعتقاد بأن أحد بنود تبعية أروادة إلى الملك الآشوري هو قيام هذا الأخير بتنصيب الملك الجديد على العرش فيها ، وبما أن الملك الآشوري اختار

---

1 - Markoe : OP Cit P 46

الأكبر بين أبناء ملك أروادة المتوفى – وذلك استناداً إلى ترتيب ورود إسمه في النص الآشوري – فذلك يعني اعتراف الملك الآشوري بالنظام الملكيْ الوراثي للمدينة – ودائمًا – شريطة تقديم فروض الطاعة له .

ومن ناحية أخرى ، أطلعنا النص الآشوري السابق على معلومات تخص الحياة الإجتماعية في المدينة الفينيقية ، فورد ذكر الزوجة "غير الشرعية" (السُّرِّية = زوجة غير شرعية = Concubine) وكانت إبنتا ملكيْ صور وأروادة مثالاً على هذا النوع من الزواج بالملك الآشوري – كما رأينا في النص – وقد ورد ذكر "البائنة" (دوطة = dot) كهدية ترافق الزوجة غير الشرعية – وربما الشرعية أيضًا – إلى زوجها... ولكن النص لا يشير إلينا إن كان هذا النوع من الزواج منتشراً بين العامة إلى جانب الملوك .

وأخيراً قدّم لنا النص قائمة بأحد عشر إسمًا من أسماء الأعلام الفينيقيين هم "يكينلو" – ملك أروادة – وأبناؤه العشرة ، ولاحظنا أن ثمانية منهم دخل في تركيب أسمائهم "بعل" ، وجميع تلك الأسماء كانت متداولة في العالم الفينيقي والبوني .

وخلال فترة حكمه الطويلة وتحديداً سنة 640 ق م يواجه آشور بانيبال تمرّداً فينيقيًا جديداً قادته "أوشو" و "عكّا" فيتعامل معه بقسوة شديدة ، سيما وأن الآشوريين بعد عام 655 ق م قد خسروا معاركهم في مصر وانسحبوا منها في عهد "بسمتك إبن نكاو" (664 – 610 ق م) الذي أعلن استقلال مصر عن الآشوريين بمساعدة مرتزقة إغريق (1) ... لذا كان على آشور بانيبال أن يحتفظ – وبقوة – بسيادته على المدن الفينيقية ، وقد جاء في حولياته حول إخماد تمرد "أوشو" و "عكا" ما يلي : (لدى عودتي هاجمت مدينة أوشو الواقعة على شاطىء البحر ، وضربت أهلها العصاة المتمردين الذين لم يخضعوا لحاكم من قبل ولم يلتزموا بدفع الجزية وتقديم الهدايا

---

1 – أنظر عبد الحميد : المرجع المذكور سابقًا ص 237

السنوية ... وقد حملت آلهة المدينة وسكانها إلى آشور ... أما عُصاة عكا فقد ذبحتهم وأحطت المدينة بجثثهم التي علّقتها على خوازيق . وقد حملت الباقين إلى آشور وجنّدتهم في جيشي الجرّار الذي وهبني إياه ربي آشور) (1) .

بالطبع ، نجد فرقًا بين تعامل آشور بانيبال مع تمرد المدينتين السابقتين وتمرّد صور وأروادة قبلهما ... فالملك الآشوري الآن يتصرف بنفسية القائد المتقهقر والذي أحاطت بإمبراطوريته الإضطرابات من جميع الجهات وخاصة من طرف العيلاميين والبابليين بعد المصريين (2) ، الأمر الذي أضعف دولة آشور وآذن بنهايتها ...

ورغم ذلك استطاع آشور بانيبال الإحتفاظ بصور إقليمًا آشوريًا بعد إخماد تمرّد أوشو وعكا ...

وتتوقف حوليات الملك آشور بانيبال بدءًا من عام 639 ق م بسبب الإضطرابات والنكسات ، وبعد وفاته عام 626 ق م تمرّ الدولة الآشورية بمرحلة انهيار حكم خلالها "آشور اتيل إلاني" (626 - 621 ق .م) و "سين شار شكون" (620 - 612 ق م) وآشور أو بلط الثاني (611 -609 ق م) الذي انتهت الدولة الآشورية في عهده على يد البابليين .

---

1 - ARAB,II, 830

2 - Markoe, P 46

الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية

في ضوء الحوليات الآشورية

حوصلة ونتائج :

بعد دراسة حوليات الملوك الآشوريين العشرة السابقين في الفترة الواقعة بين مطلع القرن الحادي عشر ق.م ومنتصف القرن السابع ق.م تبدو لنا ملامح المدينة الكنعانية الفينيقية من خلال المعلومات التالية :

1 - معلومات عن المدن الكنعانية الفينيقية :

وردت في الحوليات أسماء حوالي ثلاثين مدينة كنعانية وفينيقية انتشرت - كما رأينا - على طول الساحل السوري اللبناني الفلسطيني وداخل أرض كنعان (فلسطين) وهذه المدن هي : أروادة - أشدود - اكزيب - أوشناتو (أوسنو) - بيت دجن - بيت زطي - جبيل - رشبونا (1) - رعرابا - رعسيسو - رفح - زيمارا - السامرة - سربتا - سيانو - سيميرا - صور - صيدا - عرقة - عسقلان - عقرون - عكّا - غزة - القدس - قيزا - لبنة - لكيش - محلاتة - محليبا - ميزا - يافا .

كما وردت في الحوليات أسماء بعض الأقوام الذين عاشوا في أرض كنعان مثل العمونيين والأدوميين .

---

1 - وللإشارة "فرشبونا" إسم قديم لمدينة المنستير التونسية ، أنظر حولها :

- Strabon, Géog, XVII, 3, 12.

- S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Vol. II, 1918, 136. (T.S.V,P)

Mh. Fantar. La Tunisie Punique : sites de Byzacène, dans Studi di Egittologia e di Antichità punica, 1993 P102 - 103

2 - المعلومات السياسية :

مكّنتنا الحوليات الآشورية من الإطّلاع - عن كثب - على وضع سياسي دولي شمل المدن الكنعانية الفينيقية بعد هدوء عاصفة شعوب البحر واستقرار الفلستيين في الساحل الكنعاني الجنوبي وبروز المدن الفينيقية الكبرى بعد انحسار النفوذ المصري ... وقد بدأت ملامح الوضع الدولي الجديد بالإرتسام مع حملة الملك الآشوري تجلت فلاصر الأول (1115 - 1077 ق.م) إلى سورية ولبنان ، فكانت هذه الحملة بمثابة الإعلان عن تكوّن القوة الآشورية ورغبتها في التدخل في المنطقة بهدف الحصول على الثروات أولاً ، إلاّ أن الإنطلاقة الآشورية الحقيقية نحو المنطقة تبدأ في عهد الملك آشور ناصربال الثاني (883 - 859 ق.م) ، وفي حملة هذا الملك إلى الساحل الكنعاني الفينيقي ، تظهر الجوانب السياسية واضحةً ، فنلاحظ أن الطريق من آشور إلى الساحل الكنعاني الفينيقي إنما تمر بالممالك الآرامية المرتبطة مع المدن الكنعانية الفينيقية بعلاقات سياسية واقتصادية ، وقد اتضحت هذه العلاقات أكثر من خلال حملة الملك شلمنصر الثالث (858 - 824 ق.م) ، فخاض هذا الملك معركة قرقر عام 853 ق.م ، وقد أثبتت هذه المعركة وجود علاقات قوية بين الممالك الآرامية وبعض المدن الفينيقية تُوّجت بتحالف عسكري ضخم لمواجهة الزحف الآشوري ومنع الآشوريين من تحقيق تطلعاتهم في المنطقة ، وقد انضم إلى هذا التحالف آحاب ملك "إسرائيل" ، الأمر الذي مكّننا من الإطلاع على محتويات ملف آرامي إسرائيلي فينيقي معقد في المنطقة كشفت أولى أوراقه حوليات الملك شلمنصر الثالث ، وأسهم العهد القديم في كشف بقية التفاصيل ، فاطّلعنا على سيطرة سياسية لملك دمشق الآرامي - ومعه ملك حماة - على المدن الكنعانية الفينيقية في الإقليم السوري مثل عرقة وأروادة و أوشناتو وسيانو ، ولاحظنا حالة الإستقلال السياسي التي كانت تعيشها المدن الفينيقية الكبرى مثل صور وصيدا وجبيل ، وذلك بوقوفها على الحياد

في معركة قرقر ، كما اطّلعنا على سياسة ملك دمشق تجاه مملكتي إسرائيل ويهوذا المتصارعتين في أرض كنعان ، فكان يستغل هذا الصراع تارةً ، ويوجّه تارة أخرى تلبيةً لمصالحه ، وقد أفادتنا دراسة مدينة لايش – سابقًا – ببعض المعلومات عن هذا الموضوع .

ورغم قوة الممالك الآرامية – التي تفصل بين آشور والساحل الفينيقي – فقد تمكّن شلمنصر الثالث من إضعافها وفرض الجزية عليها ، الأمر الذي يسّر مهمة الحملات الآشورية في عبور الأراضي الآرامية دون مقاومة ، فكانت حملة الملك أدد نيراري الثالث (810 – 782 ق.م) إلى الساحل الفينيقي وأرض كنعان دون عراقيل على الطريق ، وكذلك حملة الملك تجلت فلاصر الثالث (745 – 727 ق.م) الذي أجهز على مملكة أرفاد الآرامية فضمن بذلك جزية كركميش ودمشق وصور ، ثم تابع حملته إلى الساحل الكنعاني الفينيقي، تلك الحملة التي لمسنا فيها جوانب سياسية هامة إذ قام تجلت فلاصر الثالث بزعزعة أركان مملكتي يهوذا وإسرائيل بفرض الجزية على آحز ملك يهوذا وخلع فقح ملك إسرائيل وتنصيب هوشع بدلاً منه ، فكان ذلك بداية النهاية لمملكة إسرائيل ، حيث استولى الملك شلمنصر الخامس (727 – 722 ق.م) على السامرة وسبى بني إسرائيل إلى آشور رغم استنجاد هوشع بمصر ، وقد أكمل الملك سرجون الثاني (722 – 705 ق.م) مهمة سلفه بإخلاء مدينة السامرة ممن تبقى فيها من بني إسرائيل .

ونلاحظ في الفترة المذكورة – أي عهد الملكين شلمنصر وسرجون – ظهور مصر على الساحة السياسية ، وذلك خوفًا على مصالحها في المنطقة من التوسع الآشوري ، فنراها تقف إلى جانب كيانيْ إسرائيل ويهوذا ، ونجد أصداء ذلك في معلومات العهد القديم الخاصة بحملة الملك سنحريب (705 – 681 ق.م) وحصاره للقدس حين استهزأ رجال إدارته باعتماد بني يهوذا وملكهم حزقيا على مصر ، فاشتعل النزاع الآشوري المصري في المنطقة وتمكّن الملك أسرحدون (680 – 669 ق.م) من نقل النزاع إلى

الأراضي المصرية بعد أن فرض سيطرته على كامل الساحل الكنعاني الفينيقي مع قبرص ، وكذلك فعل خليفته آشور بانيبال (668 - 626 ق.م) ، فقد كرّس هذه السيطرة وتمكن من إبعاد خطر التدخل المصري ، وتعامل بلين مع تمرد بعض المدن الفينيقية كصور وأروادة ، إلاّ أنه عاد في أواخر فترة حكمه إلى سياسة البطش والقسوة لإخماد تمرد المدن الفينيقية بعد أن أحاطت الإضطرابات بالإمبراطورية الآشورية .

وهكذا فقد كانت المدن الكنعانية الفينيقية خلال القرون الأولى من الألف الأول ق.م . ضمن وضع دولي شهد صراع ثلاث قوىً رئيسية في المنطقة هي الآشوريون والآراميون والمصريون ، ولكل قوة مصالحها في المدن الكنعانية الفينيقية ، فكانت نتيجة التدخل الآشوري هي توسع الإمبراطورية الآشورية ورد المصريين خلف حدودهم والقضاء على كيان بني إسرائيل وإضعاف كيان بني يهوذا لدرجة مكّنت البابليين بعد فترة وجيزة من القضاء على هذا الكيان نهائياً .

وقد حاولت المدن الفينيقية خلال الفترة المذكورة الحفاظ على استقلالها فنجحت بعض الشيء ، إلاّ أن هذا الإستقلال كان تحت إشراف الآشوريين. وفضلا عن الوضع الدولي ، فقد أطلعتنا حوليات الملوك الآشوريين على بعض أنظمة الحكم في المدن الكنعانية الفينيقية ، وهي أنظمة ملكية ، كما أطلعتنا على أسماء بعض الملوك الذين حكموا هذه المدن .

3 - المعلومات الإقتصادية :

أتاحت لنا دراسة الحوليات الآشورية الإطّلاع على بعض الأنشطة الإقتصادية التي مارستها المدن الكنعانية الفينيقية مثل التبادل التجاري وخاصة مع الممالك الآرامية بدليل تشابه البضائع الآرامية والفينيقية التي كان ملوك الآشوريين يحصلون عليها كجزية ، وقد ورد في نصوص الحوليات تعداد لأصناف تلك البضائع التي انتشرت من

الفرات إلى غزّة وهي : الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد والصوف والكتان والأخشاب (الأرز والسرو والعرعر والقيقب والبقس) والعاج والحرير والجلود والأغنام والطيور والقردة والأقمشة الأرجوانية ... وقد ذكر سفر حزقيال - كما رأينا في دراسة مدينة صور - جلّ هذه الأصناف كسلع متبادلة بين المدن الفينيقية ودول الجوار والدول البعيدة .

كما أطلعتنا الحوليات على اشتغال الفينيقيين بثروات قبرص المعدنية وخاصة النحاس الذي جلب أنظار الملك سرجون الثاني (722 - 705 ق.م) وقاده إلى قبرص لإخضاع حكّامها ...

وهكذا ، فاستنادًا إلى الحوليات الآشورية والعهد القديم تمكنّا من معرفة مواقع مناجم المعادن التي استغلّها الفينيقيون ، فهي في ترشيش جنوبي إسبانيا ، وقبرص ...

من جهة أخرى أكّدت الحوليات الآشورية ما أكّده العهد القديم حول خبرة الفينيقيين في صناعة السفن والإبحار ، فقد أطْلعنا أحد نصوص حوليات الملك سنحريب (705 - 681 ق.م) على قيام بحّارة فينيقيين - من صور وصيدا وقبرص - ببناء أسطول لمدينة نينوى ، واطّلعنا أيضًا - من خلال نص معاهدة بين ملك صور والملك أسرحدون (680 - 669 ق.م) - على سفن صور وأروادة التي كانت تجوب المياه الفلستية - أي شاطىء كنعان الجنوبي - كما ورد ذكر ميناءين فينيقيين في فلسطين هما ميناء عكا وميناد دور ... ومن أهم المعلومات التي وردت في الحوليات الآشورية هي تلك المعلومات التي وردت في نص الملك آشور ناصربال الثاني (883 - 859 ق.م) وتتعلّق بطرق المواصلات التي كانت تربط بلاد آشور بسوريا والساحل الفينيقي ، إذ سارت حملة هذا الملك من كلخو - العاصمة الآشورية إلى ساحل المتوسط عبر "طريق تجارية" ربطت بين بلاد آشور والمدن الفينيقية من جهة ، وبين الممالك الآرامية - في بلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية والوسطى - والساحل الفينيقي من جهة أخرى ...

وللتثبّت من تلك الطريق كان لا بد من دراسة جغرافية المناطق المذكورة وضبط مواقع المدن والأنهار والجبال المذكورة في النص الآشوري . وذلك بالإعتماد -خاصةً- على مؤلف الباحث الفرنسي"ريني دوسو" حول الطبوغرافية التاريخية لسورية القديمة، فبدون هذا المؤلّف قد يقع الباحثون بالخطأ والإلتباس - كما رأينا - لأن المؤلّف المذكور يعود إلى سنة 1927م و يحتوي على خرائط طبوغرافية تفصيلية تذكر أسماء مناطق وجبال لا تُذكر في الخرائط الحديثة .

4 - المعلومات العسكرية :

أطلعتنا الحوليات الآشورية على بعض التحالفات العسكرية في المنطقة والتي كانت بعض المدن الفينيقية طرفًا فيها مع المدن الآرامية كما رأينا في دراسة معركة قرقر سنة 853ق.م ، وربما تلقي المشاركة الفينيقية في هذه المعركة الضوء على حجم الجيش الفينيقي وتسليحه في كل مدينة : 10 عربات و 10.000 جندي من عرقاتة و 200 جندي من أروادة و 200 جندي من أوشناتو و 30 عربة و 1000 جندي من سيانو ... ولكن تبدو مشاركة أروادة وأوشناتو محتشمة مقارنةً بمشاركة عرقاتة وسيانو ، وقد يعود ذلك إلى ظروف سياسية تطرّقنا إليها ...

5 - المعلومات الإجتماعية :

قدّمت لنا الحوليات الآشورية بعض المعلومات التي تتعلق بالتغييرات الديمغرافية التي أجراها بعض الملوك الآشوريين في أرض كنعان - خاصة - بعد سبي بني إسرائيل وإحلال بابليين محلهم ، الأمر الذي يفيد في معرفة أصول السكّان في المنطقة ...

ولعلنا نجد أهم المعلومات الإجتماعية في حوليات الملك آشور بانيبال إذ اطّلعنا من خلالها على بعض العادات الإجتماعية التي تخص الزواج (الزوجة غير الشرعية وتقديم البائنة للرجل) ... كما أطلعتنا حوليات هذا الملك على مجموعة من أسماء أعلام فينيقيين هم ملك أروادة وأبناؤه العشرة .

6 - المعلومات الدينية :

وأهم تلك المعلومات هي المعلومات الواردة في حوليات الملك سرجون الثاني (722 - 705 ق.م) إذ وجّهت حملته إلى مدينة السامرة ضربة قاصمة لعبادة "يهوه" بعد إخراج بني إسرائيل من هذه المدينة وإحلال أناس من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروييم - محلهم ، فأدخل أولئك معهم إلى أرض كنعان عبادات جديدة تمثلت في عبادة الآلهة الآتين : سكوت بنوت ، نرجل ، أشيما ، نبحز ، ترتق ورد ذكرهم في العهد القديم ، وهم من أصول رافدية وسورية .

وفي حوليات الملك أسرحدون (680 - 669 ق.م) اطّلعنا على قائمة بأسماء آلهة آشوريين وفينيقيين ، ورد ذكرهم في نص المعاهدة بين ملك صور وأسرحدون كشهود على إبرامها ، والآلهة هم : آشور وأكاد وجولا ، وآلهة السماء والأرض وعشترت وبيت إل وعناة وبعل شميم وبعل ملقة وبعل صفن وملقرت وأشمن...

وقد تعرّفنا من خلال نص المعاهدة على وظائف بعض الآلهة المذكورين ومهامهم ، الأمر الذي يتطابق مع ما ورد حول بعضهم في النصوص الأوجاريتية والنقائش الفينيقية والعهد القديم .